

المختار

من عرائس الأفكار

الجزء الاول

للمدعي

نعوم فريجه * وحنا خير الله

وهو يباع في مكتبتهم « اللبنانية »

الكاتبة شرقي ساحة البرج اول طريق النهر
طابع في الاسكندرية * ثمن النسخة « عشرة غروش صاغ »

بسم الله الهادي

المقدمة

حمداً لمن لا يحمد سواه سبحانه ووربحاً له . وشكراً للنصراء الكرام الذين ازرونا بالرضى . ومدوا لنا يد المعونة في مختاراتنا هذه لتكون على ما يريد لها اولو العلم والعرفان

وبعد فهذا كتابنا * المختار من عرائس الافكار * والمقنطف من جنان الادب . جمعنا مادته من افواه اطيب الازهار نشرها . وازكاها عطرا . واحلاها جنى . وابلغها معنى . وانتخبنا فرائده من كريم جواهر العقول اصلاً . واجملها صقلاً . فجاء مثلاً كتاباً لثلاثة وثلاثين كاتباً من نوابغ القرنين التاسع عشر والعشرين . وكفى به فضلاً ان يكون نتيجة خيرة القرائن وابلغ الاقلام . جامعاً لمئاته المباني . وسمو المعاني . وحسن الغاية ونبل القصد . من خدمة الامة والوطن بعقول ادباء الامة ونوابغ البلاد المعروفين بشرف النيات وعلو النفس

وقد توخينا في انتخابه الوجهة العمرانية مع مراعاة وجهتيه الكتابية واللغوية فلم ننظم في سلمك غير ما كان له مفرغ ادبي او علاقة بالعلم والاخلاق لتكون فائدته اوسع ونفعه اعم فيتخذ الكتاب سميراً والمتادبون

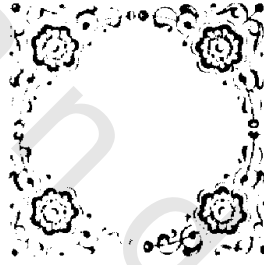
مثالاً والطلبة معلماً رشيداً . بحيث لا تستغني عنه طبقة من محبي الادب
ومريدي الحكمة والعلم .

وقد سبق لكثيرين جمع مثل هذا الكتاب فاقصروا فيه على وجهة
واحدة كان يكون مثالاً انشائياً محضاً او سرداً لشواهد موضوع مخصوص ولم
يراعوا في ما جمعوا شروط الافادة والوجه الاخلاقي اما نحن فلم نغفل واحداً
من هذه الشروط ولذا جاء كتابنا هذا مختاراً جامعاً لثلاث المواضيع المفيدة
مما يجدر باولياء المدارس ان يتخذوه مهبأ للطلبة في مدارسهم ورفيقاً مفيداً
لهم في اوقات فراغهم وكتاباً مدرسياً يعين الاساتذة على بث روح الفضيلة
في نفوس الطلاب وتمكينهم من ملكة الانشاء العربي المعصري مع تلقينهم
اشرف المبادي واسمى الغايات وهدايتهم بفضل من اخترنا من كتاباتهم
سبيل الرشاد والنشاط بالاحداث الى مراقبي الشهرة والاجتهاد تمثلاً بمن
كانوا مثلهم فاصبحت كتاباتهم واراؤهم قلائد تحلى بها اجياد الكتب وتلى
في كل صقع وناد

وقد جرت العادة ان يقدم المؤلفون والجامعون مؤلفاتهم ومجموعاتهم
الى ذي مكانة زلفى اليه وتوسلاً به الى رواج كتبهم او الى ذي مال بغية
الاستفادة من ماله اما نحن فقد رأينا من الواجب ان نرفع كتابنا هذا الى
اولئك الفضلاء الذين قلدنا جيده باطواق فضلمهم وارسلناه ينشر الى الملأ
ايات ادبهم ويتلو لمطالعي العربية ثناء طيباً على علمهم ونحن نرجو ان تكون منه فائدة
لمطالعيه ومنفعة للبلاد مما يكون لنا عزاء عن عظيم العناء في جمعه وزلفى من
كرام الوطن الراغبين في نفعه الى غير ذلك مما ينشط بنا الى اتمام مشروعتنا
باصدار الاجزاء التالية بين منشور ومنظوم بظل رب العرش الاسمى والملك

الاسنى والهلل الانور مولانا ذى الشوكة والعظمة والاقنطار السلطان الغازى
عبد الحميد خان الثانى الذى خفق فى ايام خلافته السعيدة لواء العرفان
على هام ممالكه المحروسة وفقنا الله الى ما به الخير انه الهادى سوا السبيل

﴿ تنبيه ﴾ نسقنا مواضع الكتاب على اسماء المؤلفين بالنظر الى
الحروف الابدية ولم ننظر فى التقديم والتأخير الى درجات الكتاب والكتاب
غير اننا قدمنا اسماء المتوفين فى كل باب



الزهرة

للشيخ ابراهيم اليازجي

هي ملك جند الدجى بل قائد معسكر الانوار . بل الالهة الجمال قد
استوت على عرش من النصار . اذا برزت في ثوب بهائها اكفهرت لها الشمس
من الحسد . بل غشيتها حمرة الحجل بعد ما علمتها صفرة الكمد . فقبل الهلال وقد
انحنى بين يديها وسجد . واطافت بها حور الكواكب . كأنهن اتراب كواعب
فوقفن لخدمتها متضائلات امام عظمة جلالها . وقد ارخين شعورهن من
حولها فشين من جمالها . فما كادت لتجلى لمن حيناً حتى توارت عنهن بالحجاب
وسرن في اثرها متتابعات حتى برقهن الصبح بابيض الجلباب .

واذا رابتها بارزة في طليعة الكواكب . وقد تجلت في فلكها حين لا
يبدو طالع ولا غارب . فاستلت من الهلال سيفاً استقبلت به نحر الظلماء . ثم
نادت في جيشها فاذا به قد طبق نواحي السماء . فبرز الراعي فاوتر قوسه
وانتصب للنضال . ووضع الجبار يده على سيفه ونادى بالانزال . واشرع السماك
رحمة تخفق له فؤاد العذراء . واطلق المريخ سهمه فاذا هو مضرج بالدماء .
وتتابع سائر الجيش بسلاحه فلا ترى الا وميضاً وبريقاً . واسنة قد غاصت
في كبد الدجنة فمزقتها تمزيقاً . فما اقبل جيش الصباح الا والافق مخضوب
بدم الدجى وقد بلغ سيله الزبي بل جاوز الربي

واذا شغصت اليها العيون من اطراف الارض . اتصت اهدابها باشعتها
حتى كان بعضاً معقود ببعض . واجتذبت اليها القلوب فطارت نحوها باجنحة
الصباية والهيام . وصبت اليها الارواح فامتزجت بروحانيتها امتزاج الماء بالمدام .
فاوحت اليها من اسرار الحب ما شغلها عن معرفة نفسها . بعد ما تجلى لها من

معاني الجمال ما ارتفعت به عن مقام حسنها . فإذا هي عاشقة لكل ما يبدو لها
من محاسن الصور . وقد بثت فيها من عوامل الفتنة ما يستعبد القلب والنظر
فهي التي حلت الجفون بالفتور . وخلعت النحول على الحصور . وزينت السوالف
بالجيد . ووشحت المعاطف بالملد . واودعت الاحداق سمح الدعج . وبلجت الثغور
بضوء الفاج . بل هي التي امرت القلوب بطاعة النواظر . واغرت العقول بمعاطاة
النصيح والزاجر . وجمعت بين الجفون والسهاد . وحببت السقم الى الاجساد
وجعلت الحب وسيلة التآلف حتى بين دقائق الجماد .

تلك الالهة الجمال التي عبدها الاوائل . واقاموا لها المساجد والهيأكل
ورفعوا اليها الابصار والقلوب . في أخريات الليل وقيل الغروب . فكانت مناط
الآمال . ومصعد الابهال . ومستودع نجوى العاشق . واسرار الابدكار العواتق .
اذا رقبين ظهورها تحت اذيال الديجور . نخلون اليها يكشفنها بمكنونات الصدور
ويستمعن لها الخيرة في الالهام . والحظوة في عيني من شئن من الانام . امانى
تخترق الفضاء . وتسافر بين الارض والسماء . فتنزل مكانها طمأنينة الاتكال . بين
حرارة الرغبة وبرد الامال

لاجرم انه اذا كان بعد الشمس والقمر نجم حري بالعبادة فاحر من
النجوم بذلك الزهرة لما انها اعظم الكواكب نوراً واصفاً من شعاعاً لا يدانيها
في ذلك الا المشتري والشعري اليمانية بيد انهما اذا قوبلا بها عن كسب
كسفت بهائهما بتألق شعاعها ولا سيما عند معظم نورها فانها تظهر حينئذ
والشمس في كيد السماء . وقد عبدها جميع امم الارض قديماً حتى لا تكاد
تبحث في تاريخ امة الا تجد لتلك العبادة آثاراً في مسطوراتها ومخلفاتها من
هيأكل وتماثيل وغيرها ومن عبدها العرب وكان لها معبد بصنعاء اليمن وهو

قصر غمدان المشهور ببناء على اسمها الضحاك ولبث بيت عبادة لها حتى هدمه
عثمان ابن عفان

والزهرة ولا شك اول كوكب عرف من السيارة لسرعة حركتها في
فلكها بحيث انها لا تثبت مدة اسبوعين في موضع واحد من السماء . وهي
تكون تارة نجم مساء وتارة نجم صباح تبعاً لموضعها من الشمس لانها اذا كانت
الى شرقي الشمس ظهرت بعد مغيبها في الافق الغربي فكانت نجم مساء وهي
تظهر اولاً لمحة ثم ترتفع يوماً بعد يوم حتى يبلغ معظم ارتفاعها ٤٨ درجة
وحينئذ تلبث فوق الافق ما يزيد على اربع ساعات وبعد ذلك تعود فتنزل
كما ارتفعت حتي تمر من امام الشمس فتبرز من غربيها وتظهر قبلها في الافق
الشرقي فتكون نجم صباح وتستمر في الشرق كذلك ثم تعود فتبرز من وراء
الشمس في الافق الغربي وهلم جرا .

وكانت الزهرة قديماً كبقية اخواتها من السيارات تعتبر مضيئة بذاتها
لانهم لم يروا تغيراً في منظرها فكانت عندهم في سائر النجوم الثوابت . واول
من خالفهم في ذلك كوبرنيكس الفلكي المشهور من رجال القرن السادس
عشر فانه لما بدل هيئة النظام البطليموسي جزم بان السيارات ينبغي ان
تكون كرات مظلمة كالارض وان ما ترسله اليها من النور انما هو منعكس
عن اشعة الشمس . فاعترض عليه بانه لو كان الامر كذلك للزم ان يظهر
كل من الزهرة وعطارد باوجه مختلفة كأوجه القمر ولما لم يسعه البرهان على
ذلك من الطريق الحسي بقي قوله مهملًا حتى حققه غاليلاي في القرن
التالي بعد اختراعه للمرفب سنة ١٦١٠ فانه اول ما وجهه الى الزهرة فظهرت
له فيها كل رؤي القمر من الهلال الى البدر .

اما بعد الزهرة من الشمس فهو ٧٢٣ من بعد الارض وفلكها قريب من الاستدارة التامة لان اهليلجيتها لا تزيد على ٠.٦٨ ، وهي تتم دورتها حول الشمس في ٢٢٤ يوماً او سبعة اشهر ونصف تقطع في اليوم منها نحو ١٨٥٠٠٠٠ ميل او ٢١ ميلاً في الثانية فهي اسرع من الارض قليلاً . الا انه لما كانت الارض مشايعة للزهرة في مسيرها اذ كلتاها تتجهان من الغرب الى الشرق لزم ان لانراها اتمت دورتها الا بعد ٥٨٤ يوماً او تسعة عشر شهراً ونصف وهي مجموع سنتي الارض والزهرة معاً غير انها تخفى نحو خمسة اشهر من هذه المدة تكون فيها مخنجة باشعة الشمس لانها اقترن بها في كل دورة مرتين تخفى في كل منهما نحو سبعين يوماً نصفها قبل الاقتران والنصف الاخر بعده وتظهر لنا سبعة اشهر نجم مساء وسبعة اشهر نجم صباح

واما بعدها عن الارض فيختلف كثيراً فانها في الاقتران الادنى تبعد نحو ٢٥٠٠٠٠٠٠ ميل وفي الاعلى تبعد نحو ١٦٠٠٠٠٠٠٠ ميل وذلك انها في الموضع الاول تكون بين الارض والشمس فلا يكون بين الارض وبينها الا عرض المنطقة الفاصلة بين الفلكين وفي الثاني تكون وراء الشمس فيكون بيننا وبينها مسافة قطر فلكها مع عرض المنطقة المذكورة . ويختلف قطرها المرئي بحسب ذلك فيكون بين ٦٥ و ١٠ لانها في الحال الاولى تكون في المحاق اي يكون الموجه اليها منها نصفها المظلم فلا نراها وفي الحال الثانية تكون بداراً الا ان قطرها الظاهر حينئذ لو امكن ان نراها يكون اقل من سدس ما يكون عليه وهي في حال المحاق . ولذلك فان معظم نورها لا يكون في شيء مما جاورها تين الحالتين ولكن انور ما تكون عليه اذا بلغ تباينها اي بعدها عن الشمس شرقاً او غرباً ٣٩٥ وذلك قبل الاقتران الادنى او بعده بمدة ٦٩

يوماً وحيداً يكون منور منها ربع قرصه فيكون كـ هـ هلال أربع . ومتى
 كن كذلك فقد ترى في ابن النهار كما سبقت الإشارة اليه الا ان ذلك
 يختلف فيها بين سنة وسنة تبعاً لميل فللكها وهي تعود في كل ثماني سنين الى
 لاقتران بالشمس في الموضع نفسه من السماء لانها حينئذ تكون قد اتمت خمس
 دورات من دوراتها المراتية فتعود رؤيتها من الارض الى مثل ما كانت عليه
 في الموعد السابق .

اما دورات الزهرة على نفسها فما اشغل العلماء واهل الرصد في تحقيقه
 زمناً مديداً واستخدموا لذلك اعظم المراقب فلم يحصلوا من معرفته على يقين
 وذلك ان ظاهر هذا السيار شديد البياض واللمعان لا يكاد يبدو عليه ظل
 ولا تظهر فيه سمة واضحة الحدود بخلاف غيره من الاجرام المتحركة حولنا فان
 كل واحد منها يرى على سطحه شيء من السواد كالحو الذي نراه على وجه
 القمر فاذا تحرك الجرم على محوره انقل ذلك السواد من موضعه حتى يخفى
 وراء الجرم ثم يعود من الناحية الاخرى حتى يرجع الى حيث كان فيكون قد
 اتم هناك دورة كاملة وبمثل هذا عينوا الدورة اليومية في السيارة وعرفوا ميل
 معاورها على سطوح افلاكها ومنه علم ان القمر لا يدور على نفسه دورة مستقلة
 وقد عني الراصدون بذلك في الزهرة منذ اخترعت الآلات المقربة ومن
 عني ذلك الفلكي كاسيني فانه بعد جهد المراقبة ظهر له شيء من الحو على
 سطحها فبقي يراقبه على ايام متعددة فوجده كل يوم يظهر في مثل الساعة من
 الامس في مكانه الاول على فرق زهيد تمثل له فحكم بانها تدور على نفسها
 في ٢٣ ساعة و ١٥ دقيقة وذلك سنة ١٦٦٦ ثم اتبع العلماء بعده تحقيق
 ذلك فنظر فيه بيانكيني سنة ١٧٢٦ فاحتسب لها ٢٥ دورة في ٢٥ يوم و ٨

ساعات نخرج لكل دورة ٢٣ ساعة و ٢٢ دقيقة . وتسبقت الرصود من غير
 هاذين فكان الخارج متقارباً على فرق ثوانٍ قليلة وحينئذ حكموا بان سنتها
 تكون مؤلفة من ٢٣١ يوماً من ايامها وهي السنة النجمية وان سنتها الشمسية
 تكون ٢٣٠ يوماً . ثم راقبوا محور دورانها وحددوا ميله على دائرة البروج فجعله
 بيانكيني ٧٥ وجعله غيره من جاء بعده ٥٥ وهو آخر ما جروا على اعتباره .
 وقد بنوا على ذلك مباحث وتفصيل شتى في تعيين المناطق والفصول وطول
 الايام وقصرها وما يتبع ذلك من التفاوت في الحر والبرد وحالة الاحياء هناك
 من النبات والحيوان الى غير ذلك من الاحوال المترتبة على هذا الموضوع الى
 ان اعلن شابابادلي الفلكي الايطالياني سنة ١٨٩٠ نتيجة مراقباته الطويلة
 فزعم ان هذا السيار لا يدور على نفسه الدورة اليومية ولكنه في دورانه
 حول الشمس يوجه اليها احد صفحيه على حد حال القمر مع الارض وعليه
 فيكون احد نصفيه معرضاً ابدآ لاشعة الشمس والنصف الآخر في ظلمة دائمة .
 فكان ذلك مدعاة للفلكيين الى معاودة الرصد والتحقيق فمنهم من وافق
 الفلكي المذكور ومنهم من نازعه والى الآن لم يقع الاجتماع على رأي في هذه
 المسئلة الغامضة ولا سيما وان السيار على ما ثبت لهم بالمشاهدة وتحليل الطيف
 يسمح في ضمن حجاب كثيف من جوّه المتلبد بالابخرة والغيوم بحيث ان اشعة
 الشمس تنعكس على هذا الجولا على سطح السيار وحينئذ فان هذا الامر يبقى
 محجوباً بحجاب الريب الى ان يتلطف ما هناك من الابخرة المتكاثفة ويشف
 عما تحته ولعل ذلك لا يتم الا في الوف من السنين والله اعلم .

جمل ادبية

لاحمد افندي فارس

من عاشر الناس وقام فيهم مقاماً مشهوراً وحل منهم محلاً مذكوراً
وجب عليه ان لا يقول لهم لا الحق وان كن في ذلك العبء لاشق فان
الحق ثقیل بالطبع على سامعه وقولته وراويته وناقله وما تكاد تجد واحداً
من الف من الناس يرتاح اليه او يعوج عليه فقد الف الخلق منذ القديم
اللهي بالا كاذب فلم يبق لهم من دونها خلاق من الصدق ولا نصب
ومعلوم ان ما جاء مخالفاً للطبع تشتمز منه النفوس ويشبوه عنه السمع واست
اعني باصحاب هذا المقام المشهور من قلد امور الجمهور من اصحاب السيادة
والرئاسة والحكومة والسياسة فان براعة هؤلاء انما هي في كتم ما في ضميرهم
واخفاء الظاهر من امورهم على ما يقتضيه منصبهم ويوجهه ما ربههم وانما اعني
تواظ والخطباء والمؤلفين وكتاب صحف الانباء فهؤلاء مكفون من قبل
الباري تعالى الذي افاض عليهم فضله وتوالى بما اتاهم من الحكمة وفصل الخطاب
واهلهم للاطلاع على الحقائق من دون حجاب بان يبالغوا الناس اجمعين
كلام الحق المبين فان سمعوه فقد نالوا اربهم الى قصواه وان تولوا عنه فاجرم
على الله وبقى ما قالوه وما كتبوه شاهداً لهم فواهاً على انهم ادوا الامانة بحق
موداعها ولا غرابة في ان من اخلدوا الى اللذات وتشاغلو بالترهات يعرضون
عن سماع انذارهم ويظلمون عاكفين على اوطارهم وانما الغرابة في ان ينكر
كلامهم من قام مقامهم ورام مرامهم وهو كشف نقاب الغواية عن افهام
الناس واطلاعهم على الحقائق من دون التباس وقد كان ينبغي لهم ان يكونوا
جميعاً كالحاذقين بالآلات الطرب فانهم يتواطون مع اختلاف الآلات على

ضرب واحد ونعمة واحدة وبذلك تمام الارب فاذا راي رئيسهم من احدهم
خروجاً نبيه الى المتابعة وارشده الى المواضع والاحكم عليه بالجهل والعصيان
واخرجه من زمرة ذوي الاحسان ولكن من عساه يكون رئيس هؤلاء
الكتاب الذين يهدون الناس الى الصواب او زعيم اصحاب الخطب الذين
يامرون باتباع ما وجب وينهون عن مجاوزة حد الادب وكيف السبيل الى
ابلاغ الحق وارضاء الخلق ام هل يجب السكوت في مثل هذه الحالة والاغضاء
عن فشو الضلال وهل يظن من فعل هذا وانفرد عن الناس في قوة جبل ان
يسلم من العذل (جمع عاذل) ولا يقيض له من عين الجاد ما يكون له ضدًا
من شر الاضداد وحينئذ فما احد يسمع شكواه ولا يرثي لما داهاه مع انه لا بد
في المعنة من بث الدعوى ونث الشكوى ولو لم يعقب ذلك سوى اظهار التوجع
واشعار التفجع لوفى وكفى فلا بد للانسان من صديق يشكو اليه وحيم يعتمد
عليه ولهذا يحرص على ان يكون له اهل وذرية واخوان فانهم في المحنة خير
سلوان ثم افكر واقول ان من كثرت اخوانه كثرت اشجانه وان مخالطة الناس
توجب البؤس والبأس فان الماء الناصفي الموردمتي كثرت عليه الورد تكدر
والثمرة الناضجة متى لمستها الايدي الكثيرة قاناها المذروقد قلوا ان السلامة
في الوحدة والمخالطة مفسدة للصفاء اي مفسدة ولقد طالما فكرت في امر
النسك والزهاد والرهبان واعتقدت انهم اغبط نوع الانسان لانهم قطعوا
علائقهم من الدنيا وتركوا همومها لذي القينة والتقوى وعاشوا عيشة اهنأ وارضى
فليس لهم هم في المكاثرة والمنافسة والمفاخرة فكل ما اتهم من رزق شكروا
عليه وما يأتهم الا ما تجنح النفس اليه ثم افكر واقول انه حيثما اجتمع بشر انفتق
شران وانه لا يمكن لاحد من هؤلاء ان يعيش منفرداً وحده او يلزم حالة

حرده فعبستهم اذا نكدة وصفتهم صفة الجبونات المتابدة وقد فاتهم الاجر
 العميم والثواب الصميم في ارشاد الناس الى الصراط المستقيم وفي تعريفهم
 لمعوج من القويم وتلك لذة لا يدريها الا من مارسها وغبطة لا يقدرها الا من
 لا بسها ثم اعود وافكر ان الخلق اعداء للخلق فلا يسمعون النصيحة ولا يقلعون
 عن الفضيحة فلا فرق عندهم بين من ضرهم ونفعهم ووضعهم ورفعهم وانهم
 يحبون التملق الكاذب والاطراء على المعاييب وتحسين القبيح وتشويه الخليج واذا
 قلت لهم يا قوم ما كانت لكم ان تخوضوا في هذا الحديث وتبتدلوا الطيب
 بالخبث فقد وردت به النواهي وقد خاض به اناس من قبلكم فمنوا بالدواهي
 ولا تأتوا ذلك لامر فان موارد وخيمة ومصادره غير سلمية قالوا اجئتنا اليوم
 لتعلمنا من العجاوات فما نراك الا ذا هبات فانت واحد ونحن جماعة فاي سلطة
 لك علينا واي استطاعة افانت وحدك على الهدى ونحن جميعاً سدى فان لم
 ترجع عن الفتن لنبلونك بالحن ان هي الا بدعة وان انت الامعة فما ظناك
 بهذا الجواب لمن تحرى لقومه وجه الصواب وظن انهم يشكرون له صنيعه
 ويحسبون نصيحته صنيعه فيا ليت شعري اي الخطئين اولى واي العادلين من
 العدل اولى ابعتزل الناس طراً ويعيش في البراري والجبال حرّاً ويتخذله من
 اهل الشنفرى اهلاً وينسى ما وجب عليه من وظيفة الارشاد فرعاً واصلاً ام
 يظل بين قومه هدفاً لللام وطيباً لاسقام الافهام فما احد منهم على سعي
 يشكره او على هفوة يعذره بيد اني اعلم امراً واحداً واياه اخرى عامداً او هر
 ان الله لا يضيع اجر الحسنين وانه تعالى قال فاصدع بالحق والمراد في كل
 حين وانه قدماً مني المرشدون بالتكذيب ورموا بالمعيب لكن الباري تعالى قىض
 من برأهم ولو بعد مماتهم وظهر صدق كلامهم وصالح انهم وذا انهم فاصبح

الساعون يستنبطون بهديهم وسنتهم ويسلكون على سنتهم وامتلأت الصحف
 من اقوالهم ولهجت بحميد افعالهم لا جرم ان من يغرس في ارض شجرة لا
 يتقرب ان يجني منها في الحال ثمرة وما جدير بمن قرا ودري وقدر الامور ويرى
 ان يكف عن البلاغ اذا علم ان ليس له عند سامعه مساع فرب كلمة اثمرت
 نعمة ورب محنة انقلبت منحة وضمنك عاد ندحة فما يغلب الايام الا من صبر وما
 يستوجب النعم الا من شكر وعلى هذا وطئت نفسي واسكنت حدسي عالماً
 ان رضى المتعنت صعب وان لزوم جانب الحق لا يضيره ثلب فاما من اثر
 رضى المخلوق على رضى الخالق وظن ان الشقاشق تغلب الحقائق فانه لا يلبث
 ان يرمى به من حاق فيقال له يومئذ لقد اوقعت نفسك وغيرك ايضاً في
 الغرور وعميت عن القول الماثور فيها ان من حالفتك على الضلال صار لك
 خصماً يرميك بالاضلال ويقول ان تظاهرك بالعمامة عن زيد وعمرو لم يكن
 الا عن غش وختر ومداهنة ومكر وان مدحك من لا يستحق المدح لم يكن في
 الحقيقة سوى عين الدم والقذح فابتدر لاصلاح ما افسدت واعتذر الى من
 اضللتهم الى ما اردت فما عساه ان يجيب به ويدفع عن حسبه الا ان يقول
 ان متاع الدنيا انساني حساب الآخرة وما هذه الحال من الاحوال النادرة
 فيا ويح من اضله هواه عن اتباع الرشد وظن ان يقدر عليه احد وقد رأى
 بعينه ما صارت اليه الفواة من قبله وما حاق بالضليل من سوء فعله وخطأ
 قوله وخطأ رأيه وخطر جهله ولكن كيف بدعى لاتباع الهدى من طمر
 الله على قلبه وبصره فلم يبصر قصداً ولا يذكر امداً ولا حداً ومن زعم المواربة
 ارباباً والرياء طلباً فحسب قائل الحق ان يبقى كلامه لمن بعده حجة ودليلاً
 ودستوراً يرجع اليه في ملات الامور جيلاً فجيلاً فيذكرون اسمه بالرحمة

و يسمون ذكره كأنه لهم المكرمات سمة وحسب قائل الزور اذا كبا به جده
وافل سعه ان يقال له فضح الله حاله وما قاله وكفى الناس اضلاله فهو ذا قد
جزى بعمله وخاب من امه ومهما يكن عند امري من خليفة وان خالها
تخفى على الناس تعلم

بعض البلاء ينتهي الى بعض

لا ديب بك اسحق

في مجاعة حلب سنة ١٨٨٠ *

هو الظلم حتى تظلم السماء بلاء فتنبت الارض عناء فلا تجد على سطحها
الا جسوما ضاوية في ديار خاوية وقلوباً تحترق في بلاد تحت رق
وهو الجهل حتى تضع الاخطار وتنفى الاقدار وتبطل المهم وتزول
القيم ويعفو العلم ويدرس الفهم ويستعلي الحامل ويستولي الجاهل وتخفض
الارؤس وتقبض الانفس وحتى ترعى

بكل ارض في شرقنا امماً ترعى بعبد كأنها غنم

يستخشن الحز حين يلمسه وكاد يرى بظفره القلم

قف بالربوع الدارسة المعاهد العافية الآثار وانشد هنالك عزماً اضاعه
الاهمال ومجداً اخفاه الخمول الابقية آثار في المعالم كبقايا الوشم في المعاصم
وابك العز وبنيه والفضل وذويه حتى ينبت الآس على القبور وحتى تسمع
اصواتهم من وراء حجب العصور بل دع النشد والبكاء في هاته الخطوب
الفادحة فلا نفع للشكى بنوح النائحة واقصد بنا مرابع النعمة ومصانع الرحمة

نسال فيها الاعانة ولا احسان لأسد غصها كلب الجوع ورام وقعت في
حبائل الفاقة واطنال يتنقون دموع المراضع يحسبونها البائناً فقد الف الغرب
الاحسان وتعود اعانة الانسان

واتل على كرامه ما جانا من خبر المجاعة في حلب وما بين النهرين فقد
بلغت الحاجة من اهل الشهباء ان النساء هتكن الستور وخرجن من وراء
الحدور وطفن بالقلمة صائحات معولات مولولات يلتمسن القوت لرجال
اضواهم الجوع فلزموا البيوت فخرج الوالي اليهن بوعود لا تغني عن الجائع ولا
تدفع الآمه فرجعن عنه آيسات وطفن بالاسواق يبعثن الرجال على الفتنة
قنوطاً من زوال المحنة فانقض هؤلاء على الافران يلتمحون الخبز لا ينتهبونه
اما ديار بكر وما ردين وسائر ما بين النهرين من المدن القديمة الشان فلم
تقف بها الشدة عند هذا الحد بل اتصل الموت باطرافها على مثل ما سمعناه
منذ عامين من اخبار المجاعة في بعض الهند واميركا حتى اكات اطراف
العصون واصول الاشجار

فمسي ان يكون لصوتنا الضعيف صدًى تردده الصحف الوضاء في
هاته العاصمة الزاهرة فيقبل اهلها على مساعدة المصابين ولا يضيع الله اجر
الحسين

سفر الطبيعة

لأبراهيم افندي الحوراني

الحمد لله على ما هدى بمعلمات الطبيعة وما ارشد بوحي الشريعة اما بعد
فان من الناس من وهموا ان معرفة اسرار الخلق تؤدي الى الكفر بالخالق
وذلك غير الحق عند علماء المغرب والمشرق . ولا يكفر بالله الا الجهول

وفاسدوا الانظار والعقول . فان سفر الطبيعة مصدر كثير من بينات السادة
الانبياء وادلة العلماء الاولياء . فقام ايوب الدليل على الواجب دراري الشهب
الثواقب وابان انها معلنات الله الاحد المحجوب كالنفس والثرثيا والجبار ومخادع
الجنوب . واستدل داود عليه بان السموات تحدث بمجده والفلك يخبر بعمل
يديه وابان المسيح رحمته الشاملة ونعمته الكاملة بانه يطلع شمس على الاخيار
والاشرار ويمطر على الصالحين والفجار . وامثال ذلك لا تحصى وبينات
المبروءات لا تستقصى . فسفر الطبيعة كتاب الله الاول والشاهد بصحة
الكتاب المنزل . تلتها الملائكة قبل ان تلاء الانسان وعجبت لما فيه من
آيات البيان وترنمت به الكواكب باطيب الالحان وهتفت جنود السماء
بالتسبيح لمهندس الاكون . وهو يشتمل على مجموع رقم بديعة ترنلها البرايا
باصوات رفيعة . فتعلم الامي الجاهل وتزيد حكمة القاري . العاقل . واليك
عدة من تلك الرقم العجيبة واساليبها الغربية .

حمد رقم سفر الطبيعة

اليكم يا اولي الالباب سفرأ عظيماً وطرساً قديماً يعلن الحق اليقين ابدعه قيوم
البرايا وفيه العطايا تبصرة وذكرى للعاقلين . كتاب محكم لا يحرف دائماً لا يمحى
ولا يتلف فتقصر عن افساده ايدي الكافرين . بيان لا يفترى ويعجز عن
مثل اقله بلغاء الورى فهو معجزة العالمين . رقمه الشديد القوي بقلم الازلية على
صفحات الابدية . منهاجاً قوياً للعابرين والغابرين . خطه بمداد النور على
رؤوس الاعلام وعظام الاجرام رشداً للناظرين يضيء ما توالى الليل والنهار
وتألفت السنون والادهار . نبراس لا يطفأ الى ابد الابد . فيه جلي
الجليات وخفايا الحفيات المبصرين والمفتكرين

يا مدعي حب البديع ولم تزل في غفلة عن مبدئات يمينه
 ما انت في دعوى المحبة صادقاً بل انت اول كاذب في دينه
 اتلوت سفر الكون واستظهرته وعرفت بعد الظن حق يقينه
 لم تله ولقد نقضت حقبة والسفر مطوية على مضمونه
 فكذبت في الدعوى فما من عاشق لم يتل سفر حبيبه في حينه
 رقيم الحدوث والقدم

سما ونجوم . وجو وغيوم وبروق ورعود وغيوث وعمود وعيون
 وانهار وانجاد واغوار . واعشاب وانجم واشجار وازهار وثمار . وما لا يحصى
 من الجمادات والاحياء . في التراب والماء والهواء . كلها صنع بديع قديم
 قدير حكيم . فيا هائمين في اودية الاوهام . متى توقنون انه لا بد من الازلي
 والا لزم الوجود من العدم . ولا بد من الابدي والا لزم انتهاء ذي القدم .
 ولا شيء من لا شيء . ولا نور من في . ولا حي من جماد . ولا حكمة في
 رماد . فنفي القديم ضلال وسقط من اجنة الخيال يقطع ان يقال بل ان بخال
 فانه اول صنوف المحال . وسنى الازلية لا يخفى على الضرير فلما عمي عنه
 البصير . فيا خاطبين في مجاهل الظلام متى تهتدون . فلا تتخذوا الباطل من
 الحق المبين ولا تؤثروا الوهم على اليقين . وتأملوا في حقيقة الكيان . وما في
 البرية من البيان . تؤمنوا بذي الازل . وانه علة العلل . ومكان فضاء
 موهوم فما قول بعضكم انه مادة الارواح وطينة الجسوم . ويقال في الزمان
 ما قيل في المكان . فلا فعل للايام والشهور . ولا حكم للسنين والدهور .
 فانحوا صريح الاحكام ان كنتم تدركون . اثبتون صدور ذرة هباء من
 العدم يبرهان انكم لا عجز عن ذلك من قبيل الدخان . واذا عجزتم عن اثبات

انه مصدر ذرة من الهباء فكيف حكمت انه اصل الارض والسماء المحتاجون
 الى الادلة في البديهيات والى المناظرة في الاوليات . وتفثقرون في ذلك الى
 بسط الاقوال وايراد الاصول وضرب الامثال وتدعون انكم فلاسفة العصر
 الانباء وانكم الاساطين الحكماء وخير المختبرين واحسن المبصرين ان آيات
 ذى الجلال على الاعلام فلما لا تبصرون . انه لو اطاعت البهائم الاقدام
 لاستحييت من تسطير ان مناشيء الموجودات الاعلام وان لا مسببات ولا
 اسباب واشباه ذلك من بدائع العجائب . تحذر النملة وطأة القدم وموجبات
 الالم وثقي الرئال . رواة النبال . وتأبى العيس وطس نار الوطيس فما بال
 كثيرين من الناس اجهل من الحوام والنعام والانعام . فيا اسفي على
 كثير ممن ينطقون . قالوا اتفق فكان وبطنت المعاني وظهرت الاعيان
 ودبر العالم بلا مدبر وتجلت الصور بلا مصور . افنخزن الريح بلا خازن .
 فتزن الكواكب بلا وزن . او تنسق اللآلئ بلا ناسق . فتخلق الدراري
 بلا خالق . هذا حديث خرافة . وهلم عرافة . وتخرصات اورجوم او
 هذيان محوم . ان القول بالرواء من الآل اقرب الى التصديق من ذلك المقال
 وادنى الى الافهام لو تفقهون . افان قبل لكم كانت السفن عن لا موجود .
 وصيغت من لا عود . ولا من عرض ولا جوهر ولا مما يعقل ولا مما ينظر .
 وانها تمخر على الماء بلا مجذاف ولا هواء . وبلا كهر بائية ولا بخار . وبلا
 شيء من الاعيان والآثار . وانها على احسن ائقان ولم تعمل فيها يد آله ولا
 يد انسان . وانها برزت اليوم من الرمس . ولم تكن فيه بالامس . فهل
 تصدقون . انكم اول من بهذا كذب وعنف وانب وهزي . واستهان وحاج
 وابان . وجاء بالدليل واكثر من القال والقليل واقام النكير ونادى النفير .

وصل . النصال وطلب النزال . فما لكم تثبتون للعالمين ما تنفونه عن السفين
فاتهبوا من الاحلام فالى متى تغفلون

ما كان من عدم شيء ولا عدم شيئاً وما صار من شيء الى العدم
والحدثات البرايا كلها صدرت عن حكمة القادر المختار ذي القدم
ـ رقيم الذات والصفات ـ

بايها الناس اطلبوا الهدى وتنبهوا وانقوا الردى واحرصوا على اليقين
وصحيح الدين ولا تشركوا برب العالمين فليس من آله سواه بديع البرية
والدليل وحدة السنة الطبيعية ولو ثبت الشريك انفتت الوحدة والوئام وفسد
ما في العالمين من بديع النظام وانقطعت الروابط وامتنعت الضوابط وامتاز
كل من الشريكين بصفة نقص او كمال فوجب نقص كليهما او احدهما في كل
حال وما ذلك الا من مواليد الخيال واول صنوف المحال فالله واحد فلا تعددوه
وغير متناه فلا تحدده وروح فلا تجسموه وليس بمادة فلا تقسموه فهو لا يخيّل
فلا تعبدوا صور الخيال . ولا يصور ولا يمثّل فلا تسجدوا لصورة ولا تمثّل
انه ذات حقة كل صفاتها كمالات فتزهوه عن الاشباه واحذروا مما يستلزم نفي
الذات او الصفات انه في كل الازمنة والارضاء وكل درة من الهباء وكل
قطرة بلا تعدد ولا تجز . ولا حصر في محيط من الغبراء والزرقاء . معتن
بكل البرايا بالقدرة والحكمة والحب والجود والحكمة يقود المبروات بازمة
القضاء المبرم وهي مجموع شرائع الطبيعة المحكم ومما قضى به الاختيار والارادة
فمن عدل عن سنن الخير المقدور ادركه الشقاء ومن جرّ عليه ادركته
السعادة فليتأمل العاقل وليتذكر فاهم فالرحمان عادل والديان ليس بظالم وما
من رزق تحت السماء الا للجهل او الخطاء او لشرك يعمي الابصار والشموات

تهتك الاستار ونقصر الاعمار وتولي الدمار . اللهم انك مصدر الاحسان
فالخير منك والشر من الانسان

الا يا ايها العبا داهل الدين والنسك
الى التوحيد ان رمت نجاة النفس من هلك
فبعض الخير في هذا وكل الشر في الشرك
اللهم ما اقل المؤمنين وما اكثر المحدثين وما اوفر المشركين وما اندر
الموحدين

ما اكثر الاصنام في ارضنا غير التي من نبتها والجد
فالبعض منا عابد عرسه والبعض منا عابد من ولد
وكم وكم من عابد شهوة منها رزايا نفسه والجسد
يا بني سوى الملهي مسجداً فلا يرعى الحسنة الا سجد
فردوسه حان وتسنيه دن وما في الدن مائة فسد
يا كل ارواح البرايا اعبدوا بالروح والحق القديم الصمد
ونزهوا الله ولا تشركوا بالله ان الله رب الاحد

﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ رفيم التمثل بالله ﴿تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾

التمثل بالله في الفضل المقدور كل السعادة ومزاوته كل الشرف والسيادة
ان الله قدوس فتقدسوا واعتزوا الاثم فلا تدنسوا والله عليم حكيم فاعلموا
واحكموا وحليم رحيم فاحلموا وارحموا ومحسن كريم فاحسنوا واكرموا
وصبور فاصبروا وغفور فاغفروا وادفعوا بالنفع ضرراً وادروا بالخير شرراً .

وادرکوا ما استطعتم من محاسن الکمال واحاسن الافکار والاقوال والافعال
فذلك هو النهج القويم . وسنن دين ابراهيم والنجاه من الجحيم . والفوز
بجنات النعيم

يا من يخاف الموت جهل مآله فيظلل يحزن والسوء يتهلل
ان رمت علم مصير نفسك بعدما تلقى الردى فانظر بما تمثّل

رفيم الجزاء وعلة الشقاء

الجهل مصدر الارزاء ومبعث الادواء ومدفن الاحياء فلا سعيده ممن
يجهلون . واعلم الناس من درسى انه جاهل وايقظهم من علم انه غافل .
واكثرهم معالهم مجاهل وهم كلهم يعذلون . لا اثم بلا عقاب ولا بر بلا ثواب
وكل البلية في اخطاء الصواب ولكن الغافلين لا يعقلون . ان الرذيلة حلي
ولود معاً تلد هواناً وخسراناً ووجعاً ولا تفك النوازل الا راذل تبعاً فالذين
لا يقتلون الرذيلة يقتلون . اسرف مثر فافتقر فهان فيئس نخدع ومان ونهب
وسرق وخان فسجن ولعن وكان عبرة لمن يتأملون . ونشط معام واجتهد
وصبر واقتصد فائس ومجد وقصده المسرفون يتسولون . وكأي من سكير
اضنى جسده واتلف كبده ويتم ولده وغادر اعزته يتذللون . وكم صاع عف
وعل فاسق وسربر وسي سارق وزل باغ وعز صادق فلينظر الناس في
عواقب ما يفعلون ان المسبب يعرف ما هو من السبب فلا يتبغي البرد من
اللب وانك لا تجني من الشوك العنب فاعمل ما يحسن ان تعمل وعلم الذين
لا يعملون ما يعملون . ووحيد الله ولا تشرك به سواه ولا تسجد لصورة ولا
تمثال له ولا شيء ما صنعت يده ولا تحلف باسمه باطلاً وقدس ذكره

وقف له سبع وقتك تسترح ولا تكن من يفلون . واكرم والديك وثق ولا
 تقتل ولا تسرق ولا تزني ولا تفسق ولا تكذب ولو على من برهم يعدلون
 واهرب من مضلات الشهوات والافكار واهجر العقار وكل ما من شأنه
 الاسكار واعتزل ما استطعت القمار والنشط وادأب واسع ولا تذاكل من
 يكسلون . فيا ايها الناس ان سلكتهم سواء امنتم البلاء وادر كنتم العلاء والا
 فانتم في الجحيم تسفلون . جهنم اشير حيث حضر فما له من نارها من وزر
 فلا مكان ليس فيه صقر ولا يفتأ السفهاء عن وادي لظى يسألون . وكم من
 ائيم ينفيا وهو يتقارب فيها فلا اغفل ممن يصطفيا ولا اجعل ممن يعطلون .
 يا عجباً لقد جن اكثر العقلاء وادعى اشد هم جنونا انهم اكابر الحكماء ولا مواء على
 البلايا حكيم القضاء وغازوا في لجج الآثام ونوفوا انهم يتبطلون . يا اشقياء ما
 علة شقايتكم الا عدم ولائكم وظلمكم لابنائكم وابائكم واصدقائكم واعداكم
 وتعديتكم شرع ربكم وانبيائكم فلم يبق لكم ما به تعملون * خالفتكم في النعماء
 اخواناً وعلى البأساء اعدواناً فتعاديتكم على تخرصات اتخذتموها ادياناً فاصبحتكم
 الارزاء ظهراء ودين الله واحد فعلى الباطل تقتلون يا آدم ويا حواء لقد
 صبغت بدماء ابنائكما الغبراء فلو عدتما الى الارض والتفتا امامكما العبياء
 لتمنيتما ان من نسلكما لا ينسلون فاختلفا ونزاع وهجوم ودفاع وصراع وقراع
 وطغاة ينسلون وفتيان تجدل وفتيات تهمل وكهول تقتل وشيوخ يستبسلون
 ونساء تسبي واموال تسلب وحصون تدك وصروح تحرب وامهات تنوح
 وامهات تنحب وعرائس تقيم وعرس يرحلون وجروح وصدوع ونجيم
 ودموع وبرد وعري وقحط وجوع ومراضع تضوي ورضع يهزلون فالعداء
 العداء والاخاء الاخاء واغتموا التحذير والاغراء فان قبلتموها اصبحتم ائتمالمون

وان رفضتم شقيتكم وكأس سم سقيتم وكل خزي لقيتم وخاب ما تأملون
 فمن يخزي يلقى خيراً ومن يضر يلقى ضيراً ومن يسر فقيراً يسر واولاده يزجلون
 فيا معشر الاغنياء احسنوا الى الفقراء يحسن اليكم غني الغبراء والزرقاء ويضاعف
 لكم عوض ما تبذلون * ان بني غبراء عياله واموالكم ماله فجودوا على عياله
 ببعض ماله وان الرحماء رجاله وان الحسين آله فارحموا واحسنوا تصبروا من
 رجاله وآله والبخل باد وباله وشر خبل خباله فاحذروا من وباله وخباله والله
 جل جلاله كاف وواف نواله فانيلوا بعض ما منه تنالون . اغني الله انساناً
 ليكونوا من عبده واحسنوا وشكروا فعبدوا المال دونه واساءوا وكفروا
 وظلموا البائسين وتجهروا عليهم وتكبروا وافتخروا واهانوا بل كانوا يجبلونهم
 لآبائهم الذل ويخجلون . فقلت شهور الفناء والفناء وحلت دهور الأسي والبكا
 فثمت بهم المعدمون واستهان بهم اهل الثراء فلافوا جزاء ما كانوا يكفرون
 ويظالمون ويخجلون . واول علل الشقاء الجهل والغفلة فانهما والدا الاثم
 والحرب والخصام واول علل السعادة العلم والانتباه فانهما والدا البر والسلام
 والوئام فاعلموا وانتهوا تمسوا وتصبحوا خلافاً للامن والسلام ولقد كررنا لكم
 النصيح لعلكم نقلحون بأنكم به تحفلون

اعلم هديت الحق واعمل به	ولا تخف من ليس من حزبه
والحق ما ليس له غالب	فلا تمل يوماً الى حربيه
كم ظنه الاغرار مغلوبهم	وهم اسارى الويل من غلبه
كذي خمار يدعي قوة	من مسكر والضعف في شربه
والعيش دون الحق موت فلا	يحيا الذي لم يقض في حبه
وماله في الارض من تاصر	الا الذي لا زين في لبه

وما له من عارف غير من ما ران من ريت على قلبه
 كم مدع حقاً وما عنده من حجة الا على كذبه
 ويدعي التوحيد مع انه قد اثر الدنيا على ربه
 ويدعي برأ كثيراً وما دعواه الا النذر من ذنبه
 فاعلم ولا تأثم فتوق الاسى والجاهل الا ثم في كربه
 هذا طريق الله في خلقه فاعلم هديت الحق واعمل به



الدنيا وما فيها

لا ابراهيم افندي منذر

محفل السيدات والسادات خير ناد رأيت في حياتي
 جمعهم بد على الدهر باد فضلها باستدراها الصدقات
 تلك شمس للبراية شمس ضوءها رحمة لذي النكبات
 ضمدت جرح كل من لفظ الد هر واخني عليه بالحادثات
 لا برحتم يا عمدة الخير كنّا للندی والآداب والمكرمات
 في حمى سلطان الوری الفاض الا حسان عبد الحميد رب الهبات
 وسلام بتلى على كل ندب ذكره العذب عاطر النفحات
 ما هي الدنيا ؟

هي الارض التي يبرز اليها الانسان غارياً فقيراً وطفلاً صغيراً حقيراً
 فتكسوه لباساً وتنقده مالا وتعطيه غذاء فينمو ويكبر وحينئذ يراها بمخيلته لا بام
 عينيه كما تصورها له الحقيقة او كما يصورها الوهم فهي لديه حديقة غناء تجري

في وسطها الانهار وتغرد على اغصان اشجارها الاطيار ويفوح من ازهارها نشر
العبير وينساب في جداولها الماء النير متفرقاً على حصباء كالدربل انقى والاثار
على اختلافها متدلية على اطراف الاغصان مما يبتهج له الخاطر ويقربه الناظر

واريج الازهار ينعش قلباً من وجيب الحدثان بات حزينا
والندى فوق العشب يلمع من نور ذكاء بها فيجلي العيون
وير النسيم يعبث بالاوراق عند الضحى فينسي المنونا
وخرير المياه في الصبح ممزوجة بالحن المزمار يقضي الشجون
بل هي ملعب للتمثيل يمثل عليها مضحكة « كوميديا » تجمع بعضاً من
ذوي الهزل والمزاح يسرحون ويمرحون ويفوهون بكلمات كل مافيهما هزء وسخرية
وحامض ومجون ولعل لهم من وراء ذلك رموزاً وهم لا يشعرون

هذا تراه ضاحكاً ورفيقه يشكو الطوى واخو الهوى يترنم
وكلامهم مزجت حروف هجائه من كل السنة الورى لا يفهم
بل هي موءسة يظهر بها الفقير بلباس الفقر والامير برداء السلطة والخائن
بثوب الخيانة تمثل نتيجة الظلم والوشاية والحسد وتضع البريء على مذبح
الاستشهاد ضحية الطمع والدعارة والاثرة وقد تنتصر الفضيلة فيجاهر نصرها
بها ويرد كيد الباغي في نحره او ينقلب الامر فيخفق مسعى كل ندب كريم

يتنازع الاخوان امراً فيه اعلاء المقام
والحق قد يعمل في الرؤوس كفعل صهباء المدام
حتى اذا ما فازوا ش نافثاً سم الكلام
نلقى البريء على الوها دمجرعاً كأس الخمام
بل هي حياة الآمال ومناط الاستقبال وحركة دائمة للاشغال هذا يسبح

وذلك يشتري وذلك يمتل للرج وآخر يضرب اباط المسالك ويركب متون
البحار في طالب الرزق وجميعهم :

ما بين لص ليس يرعى ذمة في البيع بل لحى الحرام يبادر
واخي حجي حر يسير بشغله والصدق ديدنه وهذا نادر
بل هي مرتى الجيف وجمع الاقدار ومنزع الاخطار ومهب العواصف
ومصدر النوايب فهذا قتيل في حرب اثارها ارباب الطمع وهناك جريح
لا تنشف له دمة وهناك ارملة وايتام يطوون الليالي الماء وتحرقاً

مثل لعينك ساحة الحرب وقد انجلت بالطعن والضرب
فترى بها هذا صريع فنا ونجيه يجرى على الترب
وفؤاد ذي اوتاره قطعت حزناً على زوج ندر ندب
وحبيبة تبكي فتي عقت بهواه اردته ظبي القضب
تباً لدنيا كلها حزن يقضى عزيز العمر بالنذب

بل هي ملقى اشعة الكواكب الجوية والدراري البهية ما بين كبيرة لقربها
تحيينا بالنور وتكشف عنا غياهب الديجور وبين صغيرة لبعدها تلالاً في القبة
الزرقاء تدل جميعها على حكمة غريبة ونظام عجيب وتسابق الى اقاء الاشعة
على بني البشرية فينظر اليها المتبحرون نظرة تنعكس بها اشعتها الى قلوبهم فتزداد
نيران هيامهم اشتعالاً

كلها ياقوم في افق الملا ثم ادنى وبرايا نحوها مدوا الطلى بانذهال
عبدوها الذراوا هضبا الملا والوهادا انما النور بها منها على كل حال
ولذا خير منظر في البريه ان تراعي الكواكب الجوية
ذلك يهوى البدر المنير وهذا هام من وجدده بشمس مضيه

وترى آخر ازدرى بسناها يقسم الحب بينها بالسوية
بل هي مقر الصوامع ومجتمع النساء وملقى ارباب التعبد ما بين اصوات
رخيمة تشق بالتربيل والتسبيح كبد الفضاء وتبعث في النفوس رهبة وخشوعاً
وبين اجراس ونواقيس يرن صداها في ثنايا الاودية فتذكر الانسان بما كاد
يطويه في زوايا النسيان

هذا اذا اعتبرنا حياتهم حياة نسكية مقصورة على تمجيد المبدع العظيم وارشاد
النفوس المتعسفة لاحياة خمول وطمع واثرة

فهم على طرفي نقيض	دأب بعضهم الحقيقة
والبعض ند عن الهدى	فهوى ولم يعرف طريقه
بون عظيم بين ذاك	وذا لعقال الخليفة
ذاك ارتدى ثوب الكما	لربات كل ند صديقه
والآخر اتخذ الشنا	رفبش خطته الوبيقه

بل هي معترك الاحداق ومضمار لتسابق فيه جياد ارباب الصباية والهيام
ما بين حبيب براه' الوجد وحبوبة اضناها البعد وبين واش استنفد الحيل انتقاماً
وعاذل ملا' الفضاء كلاماً وبين سعيد ظفر بضالته المنشودة او عميد عز' عليه
الدواء ففتك به الداء فذهب شهيد الغرام ولسان حاله يقول

منظر العاشقين اشأم منظر	كل قلب يدري الهوى يتفطر
لست تلقى المحب الا ضيلاً	دامع الطرف ذاهلاً يتحسر
لا يبي قول عاذل غير ان	البدر امسى لديه خلا اكبر
فهو يرى النجوم طوراً وطوراً	يتهادى بين الرياض محير
والنوى في الاحشاء تلذع لذعاً	فيذوب الفؤاد منه ويصهر

آخر الوجد والصبابة رمس آه لبت الغرام لم يك يفطر
 رحم الله كل صب معنى والحلي الفؤاد ان لام يعذر
 بل هي مركز الآداب الاجتماعية ومطلع انوار الحكمة والعلم ونادي
 الجمعيات الخيرية الادبية فهنا محفل يضم ربات الحسن والاحسان وارباب
 الفضل والادب وهناك مكتب يتباحث ذووه بتقديم العمران ورفاهية السكان
 وما تسنى لهم من ذرائع الراحة والسلام

وهناك جرائد ومجلات يتبارى كتابها في ميدان القلم وما ادراك ما القلم ؟

فهو البراع به الفصاحة ثنجلي وكذا البلاغة ضمن اقوال دُرَر
 نجح البلاد يلوح بين ضلوعه ويقوم بالامر العظيم اذا استمر
 وبه يدون كل امر خوف ان تودي به ايدي التهامل والغير
 ان رام سلماً بالانام يفز به اورام حرباً هاج اصناف البشر
 ينهي ويأمر وهو ابكم انما روح التمدن بين شقيه اسنقر
 فهو المجبر لكل من طلب العلا وهو السميع لكل من الف السهر

بل هي الحياة وهي الممات وهي النور وهي الظلام وهي فصول تنقضي فتتقضي
 معها الآجال ما بين صيف يمثل مجد الغني وشتاء يمثل دمع الحزين وخريف
 يمثل ذبول الحياة وربيع يمثل زمن الشبيبة وزهرة العمر

فواهاً للربيع فقد اتانا يلوح بيرده الزاهي الظريف
 به تكسى الحدائق ثوب زهر وتبرز فيه ربات السجوف
 وغادات يقفن بكل مرج فيا الله من ذاك الوقوف
 يصوبن السهام الى قلوب بالحاظ احد من السيوف
 فاهلاً بالربيع بكل عام وتباً لشتاء وللغريف

هذا ما خطر لي ان اصف به الدنيا وما فيها فاذا شاء غيري انه يزيد وصفها
فله ان يفعل ولكن ليس هنا بل في بيته لان الوقت قصير والخطبا كثيرون اما انا
فماذا اخترت من كل ما فيها ؟ ...

عند ما رأيت نور الوجود وسمعت ضوضاء العالم وجلبة ابناء آدم تمثل لعيني
ما يمر على الانسان في حياته الدنيا من يأس وامل وبؤس وجذل وما يتراوح
بينهما من التمنيات الكثيرة مما يجعل الانسان غارقاً في بحار التأمل والحيرة
وناضراً بعين الاعتبار الى حياة تحول كتحول الظل وتنقضي كانهضاء الآجال
وهناك فريق يراها مع كل ما يحيط بها وهماً زائلاً وفريق يراها مقدمة لغاية
ليس بعدها غاية ينال بها كل امرء جزاء ما قدمت يداه . وليس لي ان
ابحث الآن فيما يرجح صحة احد الرأيين على الآخر والاخذ به دون سواء وانما
اريد ان اقتصر على سير المرء في دنياه واتبعه بما رما يستعين به في اخراه ...
على اني بعد تلك الفترة التي جمعت بها العالم في لحظة نقلت علي الادوار
الاولى وقامت حولي فئة تقبلني عثرتي وتسترضيني عند بكوتي وتجلب مايجلب
سروري وتنقصي ما يسبب كدري ونفوري حتى آزف الوقت الذي به ان ان
استقبل دواعي الشقاء فاذا بادلي قد القوني الى جانب طاولة رأيت عليها شيئاً
رثاً احنت ظهره الايام واخلفت جده الاعوام ولكنه لا يزال يظهر بظهر
الفتاء فيبدي من الضعف قوة ومن قدم المهذمة فرأيت ثوبه قشيباً وعاليه
من انوار الصور اللطيفة ما دفعني الى الميل اليه والتردد عليه والتعلق به والجلوس
تجاءه معجباً بظرافته وحسن تفننه غير انني كنت ارى رغماً عن تلك التبرجات
خطوطاً سوداء قائمة على صفحة وجهه تدل على شحوبه وضنكه الخفي فكان
ينقبض صدري من تلك الخطوط السوداء وعلى الخصوص لاني وجدت حولي

من يكرهني على عهدها واسماؤها المتنوعة واشكها المختلفة التي يعجز ابليس عن ان يأتي بمثلا ولكن شدة بهجتي بما حولها من صور الحيوانات والطيور والازهار كانت تحول نظري وثبت سروري فاغاط نفسي واقبل عليها لامتنع بما فيها من دقة الصنعة والجمال

بيد انه لم يمض علي زمن يسير حتى تغيرت بي تلك الاطوار وعكست الآية معي وصرت اذا قابلت ذلك الشيخ اجرده من تلك التمارق المزركشة والصور المزخرفة وانصب بكيتي على خطوطه السوداء فادرسها درس باحث منفحص عما وراءها من الرموز والآداب العظيمة = ذلك الشيخ المهيب ايها السادة هو ولا اخالكتم تجهلون . . هو الكتاب

الكتاب هو الذي وجدته على الطاولة وكنت ازوره كل يوم فارى به غير ما ارى اليوم . . الكتاب هو الذي رأيته بقلب الشيخ وصورة الفتى وصوله الكمي . . . لتقلب الايام ويقوم الابناء مقام الآباء وذلك الشيخ بقي في الوجود ظاهراً بمظهر الشباب . تلك الخطوط السوداء بل الكلمات المتقطعة بل الحروف الهجائية التي كان يخاطبني بها ذلك الشيخ وهو معقول اللسان ما لبثت ان جمعتها فكرتني فالفت منها حكماً وآداباً رايتها نبراساً يضيء حياتي ويمهد سبل السعادة الحقيقية امامي . . . الحاكم والكاهن والكاتب والتاجر والصانع والزارع . . . كل واحد من هؤلاء لا تستقيم غاياته ولا يحكم اعماله بدون الكتاب ذلك الكتاب ايها السادة هو شيطان الصبي في صباه وحبيب الشاب في شبابه وسمير الكهل في كهوله وتعزية الشيخ في شيخوخته . يرى به المرء معزياً في المآثم ومونساً في الولاثم يتعلم منه الصبر والتواضع والحلم والنشاط والشجاعة والكرم والمجد والشرف . . بل يعلم منه وهو في زاوية غرفته جميع ما في العالم

ويتبع سبر الامم فيقابل بين ماضيها وحاضرها ويحكم بالاستقراء على مستقبلها . . . تولى الجمعيات وتعقد الجلسات وتقام الحفلات وتنادى المعاهد العلمية لنشر مضمون الكتاب وتعميم فوائده واطلاع السواد الاعظم عليه ولقد صدق من قال

اوفى صديق ان خلوت كتابي الهوى به ان خاتى اصحابي
لا مفشياً سرّاً اذا اودعته وافوز منه بحكمة وصواب

ونحن انما اجتمعنا هنا لحفلة ادبية شائقة اعتادت هذه الشمس المضيئة ان تجتمعنا كل عام لمثلها فتختنا على مطالعة الكتب النفيسة والجرائد الادبية . . . وقد خصصت لذلك منتدى « اعنى به غرف القراءة » تؤمه الناس من كل طبقة فضلاً عن الحفلات الصغيرة التى نقيمها فيه متوخية بها بث الآداب الصحيحة بين ابناء الوطن العزيز

ولكنها تريد ان نسمعنا فوق كل ذلك صدى روح لطيفة تضم عواطفنا بها الى عواطف المسكين وتمثل امامنا اوجاع البائسين مما لا يشعر به الا من سار معي بمنطاد الفكر الى حديقة انيقة قام في وسطها قصر شاهق تجول فيه الخدم والحوال ويركب سكانه الجياد المطهمة ويأكلون المآكل الفاخرة ويسرحون ويمرحون ثم يبيتون والانس اليهم والمال بين ارجلهم يدوسونه ولا يشعرون . . . في ذلك القصر العظيم يسكن الغنى . . . ثم تنتقل من هناك الى برية مقفرة لا ينبت فيها عشب ولا يجري بها ماء ولا يرفيها هواء ولا تضيء عليها شمس ولا يزورها شخص ولا يجودها غيث . . . هنا ياسادة في هذه البرية المقفرة يسكن الفقير . . . هناك ذكرت لكم قصراً وخدماء وعبالاً وهنا لم اذكر شيئاً من ذلك وقد تعاميت حتى عن العيال ولا اقول ان ليس للفقير عيال وانما

عددتهم عندما وهل يصح ان يعد مع الاحياء الشخص تيت على الطوى وتصرف
اوقتها بالتحرق والالابن ٠٠٠؟ والله سبحانه وتعالى لكي يجعل شقاء الفقير عاماً
كثراً اولاده ليزداد شقاء على شقاء ويحرم كثيراً من الاغنياء اولاداً لو
وجدوا العاشوا من فضلات فضلات الاموال ٠٠٠؟

الغني يا سادة غني بالمال والرجال والعقار والطبيعة تساعد بهواهها فتهبه
نوراً ساطعاً وماءً زلالاً وهواءً عليلاً والفقير فقير الى المال والطعام واللباس
والماء والهواء والنور ٠٠٠ ولرب فائل يقول : الشمس شمس واحدة للغني
والفقير معاً والهواء واحد لكليهما والماء واحد للثنتين فكيف لا يرى الفقير
النور ولا يستنشق الهواء ولا يروى بالماء ٠٠٠ ولكن عفواً ايها السادة فليس
السرف في العين والاذن والانف والفم وانما السرف في القلب فمتى كان القلب مضيقاً
كقلب الغني يرى كل ما في الدنيا من البهجة والسرور حتى انه يرى الليل
نهاراً تضيء له به الانوار الكهر بائية وتصفو له السماء وتروق له الارض وتفيض
ينابيع المعمور جوداً وخيراً - ومتى كان القلب مظلماً كقلب الفقير نظلمت الدنيا
في عينيه وتصم اذنيه وتسد انفه وتعقل اسنانه ولكنها تطلق فيه شيئاً واحداً
تجاه كل ذلك وهو دمعه ٠٠٠ يبكي الفقير عند بزوغ الفجر وعند مغيب الشمس
وعند اسدال سحيف الظلام ٠٠٠

للغني يا سادة الدنيا وما فيها اما الفقير فليس له ما يسند اليه رأسه او
يسد به رقبته

« ٣ »

هذه هي الجمعية الوحيدة التي جمعت بين التهذيب والاحسان وهي التي
تبث روح الالفه وتكشف اسرار الاداب الصحيحة باذلة الوسم في هذا السبيل

ممهدة اياه للآخرين ليكثر النفع وتعم المحبة وبغدو عمل الخير وقراءة المعيدة وحضور الحفلات الادبية امراً عادياً وسبيلاً مطروحاً يسهل على كل السير فيه اقتداءً بغيره من ابناء جنسه . واعضائهم ليسوا شيوخاً مرّاً عليهم من النشاط وتولى عمر العمل بل هم شبان في ابان عمر العمل والنشاط مملوون دماً حاراً لا ينثني احدهم عن عزمه ولو وقفت الاهوال حاجزاً دون اتمام رغائبه والخطيب الواقف امامكم الآن كان يحضر حفلات الجمعية السابقة بشوق وفرح ولقد سمع تناشد الاشعار في الليلة العكظية ومباحثات الفضلاء في المواضيع الادبية وهو يعرف الجميع والجميع لا يعرفونه بل كان يجلس الى ناحية ويسمع بملء اذنيه كل عبارة وكل كلمة تدور على الالسنه في الحفلة ويخرج مع الخارجين وهو يردد في ذهنه كلام هذا ودفاع ذاك ولم يكن يدور في خله انه يقف اليوم فيما بينكم فيخطبكم عن « الدنيا وما فيها » ويصورها لكم صوراً شتى تبهج تارة وترعب اخرى

وهنا تبادر الى ذهني ذكر كتاب (آفات المدنية الحاضرة) فعظمت في عيني الخدمة التي قامت بها هذه الجمعية نحو ابناء الوطن ولكنني عدت فاسفت اسفاً شديداً لضياح الوقت سدى بتأليفه وطبعه ولو صرف المبلغ في ضمد جرح بائس او سد رمق جائع لكان اولى . لا لأن الكتاب لا يفيد بل لأن المجموع لا يفهم بعد نتيجة الحفلات الادبية والمقالات التهذيبية وما يرمي اليه اصحابها . . . ارى في الكتاب تويخاً للسكير والمقامر والفاسق وغيرهم وهو لاه لم يقرأوا الكتاب ولم يعرفوا ما فيه لينتصحووا بآدابه - لدى طبقان من طبقات الدنيا وما فيها من جنس البشرية : طبقة مثرية اثراء صرفها عن روية كل امر غير المال وطبقة منخطة لقلل وقتها بالدعارة وارتشاف

بنت الحن ، وهذه لا ترتفع رتبة عن طبقة بين الغبراء . لان اربابها سائرون اليها وهم لا يشعرون ، وكلتا الطبقتين بعيدة عن مطالعة الكتب النفيسة بعد السماء عن الارض

ونقد تنشر المجلات والجرائد مقالات ادبية وشذرات حكمية وخطرات افكار حية وكل هذه لا يقرأها الا المتأدبون وهم في غنى عنها . اما الموجهة اليهم فلا يعيرونها التفاتاً ولا يسمعون بوجودها في العالم

ومن ينصب نفسه لمثل هذه الامور ؟ هو الكاتب . . . ومن هو الكاتب ؟ هو شمعنة تضيء للجمهور وتذيب نفسها حرقاً = هو شخص بل خيال شخص يحبي لياليه في كتابة مقالة او نشر كتاب مفيد او نظم قصيدة ادبية وقد احدودب ظهره وشحب وجهه وضعف بصره وذبات نضارته في عنفوان صباه وهو دائب في البحث والتنقيب عن كل نفيسة فيضمها الى سفره المحبوب ثم لا يكون حظه من ذلك كله الا كساد بضاعته واعراض الناس عن موهبته « فمسيكين الكتاب كلما امتلأ دماغه فرغ جيبه » وربما خيل الى البعض ان ذاك البشلك من ثمن الكتاب او تلك الدريهمات القليلة من بدل المجلة او الجريدة هوة عظيمة فاغرة فاها لا ابتلاع من يدنو منها او نار محرقة تلتهم من يمسها او يحاول القبض عليها تلك حالة تثبط الهمم وتقف حاجزاً دون تحقيق الامل باحياء النهضة الادبية وتنشيط القائمين بها

غرف القراءة موجودة في الثغر فمن يتردد اليها ؟ من يجب معرفة الاخبار وهو غير مشترك بجريدة ما او لا تمكنه حالته المالية من الاشتراك بكثير منها وكلهم من الطبقة الادبية الوسطى اما الاغنياء والمنعمسون في الملاهي فلا يحضر منهم احد « مع ان مطالعة الجرائد والمقالات التهذيبية انما هي لارباب

هاتين الطبقتين فلا غنياء يقرأون قواعد الاقتصاد ويسمعون من ورثتها انين
الجرحى والمعدمين فيجودون بيهض فضلات اموالهم « والآخرون اي الجملة
والسكبرون يقرأون القواعد الصحية ويمثلون نصب اعيانهم مايورثهم انهما كهم
في السكر والسهر وغيرها مما نجل القلم عن ذكره فيرعوون ان كان قد بقي
فيهم عاطفة او يخجلون من حالتهم فيقرعون سن الندم « وان فاتهم اصلاح
ذواتهم فلا اقل من ان يصونوا عيالهم ضاربين لهم من نفوسهم مثلاً وتاركين
لهم عبرة وذكرى

اما ما اريد ان اينه للجمهور فهو انه اذا فاتنا اصلاح الكبار فلا اقل من ان نفرس
هذه الافكار السامية في نفوس الصغار فان السكبر اذا ظل سكبراً فهل يجوز
ان يهمل ولده عائشاً في كنفه متبعاً خطاه ام نسعى لانتشائه من الهاوية وهديه
سواء السبيل ؟ ولا يتم لنا ذلك الا بالمدارس فهي العامل الاكبر على تهذيب
الامة وان تكن مدارسنا كثيرة بعددها قليلة بفوائدها . . .

والضربة القاضية على ابناء الناشئة الجديدة وان ارباب بعض مدارسنا
السورية يحظرون على الطلبة مطالعة الجرائد والمجلات الا ما كان منها متتبياً
الى مذهبهم او مطابقاً مشربهم ومبادئهم بدلاً من ان يطلقوا لهم حرية
المطالعة والاشتراك باية جريدة كانت ويحثوهم على نقدها ومجاراته كتبها
لتصبح فيهم الكتابة ملكة راسخة لا تطمس آثارها فيهم بعدادرا كهم سن
الشبيبة . ولم تخل بلادنا السورية من مدارس جرت هذا الجرى فعادت بنفع
جزيل لا ينكره الا من اعى التعصب باصرته وبصيرته

فالغاية من كل ذلك ان نوجد بالتربية الصحيحة الرجل الذي يحق ان
يسمى رجلاً اعني به من يحب للناس ليحب الناس له ويبدل عرق القرية في سبيل الخير

لعمام ويستكف عن بذل ماء وجهه في سبيل الذل والعار ونضغط على من
نكب عن جادة الصواب ونورط في ارتكاب المعاصي واستهدف للوم والتقريع
ومن يرش جناح الفتنة بمكره ودهائه فلا تدار العين منه الا الى مطعم ولا
تمد الراحة الا الى مغنم ونما مطعمه ومغنمه اغتياب الناس وانتهاب اموالهم .
مثل هذا يشوه وجه الحقيقة ويقف عثرة في سبيل النهضة الادبية للملافة
كل خلل يحول دون تهذيب النفس

ومن يجهل قدر النفس ؟ تلك الجوهرة الثمينة التي لا تكمل ولا
تشيخ ولا تهزم نراها في الولد زهرة عطرة وفي الشاب كوكباً لامعاً وفي
الشيخ ثمرة يانعة . يهزل الجسم وتقور العينان ويتجمد الوجه ويبيض الشعر
ويجف الدم والنفس لا تزدد بذلك الا قوة وادراكاً فلا يلجأ بها ضعف ولا
يشوبها فساد ولا ينتابها هرم بل كلما سار الجسم في سبيل الفناء والدمار سارت
هي في سبيل العلاء وتاقت الى ما هو اسمى واجل من هذه الحياة الدنيسا .
وتهذيبها هو المعول عليه في تخفيف ويلات البشر ونقويم المناد من اخلاق
بني الانسانية

يا معشر الاخوان يا	من ادركوا انبياء
نفس الفتى مقدامه	ولذلك اطربها
ان شاء فهو يميتها	او شاء يحيتها
فالمجد والاقدام	عدا من معانيها
والخسف والصفة البذيئة من	مساوئها
ويشئنها ميل الى	ما ليس يعينها
اعمل بذاك روية	يا من يباريها

واترك دواعي الجهل ان الجهل يغريها
والعقل عن آفاتنا نزهه تنزيها
وانظر الى حسناتها لا شك تبغيها
من سار في الدنيا بها يدرك معاليها
هذي هي الدنيا وهذا كل ما فيها



خطاب

للشيخ احمد افندي عباس الازهري

احمد الله على ما اهتم وهو ولي الحمد . واشكره على ما يسر من السداد
والرشد . واستمنحه الهداية في النهج والمعونة في القصد . واصلي واسلم على
سيدنا محمد خلاصة الكرم ولباب المجد . وعلى آله واصحابه اولي الهمم العالية
والشرف العد . واضرع الى باري النسم . ومفيض الاحسان والنعيم . ان
يحيط برعايته حرم الامامة العظمى . ومقر الخلافة الكبرى . الآخذ برقاب
المحمد والمستولي على غايات المناقب . مولانا امير المؤمنين السلطان ابن
السلطان السلطان الغازي عبد الحميد خان . افاء الله على الامة ظلاله . وبلغه
آماله وخلص ايامه . واسبغ على البرية انعامه . آمين اللهم آمين

سادتي سررة المعالي وحماة الفضل

لقد تنبه لي الجد واسعدني الحظ بان اتمثل امامكم مرحباً بكم وموهلاً
وميناً لكم حالة المدرسة في هذا العام كما سبق لي مثل ذلك في الاعوام الغابرة
من قبل فحياكم الله اهل العلم وذويه وبياتكم اخوان الفضل وبنيه فنقد اجبتكم

على الرحب والسعة داعي العلم اذ دعاءكم ولييتم مديده اذ ناداكم لا يزعكم عن ذلك عاذل الانفة ولا تصدكم عنه لائمة الكبر علماً منكم بماله من المكانة المكيئة واشرف الباذخ الرفيع فحذا انتم سادة تسموا بالفضائل ذروة العلياء وتمنطقوا من المكارم بنطاق الجوزاء

مكارم لجت في علو كنما تحاول ثاراً عند بعض الكواكب
فاليكم اسدي من الشكر اجزله ولمعاليكم اهدي من الشناء اجمله والى
الله ارجب ان يجزل لكم من الفضل حظاً يحسن اثره ومن العلم نصيباً يطيب
ثمره ولا برحت بكم اندية العلم حافلة فيحاء ورياض الفضل زاهرة غناء . اما
بعد فان هذا اليوم الذي اكتمل فيه سرورنا بتشريفكم هو اليوم الذي
اختتمت به السنة الثامنة لهذه المدرسة العثمانية الاسلامية فقد انقضت والله
الحمد كما انقضت السنون قبلها سالكين بتلامذتها في سبل انحاء التعليم وطرق
التحصيل من النهج الامم والطريق الاقوم ما هو ايسر للملكات حصولاً واشد
بالتعليم استحكاماً وافوى بالعلم ارتباطاً بما يزيدهم وثوقاً في الدين وسداداً في
العمل ورجاحة في الحلم وبلاغة في المنطق مرتفعين بهم في مدارج العلم الى
غاية تكسيهم عقلاً جديداً ونشأة مستأنفة وثيقة العرى حسنة الصبغة ترضعهم
اخلاق العلوم شيئاً فشيئاً ينمون بها نمو الاطفال وتربوا قواهم على قوى الشبهة
والكهول . علم ذلك من عرف الحق فقال له وتحري الصدق فنطق به ولم تأخذه
في الحق لومة لائم وشاهده الجم الغفير من اعيان الفضلاء وافاضل الاعيان
من شهد الامتحانات في هذا العام وهذه نعمة انعم الله بها وسنى امرها ووفق
اليه مع خلوص في النية وصدق في العزيمة فهو العالم بمستودعات السرائر وما
تخفي الصدور . تلكم الخطة التي عنيت بها المدرسة منذ نشأتها والمعجزة التي

ثابت عليها من بدء صبوتهما خطة عظمت بها الفائدة وتوفرت بها العائدة لا
 تبديل لها ولا تحويل عنها ان شاء الله واقفين بها عند اقصى الطاقة مختارين
 لها من مهرة الاساتذة واعيان الفضل من هو بعيد الهمة حسن السيرة قدر
 الامانة حق قدرها فأدأها وعلم حقوق الاستقامة فوفأها فبخ لما بذلوا
 وشكراً شكرياً لما عملوا ومع هذا فانتا لم نزل نقدم الضروري على الحاجي والحاجي
 على الكمالي اقتفاء بالسنة التي سنها الله في النمو والارتقاء والنفطرة التي فطر الله
 الكون عليها فانتا وان لم نبلغ الغاية التي نري بطرفنا اليها ولم نصل بعد الى
 القصد الذي جنحنا اليه كيلا نستعجل بالشئ قبل اوانه والعجلة رأس الحرمان
 بيد اننا لم نأل جهداً في ترقية درجات التعليم عامّاً فعامّاً ولتذمة القوى العاقلة
 شيئاً فشيئاً وتحصيل الملكات رويداً رويداً اذ ان ذلك املك بالعلم واغوى
 رسوخاً بالملكات واقرب وسيلة الى الاعتياد والدربة ومن المعلوم ان المرء ابن
 عادته لا ابن طبيعته ولذا عزمنا في السنة القابلة انشاء الله على ان نوسع نطاق
 العلوم العصرية ونستحضر ادوات طبيعية وكيميائية وان نجعل نصيباً للمدرسة
 من اللغة الانكليزية في الصف الاول والثاني والثالث وان نزيد في اقسام
 اللغتين العربية والعثمانية وان نبذل الوسع في تحسين حالة المدرسة لداخلية
 ضارعين الى ولي التوفيق نستهديه رشده ونستمنحه عونه فمن كان الله في
 عونه تيسرت له المذاهب وانجحت له المساعي والمطالب . هذا ما اردنا
 مكشفتم به ايها السراة عن حالة المدرسة وتلا مذمتها وقد بقيت حاجة في النفس
 تحماني الثقة بكم من سعة الفضل ورجاحة في الحلم على ان اتجاسر بها امامكم
 فاقول : ان مكانة الامة مرتبطة بارتقاء قوى افرادها العقابية فتكون رفيعة
 الشأن منيعة العزة اذا كانت قوى افرادها العقلية نامية مرنة وتكون خاملة

الذكر سقطه ذالم ترتق قوى أفرادها ولم تزل منزلتها من النمو ولا سبيل الى
ترقي هذه القوى لا بمراعاة تربيتها وحث ركاب الطلب اليها ونعني بتربية
القوى العقلية تهذيبها وتقويمها وطالب الوسائل التي بها يدفع مانعها من التفات
في الفرد لا في الافراد اما تهذيب هذه القوى وتقويمها فيكون بمراعاة نشأتها
وعدم مفاجأتها بما لا تقوى عليه لان قوى العقل المتعالة في مبدأ الامر تكون
قليلة ثم تنمو تدريجاً الى ان تقوم كلها بالعمل في آن واحد على ان غاية التربية
التي يجب ان تسعى اليها هي ان تكون دفة قوى الصبي عاملة على اختلاف
انواعها وان نهى له من جسمه آلة سهلة الانقياد قوية مادام حياً وان نبث
فيه روح المرون على الاعمال التي تثنيه عن مغالطة اهل الفراغ والهوى وتنزع به
عن مقارنة الرذائل الموبقة وتبعث في قلبه ذلك الفرح الذي يدركه من يرى
نفسه عضواً نافعا في اهيئة الاجتماعية وان تقوي امياله لطالب العلوم الحققة التي تشف
له عن الحقائق الدامغة وما تنجلي به تلك الحقائق وان ترتفع به الى حالة يستطيع بها
ان يجعل قوة التربية خاضعة لسلطان الخير ويجعل للفضيلة حكماً على الرذيلة فيثبت
قوى الآمال ويحيا رجاء الرجال بالرجال ونقر العيون باجتلاء السراء وانقضاء
عهد الضراء وترتقي همم الافراد وتنبعث عزائم الاحاد فهناك يوجه الانسان
خدمته الانسانية الحققة ويعتق الحقيقة من كافة وجودها فاذا الف هذه
الحقائق وقوى عقله على مناداة الدفاتر ومسامرة القماطر والمخابر تقوى ساعته
على دفع المغالط الشائعة والاهام المتداولة وساعد على نشر الافكار السديدة
وظفر بلا عناء بالمصاعب التي يقابلها في طريق الحياة ويصير عضواً نافعا في
الجسم الاجتماعي

قال احد الافاضل : مما لا يخطر بحسبان الانسان سمو المكانة التي تباها

الحالة البشرية من الكمالات اذا جعلت وجهة التربية بلوغ الصبي درجة ارقى من الدرجة التي عليها الهيئة الاجتماعية الآن ومن اجل المبادي المقويم القوي العقلية في الصبي ان يمهّد له سبيل الابحاث ليعتّ بنفسه ويستنبط نتائج ابحاثه وان ينشط للاستقلال بنفسه في طلب الحقائق الا فيما لا يستطيع الى ادراكه سبيلاً على ان النوع البشري لم يتقدم الا بتعلمه بنفسه وان نجاح الرجال الذين انساقوا بهادي ميلهم الى طلب العلم فذلّوا منه الحظ الاوفر يثبت لنا جلياً ان من يسعى الى نوال اجل الرغائب لا منحصر له عن خوض عباب البحث والتنقيب على الحقائق بنفسه

وانما رجل الدنيا وواحدّها من لا يعول في الدنيا على رجل لا مرء في ان اسمى البلاد مكانة واكرمها منزلة من جعلت العلم شعارها والمعارف دثارها فكما ارتفع منار العلم ارتفع شان الامة والمطالب في ذلك رجال العالم لانهم في الهيئة الاجتماعية هم الروح التي تنبعث منها الحياة الى الاعضاء فان كرم تلك الروح كانت الاعضاء كريمة وان فسدت فسدت حياة الاعضاء تبعاً لها قال عليه الصلاة والسلام ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الا وهي القلب فرجال العلم هم قلب هذا المجتمع تسلم لها الهيئة الاجتماعية اكبادها مع حسن الظن بهم وجميل الثقة بفضلهم وضمائر النفس لتأجّجهم بقولها : اليكم اولادنا وهم اكرم شيء عندنا فرشحوا للمستقبل منهم رجالاً يسعد بهم ذكرنا وتزدان بهم آثارنا وتعهّدوهم بالاخلاق الصالحة والمعارف النافعة فواجباتكم هي اعظم الواجبات واشرفها فان ادبتموها فانتم البررة الاخيار والا فالجنة الاشرار . وليعلموا ان

انسان هذا العصر لم يكن كما زعم البعض في لسان القديم انه دخل في
 عالم الهيئة الاجتماعية بحكم الصدفة فلم يخلق عبثاً ولم يلق على وجه البسيطة
 العارية عاري البدن بل هناك عائلة تلتقاه وام تبشره وتربية تنتظره فكل
 يطالب به ويتساءل عن امره ويهجم شأنه . لا جرم ان تلكم النتائج الشريفة
 والمقاصد النبيلة لا بد لها من وسائل مهمة ولا مندوحة لها عن مقدمات سامية
 لا تنتج بدونها الا وهي التربية الاولى تربية الوالدين فهي في الحقيقة القطب
 الذي تدور عليه كافة شؤونهم والاساس الذي تبنى عليه قصورها فالتربية
 الصحيحة الحقبة يروسها الوالدات والمدارس تبني على ذلك الاساس القصور
 المشيدة المركبة من العلم والفضيلة التربية الصحيحة عند الوالدين تبدو زهرتها
 وفي المدرسة تنعقد ثمرتها ومعلوم انه لا ثمرة الا من زهرة فياليت شعري ماذا
 تفيد في ادب الصبي الرياضيات وماذا توثر في اخلاقه العقليات والنقلات
 اذا كانت القائمة بامرء والقيمة عليه جاهلة سيئة الخلق فاسدة الرأس اورثته
 سوء الملكة جنينا وارضعته فساد الطباع رضيعاً ورثته في حجر الجهالة طفلاً .
 نرى السواد الاعظم يكل امر اطفاله للنساء ظناً منه انهن الاشتغل بتربية
 الاطفال من سفاسف الامور التي لا تليق بشرف الرجل ولم يعلم ان وراء
 الاطفال هم حياة مستقبل الامة فان منهم الجندي في الغرور والاستاذ الماهر
 والمهندس البارع والعاليم النطاسي ولاشك ان حياة الامة مرتبطة بهم ارتباطاً
 محكماً فما مصير من يترك شؤون الاطفال لامهات جاهلات مهملات ان
 معين في نفهم بانفسهم ربما ساقطتين الجهالة وفساد الراي الى ضررهم من حيث
 لا يعلمن . ولا تثريب عليهن في ذلك ولا لوم اذ ان ذلك مبالغ من النام
 بل المأخذ في هذا كله الرجل لانه لم يقم بما يجب عليه من تربيتهن فكيف

يسوغ له ان يطلب من المرأة ما ليس باستطاعتها وان يحملها ماتت به قدرتها
وهل يجوز له ان يطلب ممن هو ناقص في نفسه تكميل غيره فيكون الرجل
والحالة هذه اذ وكل امر تربية اطفاله الى المرأة قد جنى جنايتين واخطأ في
قضيتين وهو الباحث عن حثفه بظلمه والجادع بكفه مارن انفه لانه اساء
ابناء وانتهاء . ان للمرأة شأنًا مهمًا في تفاوت النوع البشري فن حسنت
تربيتهم ارتقى الجنس وشرف وان اهمات الخط وتقهر اذ المرأة ان كانت
مهذبة حسنة الاخلاق تورث ولدها صفاتها وتمده بما في وسعها من التهذيب
والمبادي، الصحيحة وترشحه للمدرسة وتكون اجل معين للمعلم على بث روح
الفضيلة فيه والعكس بالعكس فتربية البنات من الزم ما يلزم للهيئة الاجتماعية
ومن اجل ما يعود عليها بالفائدة فهو دين واجب القضاء وحق لازم الوفاء
تطالبنا به العقائل في الصحف العلمية والمجلات الادبية . ولرب معارض يقول
هل ربينا فتياننا فاحسنا تربيتهم حتى نسعى في تربية فتياننا وهي المرتبة الثانية
ودون الاولى في الاهمية فنقول ان تربية البنين مرتبطة بتربية الامهات ارتباطاً
محكماً ومن العبث ان تحسن الاولى مادامت الثانية مختلة النظام (وهل يستقيم
الظل والعود اعوج الان للأم شأنًا مهمًا في تربية الطفل فاذا حسنت تربية
الامات لا تلبث ان تحسن تربية الاولاد تبعاً لما ومتى احسن الابوان
التربية الاولى وارتضع الطفل لباذ الفضيلة وترعرع في حجر التهذيب حق
لوالديه حينئذ ان يطالبوا المدرسة باستثمار ما غرساه والبناء على ما اسساه والا
فكل ما تبنيه المدارس على شفا جرف هار ومن الغباوة والجهالة مطالبة المدرسة
بما من حقه ان يطالب به الابوان ومتى يتم بناء صرح وكل ما تبنيه المدرسة
في العام يهدسه الابوان في ساعة واحدة كثيراً ما اتى الي بعض ابناء التلامذة

يصخبون ويحترقون يشكون حالة ابنائهم وعدم تربيتهم ثم يضرعون اليَّ بأن لا اخبر الابن ان ابيه هو الذي يشتكي من حالته خيفة من شرابنه وخشية من انتقامه من ابيه ومن كانت هذه حالته وهذا شأنه في التربية وهو المسيطر الحقيقي فكيف يامل من المدرسة تربية حقيقية وانى لها ذلك . فلا يلزم والحالة هذه اعتبار المدرسة كالات سحر قادرة على تحويل مافي الصبي من الاخلاق التي هي من ودائع الاباء . المدارس في البلاد المتقدمة هي عنوان درجة الامة من الهيئة الاجتماعية فاذا كانت مرتقية في بلد ما عظم شأن ذلك البلد في نفوس الآخرين وارتفعت مكانته عندهم وذلك لا لكونهم يعتبرون المدارس معملًا من المعامل جيد المصنوعات بل لعلمهم بان نجاحها واجادة العمل فيها متوقفان على ارتقاء العائلات التي تتألف منها تلك الامة فنجاح المدارس انما هو اثر ذلك النجاح الاعظم وهو نجاح العائلات وبمقدار ما يحسن الشيء يحسن الاثر وعلى الاصول تنبت الشجر واذا كان لا بد من اعتبار المدارس كنوع من انواع المعامل فاشبه شيء بها معامل الماس التي يصقل فيها ذلك الحجر الكريم وتحدد وجوهه وتعين حدوده وحينئذ تكون العائلات بمثابة المناجم التي تدفع الى المعامل ذلك الماس الساذج

قال الامام الغزالي رضي الله عنه الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش ومائل الى كل مايمال به فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له وموعدب وان عود الشر واهمل اهل البهائم شقي وهلك وكان الوزر في ذلك على وليه والقيم عليه . ولذا قال عليه الصلاة والسلام كل مولود يولد على الفطرة . سئل حكيم عن السن الذي يجب ان

يو. دب فيه الطفل فقال : (يو. دب قبل ان يولد بمائة عام) فهذه المكانة
مكانة الابوين من التربية وهذه الاهمية اهميتها من التأديب فلا يسوغ والحالة
هذه ان يترك الامر الى الموءدين وحدهم بل لا بد للابوين من معاونتهم في
عملهم باجراء نصائحهم وارشادهم مع المراقبة الدائمة لكل ما يصدر عنهم ويفرط
منهم من المخالفات ليعمد الى اصلاحه قبل استحكامه واستفحاله وبذلك تؤمن
غوائل العقوق وتنتفي شرور واما شرور وبقدر اهمية هذا الامر كانت المهمة منصرفة
اليه حتى اننا والله يعلم وانتم مطاعون لم نترك في هذا الباب وسيلة ولا ذريعة
الاخذنا بها خدمة لهذا المبدأ القويم وحباً في النفع العديم والله المستعان
وعليه التكلان وهو ولي التوفيق واختتم افتتاح هذا الاحتفال كما افتتحت
ختام هذا العام بحمد الملك العلام وترديد الدعاء بتأييد صاحب الخلافة
العظمى والامامة الكبرى حى الملة وملاذ الدين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي عبد الحميد خان . واقدم من الشكر اوفره . ومن الثناء اغزره .
واعطره لمن شرف هذه الحفلة العالمية والدوة الادبية واستودعكم الله الى مثل
هذا العام والسلام عليكم ورحمة الله



❖ القبور ❖

❖ بقلم الياس افندي طراد ❖

ما نفع ميت بقصر يشاد فوق ثراه

ان لم تشيد مقاماً الى الثواب يده

ان اردت مشهداً يذوب منه فؤادك اسفاً وتنقطع له احشاؤك لهفأ

فاذهب الى المقابر والنظر ما هنالك من ابدية شاهقة تظنها عن بعد قصوراً ثم
تدنو فلا ترى الا ارماساً وقبوراً

ترى كنوز الاموال مدفونة في الارض وبنو الارض من البائسين
لا يملكون بلغة يسدون بها رمق الجوع

تنظر الميت راقداً في ابهى منزل من البهجة والرواء والحي المسكين
متقلب على فراش الالم والعناء

تجد القبر مكسواً بجثة زاهية وبيت الفقير عارٍ من حصير بالية فكيف
تشاهد هذه المناظر ولا تنفطر منك المرائر

سل من بنوا هذه المنازل يجيبوك اننا من ذوي الوجاهة والثروة فما ضر
لو انفقنا اموالنا كيف نشاء قل بشئ ما تزعمون . ان الله لم يأمركم ان تنفقوا
اموالكم الا بما به الاجر نغفون

وان قالوا انما نريد احياء ذكر فقيدنا قل ان احياء الذكر ليس بما من
القبور تبنون ولا بما من القصور تقيمون . بل ببناء بيوت البر والاحسان فان
بناها الميت من قبل والا فلا يجديه نفعاً كل ما تضعون

وان ادعوا ان في ذلك مجداً له قل اي مجد من بناية تشير الى ان
صاحبها كان غنياً ان لم يكن الناس بفضلها يتحدثون

ولروية آثار تستدر عليه الرحمة خير من النظر الى قبره الفسيح عند
من يبصرون

اقال ربك ان السعيد من اتخذ القصور قبراً ام قال هو من نال في
سمائه اجراً

وهنا اسأل العفوم اغنياء بلادنا عن كلام ربما حسبوه نظاؤلاً على

قدرهم وما هي الا خطرات افكار استلفت اليها نظرهم الكريم
 على اني لا انكر ما يجود به الكثير منهم في سبيل المعروف والاحسان
 واغاثة الماهوف من بني الانسان الا انني اقول ما ضرهم لو ضموا الى حسناتهم
 ما ينفقونه فيما لا فائدة منه الا اضاءة اموالهم بلا فائدة او ليس بناء مدرسة
 عن نفس الفقيد لا تفتح دروسها يومياً الا بالثناء عليه ولا يهوج طابعتها الا
 بالدعاء الى الله للاحسان اليه خيراً من كل ما ينفق في زينة القبور او ليس
 انشاء منتدى علمي ينطاق بفضل الميت عليه اولى مما ذكرنا
 او ليس عمل مستشفى تأوي اليه ذوو الاسقام ابقى لذكره واقرب للثقي
 مما اليه اشترنا او ليس صنع ما أثر تذيع فضل الفقيد في اقطار العالم افضل من
 بهرجة باطلة لا يعلم بها سوى مواطنيه

فان كان القصد من تلك الابنية العظيمة والمجد فما بالناس لا نطلبه من
 حيث منفعة البلاد واحياء العباد

بل ربما آل الامر الى عكس ما نريد كالمؤلف الجاهل يكشف من
 امره ما كان مخفياً فان في اقامة تربة للفقيد انفقت عليها الملايين دليلاً على
 انه من ذوي الثروة الطائلة فان لم يكن ذا ما أثر قول الناظر الى تربته مات
 هذا الغني شقيماً

وان قيل كيف يقدم احد الاغنياء على ترك تلك العادة وقد اصبحت
 فرضاً واجب الاداء بما اتصل اليها من التقليد فمن اهملها فقد عرض نفسه
 للوم والتعنيف فاما ان ينسبوا اليه الشح او يرموه بالتفريط في واجباته
 نحو فقيدته

قلت اما الشح فلا يقال عنه لان ما يوفره من تلك الجهة ينفقه في

مشروع ادبي او عمل خيرى

واما الفريط في واجباته نحو فقيدته فلا يظن به بعد ان يقيم عن نفسه
ما يزيد في اعين الناس اعتباره ومكانته

فيا اغنياء البلاد واعيان الوطن ارايتم انكم لو جمعتم ما تجاوزتم به حد
الواجب من النفقات على المدافن لكفى ذلك بناء الوفاء من المعاهد الخيرية
والمنتديات العلمية

أأردتم ان تمتازوا عن دونكم من الاحياء حتى ولو بعد الممات ألا فاعلموا
ان لا امتياز الا بالاخلاق والآداب ولا رفعة الا بما فيه نيل الاجر والثواب
وان كل نعم زائل وكل شيء ما خلا الله باطل



امين افندي الحمداد

في المدنية ومكارم الاخلاق

(فضل العرب)

لوجاء الى هذه الدنيا الحاضرة رجل من اهل القرون الغابرة ونظر الى
عالمنا هذا الجديد وما فيه من قصور شائخة وابنية باذخة وما تم للناس فيه من
اسباب المدنية الكاملة وذرائعها الحافلة ورأى ما بين افراد العالم من الائتلاف
العجيب والاجتماع الغريب وما يسعون اليه بجهدهم ليل ونهار من جر المنافع
والاحتيايل على فوائد الطبيعة واكتسابها لتوهم ان الناس في هذا العصر اقرب

الى الملائكة منهم الى البشر وتيقن ان مكارم اخلاقهم وطيب نفوسهم قد
ترقت بالقياس الى ما وجدته فيهم من المدنية التامة الى درجة لم يكن يحلم بها
احد من قبل حتى ليظن ان الشر قد امتنع كله من الدنيا ولم تبق الا المحبة
والسلامة والوداعة وسائر مكارم الاخلاق وحسنات العواطف . ولكنه لو
جال بين هذا الناس قليلاً وعاشهم يسيراً لوجد ان هذه المدنية بعيدة عن
مكارم الاخلاق او انها تبني وتشاد بضعف تلك المكارم واضمحلالها والرأي
هذا العالم في تنازع شديد على البقاء ومسابقة عظيمة الى المسرات النفيسة
والجسدية وان الانسان منا يسعى جهده في اذية سواء ويجهد في سلب
النعمة التي يلهو بها اخوه وان هذه المدنية ليست الا وهماً بل انها لم تكن الا
من وراء تلك المزاومة الشديدة على المسرات ومنافسة الانسان جاره
والاستعلاء عليه ومن اجل ذلك نشأت على اثر هذه المدنية اخلاق سيئة
لم تكن في نفوس البشر السابقين حتى صارت تقضي قانوناً جديداً يعاقب
عليها او ديناً جديداً ينهي عنها فان الصدق وهو من اجل مكارم الاخلاق
قد امتنع اقرباً من كل هذا الناس حتى لم يعد عاراً بل لقد زاد وجل حتى
صار يعد نكراً يزدهي به قائله وانت متى علمت ان الكذب ينطوي تحته كل
اسباب الشر والفساد كالغش والضرر والنميمة والاعتياب والسعاية فقد علمت
كم ساءت اخلاق الناس في هذه المدة وكم بعدت الثقة وفشت الحياة ثم
متى عرفت ان كل هذا العالم المجتمع بعضه على بعض اجتماع النمل يعيش
بالتجارة التي امتدت في الدنيا كلها وتعلق بها كل فرد من انبائها فقد هان عليك
ان تعرف كم يتلو هذه التجارة من افساد الاخلاق وكم يتوصل الى المعيشة
باسبابها من ذرائر المضرة ووسائل الغش والخديعة

على ان عقل الانسان قد سما في عصرنا هذا سموً غريباً يتجاوز حد
التصور وانما العقل هو الحكمة والرشاد وسداد الطريقة والاحتياال على منع
اضرار الطبيعة وانتهاج خيراتها ولكن نفس الانسان وهي ادق جداً من عقله
لم تترق شيئاً بالاطلاق بل لم تظل على حالها التي كانت عليها في العصور
الحوالي بل كان وفور هذا العقل كأنه سبب اضعف قوة النفس وطبيها كما
فلنا عن العقل والعلم في مقالة جنون العلماء في الجزء الماضي ولكنه لم يضعف
المعرفة بنقائص النفس وعيوبها لان تلك المعرفة من شروط العقل ولذلك
نجد الناس يعرفون مكارم الاخلاق ويعددونها فيقولون عن كل نقيصة تصدر
ليس هذا من الشرف وليس هذا الصنع من شروط الانسانية ولكنهم يعرفون
ذلك معرفة ويشيرون اليه اشارة فقط ثم لا يستطيعون مباشرة بمحومهم
لان هذه المدنية قد افسدت نفوسهم حتى عصيت عقولهم واضعفت ارادتهم
فصار الانسان كأنه مضطرب لارتكاب الشر اضطراراً ولو كانت عندنا قوانين
تقضي بمعاينة من يؤذي اخاه بقوله وتصرفه كما يؤذي به بكفه وسلاحه لكانت
منازلنا سجوناً وكانت دنيانا هذه كلها سجناتاً مقيدة لنا بدل ان تكون سجناتاً
مطلقاً مباحاً

ثم مما يدل على ان هذه المدنية قد اجادت عقول الناس وسلبتهم طيب
نفوسهم واعتقادهم انهم صاروا يجهلون على الشر بمخالفة الدين هرباً من
ارتكابه في مخالفة الشرائع والقوانين ولذلك تراهم يسرقون بعضهم بعضاً بالغش
والكذب والتبويه الخفي وهو مالا تعاقب عليه شريعة ويمتنعون عن ارتكاب
الشر الظاهر الذي تعاقب عليه الشريعة وهي حيلة من حيل العقل ولدتها هذه
المدنية وتجد ان العدوان العمومي الخفيف يقل جداً بتقدم هذه المدنية حتى

لقد يأتي حين تمنع فيه السرقة السرية بلاطلاق لقيام السرقة العلنية مقامها وهي لا يستطيع الانسان منعها بوجه من الوجوه اذ من يقدر منا ان يذهب الى قاض فيقول له هذا اغتابني بما نال به شيئاً كان من حقي نيله ومن يقدر ان يشكو رجلاً زاحه في وظيفة او سابقه الى امله ومن يستطيع ان يعاقب انساناً لانه افشى سره او فضحه بما يمنع رزقه واكتسابه . كل هذه ذنوب عظيمة في عين الحقيقة لا يعاقب عليها احد ولا يمنعها الا مكارم الاخلاق وما مكارم الاخلاق الا الدين وانت ترى ان الاديان كلها قد اخذت تضعف بالتدريج كلما امتدت المدنية وكثرت الحيلة عليها

واقعد يقولون بل ان المدنية قد تحسن اخلاق الانسان وتزيد نبله وشرف نفسه لان المرء متى وجد نفسه لابساً حلة نفيسة اوساكناً منزلاً حسناً وبالتالي متى كان متحضرًا يعاشر اخوته الناس وقد زادت تلك العشرة في الالة عريكته وحلاوة مشربه فانه ينجل ان يباشر دنياات الاعمال والاقوال بل نزيهاً عفيفاً ونحن نقول ان ذلك لصحيح وهو كل السبب في منع الضرر العاني ولكن هذا ليس بمكرمة خاق ولا بطيب نفس بل هو عادة وتقليد وان ذلك الرجل البدوي المرتدي اخلق رداء والمعاني ذل المعيشة قد يكون اطهر منه نفساً واحسن خلقاً وشيمة وقد تصنع معه جميلاً واحداً في عمرك فلا ينساه الى الابد وطالما رأينا الرجل الحسن البزة الرقيق العشرة الكثير الصحبة يحفوك وينسى وداك لاقل هفوة ويزاحك ويسلوك لادنى مغنم

واذا شئت البرهان على ذلك فانظر الى رجال القرى والمزارع في عصرنا هذا المتمدن تراهم كما انهم ابعد الناس عن التجارة والمزاحمة في المعيشة ابعدهم

يضاً عن الغش والخداع وكما انهم اكثر من جيرانهم المتحضرين وسكان المدن
جهلاً بقوانين المدنية وشروطها الظاهرة والعرضية اكثرهم علماً بشروط
المعروف والاحسان والنجدة والمعونة حين وقوع المصائب بل انت تجد هذا
حتى في فقراء المتمدنين وعامتهم الذين يرون المدنية روية فقط دون ان
ياشروها فترى الملاح المسكين تنكسر سفينته بين اثناء الموج المتلاطم وهو
يرى الموت متطعماً اليه بكل عين والبحر فاغراً افواهه من كل جهة فيكون
اول ما يبدوله ان يخلص الطفل الصغير ولامرأة الضعيفة حتى اذا قضى كل
شروط الانسانية وواجبات النجدة والمعونة بسط يديه مستقبلاً الموت من
بين تلك الامواج وجعل لحده سفينته في ذلك اليم الهائل وترك رجال التمدن
والحضارة من ركاب تلك السفينة يزحم بعضهم بعضاً حتي ليقفل الرجل
نخاه وهو يدافعه للوصول الى موضع النجاة او للتعلق بادنى حبال الحياة مع
ان ذلك الملاح البدوي الخلق والطبع كان ابصر منه بابواب الحرب واقدر
منه على اسباب النجاة

وانظر الى العامي الفقير الذي يمشي عريان حافياً في الازقة بين جماهير
المرتدين احسن الملابس والتحلين بانفس الحلى تراه اذا اشتعلت النار في منزل
كان اول من حركته نفسه الطيبة لانقاذ المحترق ومعونة المتضايق حتى لقد
تهوّن عليه مروته ان يحترق ويهلك في سبيل خلاص غيره وتجد المتمدن
لمتعلم في تلك الحالة وهو يكاد يحس ان النار تحرقه ولو كان منها على بعد
ميلين فيسرع في الهرب منها اسراعها سبي في الاحراق وهذه سوق الشفقة التي
احترقت في باريز كانت اول دليل على ان المروءة لم تصدر الا من الفقير
العامي الذي لم ير المدنية لا روية فقط ولذلك رأينا اشرف وسامات فرنسا

معلقة على صدور سائق المركبة وابن السبيل وامثلها شاعرة على مكارم الخلق
عند الفقير لان انقاذ نفس من الموت انما هو من اشرف مكارم لاخلق ونهاية
ما يرومه الانسان من اخيه

واذا شئت ان تستدل على عموم مكارم الاخلاق وشيوعها في شعب
كامل فقد لا تجد ذلك في عصرنا الحاضر لان مساوي الاخلاق في المدنية
الحاضرة قد اعدت العالم بعمومهم ولكن ارجع الى القديم وانظر الى جاهلية
العرب الذين لم يكن لدى الواحد منهم كرسي يجلس عليه ولا لباس له غير تلك
العباءة والذي لا يمر عليه من المظورات غير صورة المضرب والناقاة كيف كانت
اخلاقه والى اي حد بلغت مدنية نفسه وعندها تعلم ان مدنية العرب في ذلك
الحين كانت اعظم مدنية يرجوها الانسان ويتخناها بل يتحنى لو ظلت الى
الآن وانقطع عنا بسببها كل هذه المدنية الجديدة التي افسدت اخلاق البشر
وعلمهم من الضرر النفساني اضعاف ما جاءت به من الخير والنفع الجسدي والعقلي
واذ قد امتد بنا القول الى هذا الحد فلا بأس ان نذكر لقراء الانيس
شيئاً من دلائل الفضل ومكارم الاخلاق عند العرب فيعلموا منه ان تلك
الامة العظيمة خليفة بان يصفها التاريخ بانها من اجل امم العالم وان الله تعالى
قد اودع في طباع اهلها وركب في نفوسهم نهاية ما يريد له لعباده من مكارم
الاخلاق وحسن الصفات حتى اننا لو انصفنا اقوالهم وكلام العظماء منهم
لوضعناها في جملة ما جاء به الانبياء الكرام . ولما كان من اجل مكارم الخلق
وطيب النفس عفو الانسان عن مجني عليه ومحبة قريبه كنفسه فهالك ما قاله
معن بن اوس في نسيب له

وذني رحم قلمت اظفار ضغنه بجاني عنه وهو ليس له حلم

يحاول رغبي لا يحاول غيره
ويشتم عرضي في مغربي جاهداً
إذا سمته وصل القرابة سامني
بود لو اني معدم ذو خصاصة
فما زلت في لبني له وتعطفي
وصبري على اشيء منه تريبي
رأيت اثلاماً بيننا فرقعته
وابرات غل الصدر منه توسعاً
فاطقات نار الحرب بيني وبينه
وكموت عندي ان يحل به الرغم
وليس له عندي هوان ولا شتم
قطيعتها تلك السفاهة والاثم
واكره جهدي ان يخالطه العدم
عليه كما تحنو على الولد الام
وكظمي على غيظي وقد ينفع الكظم
برفقي احياناً وقد يرفع التلم
بجلي كما يشفي بادوية كلم
فاصبح بعد الحرب وهو لنا سلم

ثم انظر الى هذا الشعر كم فيه من جهة تركيبه وحسن صوغه وايراده
من الدلالة على مدنية الصناعة العقلية وارتقائها بين اولئك الاقوام وكم فيه
من الدلالة على شرف النفس ووصولها الى اسمى درجات الاحسان والمعروف
والانسانية الحقيقية عند امة العرب الكريمة

ثم نحن نعتد من حسن الخلق وكرمه شدة العطف على اولادنا والعناية
بهم وكثرة الجزع لما ينوبهم من المكاره لان رقة العواطف وتأثرها من
اكبر العوامل على منع المضرة والدعوة الى الرفق والاشفاق وذلك ما قاله
حطان بن المعلى في هذا المعنى

لولا بنيات كزغب انقطا
لكان لي مضطرب واسع
وانما اولادنا بيننا
لو هبت الريح على بعضهم
رددن من بعض الى بعض
في الارض ذات الطول والعرض
اكبادنا تمشي على الارض
لا تمتعت عيني من الغمض

ليس هذا الشعر من اقوى الادلة على فضل العرب ولطف شعورهم
واحساسهم وانهم على كونهم كانوا يثدّون بناتهم فقد كانوا يعطفون عليهن
كل العطف ويجعلون اشعارهم اشبه بالوصايا الدينية بهن

ولقد كان العرب من اشدّ امة الارض غارات وحروباً واكثرها ازدهاء
وافتناراً بالقتال حتى قل ان يخلو اشاعر لهم اشارة في قوله الى الحرب
والافتنار بالنصر فيها بل ان الحروب هي التي حسنت اشعارهم وكانت من
اكبر الاسباب على اشتغالهم بالقريض والتنافس به ولكن لو نظر ابن هذا
امصر في بعض اقوالهم لوجد ان معاسن اخلاقهم وشدة اشفاقهم طالما كانت
تدفعهم الى كرهها والوصية بمنعها ولا سيما بين العشيرة الواحدة والعشيرتين
المتصاهرتين . قال العديل بن الفرخ العجلي في مثل ذلك الحال

ظللت اساقى الموت اخوتي الألى ابوهم ابي عند المزاحاة والجد
اذا ما حملنا حملة مثلوا لنا بهرفة تدرى السواعد من سعد
كفى حزناً ان لا ازال ارى القنا تمج نجيعاً من ذراعي ومن ضدي
لعمري لئن رمت الخروج عليهم بقيس على قيس وسعد على سعد
لكنك كمهريق الذي في سقائه لقرق آل فوق راية صلد
كمرضعة اولاد اخرى وضيعت بني بطنها هذا الضلال عن القصد

وقال آخر يامر بنجدة الفقير وينهى عن اذاه

ولا تخذل المولى اذا ما ملمة المت ونازل في الوغى من ينازله
ولا تحرم المولى الكريم فانه اخوك ولا تدري لعلك سائله
وقال آخر

واستنقذ المولى من الاسر بعد ما يزل كما زل البعير من الدحض

ومنه مالي وودي ونصري وان كن محني الضلوع على بغضي
فانظر الى هذا القول ايضاً كم فيه من الدلالة على الرفق والانسانية
وارادة منع القتل بين رجال الجنس الواحد ثم انظر الى قومنا المتمدين الحاليين
هل تجد فيهم شاعراً قام في فرنسا او المانيا يوصي قومه بمنع محاربة هاتين
الامتين المتجاورتين وهما من بلاد واحدة ومذهب واحد وهل حزن شاعر
لمحاربة الانكليز مع الاميركن ايام الاستقلال الاميركي كما حزن هذا الشاعر
مع انه قد قتل في تلك الحرب عدد قد يزيد عن سكان بلاد العرب كلها
في ذلك العهد الذي قيل فيه هذا الشعر

هذا ولو شئنا ان نذكر كل مكارم الاخلاق التي كانت في نفوس العرب
ونأتى على شواهد مما قالوه في العفاف والضيافة واغتفار الزلات والحض على
الخير والمعروف او نستشهد على رقة نفوسهم وشدة تأثر عواطفهم بمراثيم لضاق
بنا المجال ولكننا نكتفي بما ذكرناه فانه كف للدلالة ولا يخلو من فكاهة في
قراءة ذلك الشعر البسيط الحسن

ولقد يقل ان هذا الشعر الذي ذكرناه واستشهدنا به انما هو كلام مثل
كلام الوعاظ عندنا يامرون الناس بمكارم الاخلاق ولكن لا يطاوعهم الا
القليل فلذلك لا يكون كلام شعرائهم دليلاً على ان ذلك كان حاصلًا فيهم
حقيقة وهو اعتراض يقضي النظر ولكننا نرجح من بساطة تلك الاقوال
ان العرب كانت اسما في فضائل النفس الجوهرية وان هذه الاخلاق
كانت منتشرة في نفوسهم كاتسار الواجبات العمومية عندنا الآن

ولقد قلنا ان الكذب من اجل مساوي الاخلاق النفسية لانه يجركل
مفسدة ويدعو لارتكاب كل جريمة فاذا شئنا زيادة الاستدلال على ان

خلائق العرب كانت جميلة صادقة فان ندورة الكذب عندهم تكون اجل دليل . انظر الى اشعارهم واصافهم جميعها تجدها في غاية البساطة والصدق في القول وتجد ان هذا الغلو والاغراق المعروف الآن في شعرنا الحاضر كان نادراً جداً عندهم فان الرجل منهم كان يمدح اميره او صديقه فلا يذكره الا بتام ما فيه ولذلك يمكننا ان نتخذ اشعارهم كتاريخ صادق لهم ليس لحروبهم وما مرّ لهم من الوقائع بل لاوصاف عظمائهم في ذلك العهد حتى انك تقدر ان تتمثل كيف كان هرم بن سنان وكيف كانت اوصافه واخلاقه من اشعار زهير فيه على حين لا تستطيع ان تعرف كيف كان هرون الرشيد وسيف الدولة وامثالهما لكثرة ما غالى الشعراء في مديحهم وخرجوا فيه من الحقيقة الى الادعاء والكذب

ومما يدلّك ايضاً ان الصدق قد باغ نهايته عندهم انهم كانوا يذكرون تقصيرهم في اشعارهم ويدلون على عيوب نفوسهم فطالما اثني منهم رجال الحرب في اشعارهم على اعدائهم وذكروا انهم شجعان وانهم لم يستطيعوا لقاءهم وطالما رأينا لاكابر شعرائهم وقد كانوا من اكابر العرب ورجال الحكم فيهم اشعاراً تدل على ان الواحد منهم كان سكيراً مفرطاً حتى لقد ساق الصدق امرئ القيس ان يذكر انه خليع جداً من نفس شعره مع ان الشعر شعره وله حق التصرف في اذاعته وكتماته ولكن كأنه اراد بذلك ان يظهر لغيره حقيقة ذاته ويكون مؤرخ نفسه . ولقد رثى قيس بن زهير حمل بن بدر الفزاري بايات فقال فيها

ولولا ظالمه ما زلت ابكي	عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر	بغى والبغى مرتعه وخيم

ولقد كن حمل بن بدر هذا ارتكب مظلمة مع حذيفة الفزاري فقلنا بسببها فلم يرض قيس بن زهير الا ان يذكر له هذا الظلم في شعره وهو ما يدل على ان القوم كانوا يمشون وراء الصدق في كل اقوالهم والا لما قال زهير هذا القول ووصف صديقه بهذه النقيصة ولكن التناهي في الفضائل النفسانية التي كانت ملء صدورهم قد دفعت ابن زهير لحكاية الصدق حتى يعتبر بقوله كل ظالم

وقال زفر بن الحرث يذكر حرباً جرت بينه وبين قوم
و كنا حسبنا كل بيضاء شحمة ليالي لا قينا جذام وحميرا
فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه ببعض ابت عيدانه ان تكسرا
ولما لقينا عصابة تغلبية يقودون جرءاً للذبة ضمرا
سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت اصبرا
فانظر الى هذا العربي الصادق كيف يشهد بنفس شعره شهادة تبقى الى الابد بان اعداءه كانوا اشد من قبيلته اقلاماً وبسالة وانظر هل ترى شاعراً من شعراء اميركا واسبانيا وهم في اعلى ذروة المدنية يقول مثل هذا القول عن حرب البلادين الاخيرة

وعلى الجملة فانك لو تفقدت اقوال العرب واوصافهم لرأيت حشوها بالصدق وذكر الحقيقة وهو كما قلنا من استنى فضائل النفس وبها استدل على سائر تلك الفضائل

ثم ان ادينا دليلاً آخر على ان المدنية قل ان تجتمع مع مكارم الاخلاق المحضة ان هؤلاء العرب انفسهم لما تمدنوا وتحضرُوا اخذت تلك الاخلاق تضعف فيهم بالتدريج وانتمت بساطة القول والصدق في الشعر والوصف

فصرت ترى المادح يضع ممدوحه في منزلة الملائكة لكثرة ما يثني عليه وينسب اليه من الفضائل التي لا تجتمع في انسان حتى لقد مدح ابن هاني الاندلسي المعز فكان في جملة ما قال فيه

ومتصل بين الاله وبينه ممر من الاسباب لم يتصرم
فجعله بهذا القول من جملة الانبياء ومثل هذه المبالغة الكثيرة قل ان
رأيناها للعرب البادين لان الصدق لم يكن يطاوعهم على مثل ذلك
ثم انظر الى المتنبي الشاعر العظيم وشاعر سيف الدولة الخصوصي كم بالغ
في مدحه والثناء عليه فقد كان سيف الدولة متصل الحروب مع الروم وكان
ينهزم من وجوهم احيانا ولكن لم يذكر شاعر من شعرائه في ذلك العصر انه
انهزم لان الاضطرار الى المديح الخالص الذي ادى اليه الكذب في الحكاية
او التمليق وهو من النقائص كان يمنعهم عن ذكر الحقائق التاريخية في اشعارهم
الا اذا كان فيها ما يثني به على الممدوح

ولقد انهزم سيف الدولة مرة وتشتت كل رجاله وانهزم سيف الدولة
والمتنبي ونحو اربعة من قواده حتى ان المتنبي نفسه حين كان فاراً يسبح على
جواده علقت غمامته بفصن فأنحلت عن راسه فاخذ يصيح ويستغيث وتوهم
من شدة الخوف ان الروم قد تبعوه ووصلوا اليه وقد وصف هذه الواقعة في
شعره وذكر اكثر ما جرى فيها ولم يذكر انه هرب مع سيف الدولة وانه خاف
وجزع ولم يكن ذلك الا لانه لا يريد ان يصدق ولا اعتقاده ان ممدوحه
يغضب لو ذكرت عنه في الشعر مثل هذه الحقيقة

ثم انظر الى المتنبي تجده يذكر الحقائق التي يظهر فيها فضله فقد دلنا
بشعره على انه كان من جملة القواد والمحاربين مع سيف الدولة اذ قل في

موقعة نهر بردى بطروس يذم شعراء سيف الدولة الذين لم يقاتلوا معه
ويعرض بمديح نفسه

ليت المملوك على الاقدار معطية فلم يكن لدنيء عندها طمع
رضيت منهم بان زرت الوغى فراوا وان قرعت حبيك البيض فاستمعوا
ولو لم يذكرونا المتنبى بشعره انه قاتل مع سيف الدولة دون شعرائه
لما عرفنا هذه الحقيقة عن ذلك الشاعر الكبير ولكنه ذكرها حيث بثني عليه
على ان هذه الحالة وامثالها وان تكن لا تدل كل الدلالة على ضعف
فضائل النفس في العرب المتحضرين ولكنها تعتبر من وجه الكذب في القول
كدليل على ان كل حالات المدنية كانت كذلك ومتى امتنعت البساطة في
القول وامتد الكذب واعوز الصدق في الاخبار والقسم فقد فسدت اخلاق
النفس وحقاً لقد صدق المتنبى اذ قال

اتى الزمان بنوه في شببته فسرهم واتيناه على الهرم

فان في بيت هذا الرجل الذي اتهمناه بالكذب ما يرد عنه كل
ما وصفناه به لانه جاء مصداقاً كل التصديق لان المدنية الاخيرة قد ساءت
الانسان وقد كان نعم بها ويسر قبل ان تكون اي ايام لم يكن هذا الاجتماع
الانساني العظيم ولم يكن زخرف هذه المدنية الباطلة التي تسر الجسم وتسوء
النفس وما ندري هل هذه الشرائع التي اختطها الانسان وكتبها في الدفاتر
يحكم بها على اخلاق الناس جميعهم كأنهم انسان واحد ام كثرة اجتماع الناس
واشتباك علاقاتهم قد اوجدت فيهم الحيلة والجهاد العظيم في سبيل الرزق
حتى فشا الكذب وانقطعت الثقة ولكن الذي نراه ونشعر به ان هذه المدنية
قد نقلت اخلاق البشر من الصلاح الى الفساد ودللتنا الدنيا على انه ليس فيها

شيء مجاناً فان ذاك البدوي ذا العبادة كان وافر المدنية في اخلاق نفسه ولم
يكن يستطيع صنع ابرة بيده وهذا الانسان الذي يكاد يصنع المعجزات بيديه
الآن لا يستطيع ان يرد الفساد عن اخلاقه وسجاياه ولقد اعطتنا الدنيا شيئاً
واخذت شيئاً والحمد لله على كل حال



غصن من الورد

لامين افندي ريجاني

ركبت في الامصار البعيدة هواي وارحته من عنائه . غرست في
بساتين الغرباء حيي فنور قبل اوانه . غرسته في ارض سمراء جديدة فناحت
عليه زهور زمانه . طرحت بذور حيي ذات اليمين وذات الشمال . طرحتها في
انجاد العلم فايدس ما نبت منها السرّ وحملت رياح النزاع البقية الى حيث
لا ادري . طرحتها على شواطئ نهر الفلسفة الراكد فذوت في ظلاله الظليلة
— ماتت لانها لم تر نور الشمس . غرست حيي في غياض الحضارة الغبراء
فادمتها الاشواك خنقه العليق . قتلته الجذور السامة * غرسته في ارض
الاحياء والحلان فمات بالاستسقاء من مستنقعات الكذب والرياء * ذهب بجبي
الى الفقراء والبرساء فغرسته في ارضهم الجذباء فلم ينبت * هجرت المدن
وهذه المدنية وركبت البحار * نثرت على المياه حيي كما نثر شمس تموز الماسها
ولا آليها * نثرته صباحاً فتلونت الامواج من شهواته نثرته مساءً فتوهجت من

نيرانه الآفاق * كم حي السحاب فاجابه . دعا البحر فلباه * لمس حي الآفاق
بأنامله فارتعدت وتموجت مبتهجة متوهجة

في صبح يوم من أيام الربيع بعثت حي رائداً في صحراء جديدة فمضى
ولم يعد الي * نادته من قم لبنان فلم يجيني * فنشت عليه في الآفاق وورائها
في مشرق الشمس ومغربها فلم اجده * تركت حي يهيم ثانية على وجهه *
فركب هواء مرة اخرى وتركتني اتحسروا تأسف عليه . آه علي اواه عليه
في وطني في ارض اجدادي في التربة التي ذقت قديماً حلاوة ضربة
محول رجل قوي . غرست غصن ورد طري * غرسته والآمال تدفعني والعزم
يعقد شفتي * غرسته في مكان عزيز جعلته في حوز حريز بعيداً عن الحضارة
والناس * لا فرق عندي الآن ان صمت مسامعهم وان فتحت * لا يهمني ان
استحجرت قلوبهم او استحالت طيناً او ذابت ماء معيناً * انت ايتها الارض
امي وسافرح يوم تضميني الى قلبك كما تضمين الغصن الذي انا الان غارسه *
انت ايتها الارض حية ابداً = ابداً تحبلين وابدأ تلدين * مهما كان
ظاهرك فالشعور فيك لا يموت . النار في قلبك لا تخبو * الحريف يزيل
الوقر من اذنك والشتاء يلين قلبك والربيع يحرك لسانك والصيف يريك ثمة
احشائك ومن افصح منك في الربيع ومن اكرم منك في الصيف من اعظم
تهيجاً منك في الشتاء من اشد سماعاً في الحريف * من ارحم منك ايتها
الارض . من اللطف واشفق واحلم * تقبلين منا الاقدار وتعطينا عوضها
الازهار * تستنشقين نثانة امراضنا وروائحها وتعيدينها شذاء طيباً * تسكب
لك السماء كأساً من الماء الزلال فيعكره الانسان فتفيض عليه مكافأة
خيراتك ومراحك * ارض اجدادي افتحي الان لي قلبك * لا تجهمني .

لا تعبني برجائي وعلمي . لا تحبسي حبي عني دهرًا * ايتها الارض اني نقبها
ابي وحلت تحت اشجارها ابي لا تودعي امالي الصخور . لا تحمليها الى قمم
الجبال فتموت هناك من الثلوج وشدة الرياح

على كتف هذا الوادي الذي ردد صراخي وغدئي صغيراً في هذه
الارض التي هجرتها . غرست غصن ورد طري . كملت الارض بيدي لا
بلساني حصيتها ونقبتها بعمولي الصغير * طعمتها من ذاك الاسود الذي تفرزه
المواشي ومن ذاك الاصفر الذي كاد يشتعل في الصحراء من قبلة الشمس
ويكاد يذوب على السواحل من قبلة الامواج * سقيت غصني من ماء الفؤاد
وحجبت عنه النور في ايامه الاولى * رفعت فوقه سرادق ودي وهيامي ونثرت
حوله في الشتاء اوراق الخريف البالية * ولبثت اذ ذاك انتظر جواب الارض
وحكمها * كم مرة زرت غصني وهزته مستنجداً فلم تبدعليه لا اشارة الموت
ولا علامة الحياة * كم مرة افنقده وقليت فيه الطرف مستقصياً اخباره * كم
مرة وقفت امامه والفؤاد يتموج بين اليأس والرجاء * تباركت ارض اجدادي
فقد حسن في عينها اجتهادي * تباركت ارض امي فستريني الورد على غصن
تعبني وهمي * نعم الارض كلمتني . اجابت الارض سؤالي . رردت الارض
صدي حبي * ها ان غصن الورد ينطق كالطفل * بدت على شفثيه لفضة
الحياة واثرت في قلبه الكلمة الحية التي تساقطت عرقاً من اناملي ومن جبيني
في فمه لؤلؤة صغيرة ملفوفة بلفافة ذهبية وفي صباح الغد تستحيل افافة
لازوردية وتبدو اللؤلؤة زمردة نحيفة ندية * وبعد غدٍ او بعده ينشأ من
الزمردة صدفة خضراء في قلبها بحور من الورد لا ترى واجيال من الحياة
لا تعد * في قابها اوراق خضلة صغيرة ملتفة حول عرق نحيف طري لا يعرف

بعد اسم الشوك ولا معناه * في قلبها غصن ورد وفي قلب الورد بذور وفي
البذور الابدية والخلود

كلمتني ارض اجدادي . احبت في الرجاء ضمت الى صدرها طفل
حبي وانعشته بعد ان كاد يموت * نفخت فيه من روحها الازلي فتحرك لسانه .
هو ينطق بما تلقى اليه من ايات الحب والجمال والحكمة والرجاء * اين فصاحتني
من فصاحتها * الارض لا تنطق الا لتحبي . لا تكلم الا لتزهو وتثمر * ما قالت
لا بزمانها قط . فان كان جوابها ايجاباً (فنعم) وان سلباً فسكوتاً ابدياً * كل
آياتها جميلة كل اقوالها منعشة محيية وليتها تعلم بنيتها القول المثمر المنعش
الجميل * اوليتها تعلم بنيتها السكوت

كأني بالارض تقول : ليكن عندك ذرة من الايمان في واعطني ساعة
من العمل فاعطيك عوضها مئة بل الف ضعف من الحب والرجاء من
السرور واللذة من العزم والنشاط من الحياة البسيطة النقية التي لا سعادة
للانسان الا بها

كل جرثومة على غصن الورد الذي غرسته هي لفظة من الفاظ الارض
العذبة . هي رسالة من الام لبنيتها * كل برعم من هذه البراعم هو عقدة من
عقد الكون . هو سر من اسرار الحياة * في اي عصر ولدت ايتها الوردة .
اي ارض شاهدت اول زهرة من ازهارك واستنشقت اول نفحة من اريجك
من زرع بذرتك الاولى . من غرس اول فرع من فروعك * اول غصن من
اغصانك الاولى = من نقله من الحقل الى البستان من الوادي الى حديقة
الانسان ؟ ايتها الوردة البهية بل الوردة السرية من اي دغل نشأت وفي اي
سلم من النباتات الشوكية رقيت ؟ لا تكلم الارض الا الغازاً . الارض

لا تأمن بنيتها على اسرارها * احترز من شرك العلة الاولى . لا تبحث في اصول
الاشياء * متع نظرك ونفسك فيما تراه وتشعر به وان شئت الدخول الى هيكل
سر الاسرار فتجرد عن الجسد قبل ان تطأ اسكفة الباب

اني لاجد لذة شهية غريبة في مشاهدة هذه البراعم الجديدة وفي مراقبة
نشوئها ونموها * عددهم والله مراراً كما تعد الام اسنان طفلها فلقدتهم مراراً
كما تفتقد الطيور عشوشها تلهفت على برعم واحد نثرته الرياح منها * ولكن
زمن السرور قصير . تكاد زبدة الاشياء تذوب قبل ان تجمد

اواه صرت اخشى الاقتراب من وردتي فقد ائت فروعها والتفت
اغصانها وقسيت اشواكها * اواه صرت انظر اليها بغير العين التي شاهدت
نشوء براعمها ونمو فروعها * لهفي على وردة الحياة . تربني الف شوكة قبل ان
نفيح بنفحة واحدة من شذاها * تجرحني مئة مرة قبل ان تعطيني زراً واحداً
من ازرارها . اه



المصائب محك الرجال

لانظون افدى الجميل

لماذا لا يشبه الانسان الطبيعة ؟ هي تزهر وتزهى بعد عواصف الشتاء
وهو يذبل ويسقط بعد عواصف الشتاء . . .

ما حياة الانسان في هذه الدنيا الا كفصول السنة

فصل الشتاء محزن تتلبد غيوم الشدائد في سماء مظلمة نائمة فتطر ثلجاً
تجمد له حركة القلوب الخافقة وتدمع الاعين الحارة . تعصف رياح الجزع

فتتلاعب بأوراق الآمال الذابلة . وتنقص رعود المصائب فتزجي القلب
البشري بصاعقة اليأس القتالة

وفصل ربيع مزهر مشعريطيب فيه الهواء . وبروق اديم السماء . تشرق
شمس الهناء . والاقبال فتبدد غيايب الكروب ويسطع على الافق بدر السعادة
والآمال فيضيء ظلمة القلوب وتفتتح ازهار الصفاء وتنضج اثمار الرجاء .
تلك هي حياة الانسان يسر وعسر . راحة وشقاء . شدة ورخاء .
ورد واشواك . طلوع ونزول . شروق وافول . حلاوة العسل . ومرارة
الحنظل . ابتسام ثغر . ونقطة دمع

هذا هو نصيب ابن آدم من هذه الدنيا فليس تليه اذا ان تبطره النعمة
اذا ارتفع ولا تذله الفاقة اذا انضغ بل عليه ان يكون رجلاً حاذقاً ثابتاً في
حالي السراء والضراء

تري المرء سديد الرأي قوي الارادة حتى تصيبه رزية او يناله مكروه فيهن
رأيه وتضعف ارادته ويستولي على قلبه الجزع فيذهب فريسة القنوط واليأس
والمصائب اذا محك خطير لمعرفة الرجال فان كثيراً من الذين
يتظاهرون بالحزم في حالة النعيم اذا ما افرغوا في كبر الشدائد وعرضوا على
نار الشقاء تذهب عنهم بهرجتهم ويزول رونقهم تبعاً لقول الشاعر
سبكانه ونحسبه لجيناً فابدى الكبير عن خبث الحديد

كأن فقد مال . او موت عزيز . او هبوط مسعى . او حلول آفة
نائلة كانت تفقد الرجل قواه بدلاً من ان تجدد لها وتذك عزائم بدلاً من ان
تقويها فنسأل متعجبين : لماذا لا يشبه الانسان الطبيعة : . . . وهي تزهر
وتزهر بعد عواصف الشتاء وهو يذبل ويسقط بعد عواصف الشقاء . . .

نعم يجب ان تكون المصائب مهمازا لعزيمة الرجل ومنشطاً له في الحياة
والفوز في تذليل الصعاب واحتمال المتاعب والمشقات فليس على الانسان ان
ينسى ان المصائب تضيع على هامته اكليلاً لا يناله بغيرها

سينال المجد من كان طامعاً . يتنعم بالملذات من كان شرهاً . ويصيب
الغنى من كان مقتراً . ولكن لا يفوز باكليل الشوك الا من كان يتصبر عند
النواب . ويتجلد عند الشدائد . ولا يفوتنا ان اكليل الشوك اطول عمراً من
اكليل الورد . هذا يذبل ويفنى لانتقطاع الحياة عنه . وذاك يعيش مؤبداً
لان ما يسيل على اشواكه هو ينبوع الحياة منه وكان هينغويقول : في
المصائب جلالة اجثوا امامها خاضعاً .

اي الرجال يخلد ذكركم ويرفع قدرهم ؟ هم الذين ناخ عليهم الدهر بكلكه .
واي الشعراء يوشرفينا شعرهم ويبكيننا قولهم ؟ هم الذين قدسهم الشقاء بزيت
المقدس . انفطر قلبهم فسال اشعاراً رقيقة . وتحول صراخ عذابهم الى نغمات
لطيفة تنفذ في القلب لانها صادرة عن هوميروس ودانتى ويرون وجون
وهينغو ولامارتين وموسه هم اكبر الشعراء لانهم كانوا اكبر التعساء

اجل كما انه لايسيل الخمر من العنقود مالم تضغظه الآلة العاصرة كذلك
لا تسيل العواطف الرقيقة من القلب مالم تضغظه المصائب ويدوسه الشقاء .
فالقلب كاشجرة لا يسيل ماؤها الا من جراحها

فالمصائب اذا تزيد المرء مهابة وجمالاً ورفعة وكماً حتى ان احد
الكتبة كان يقول : لا شيء يعظم قدرنا كالمصائب العظمى

وكم شاهدنا من الذين كان لهم الشقاء فادياً والمصائب داعية جد
ونشاط كانوا في النعيم خاملين ساقطين فما قلب لهم الدهر ظهر الجن

حتى شمروا عن مساعد الهمة واستعدوا لمبارزته وتهيأوا لمصاولته : مدء اليأس
 يده الحديدية ليفتك بهم فنزعوا عنهم خمولهم وصادموه بترس الصبر المنيع
 ففازوا على الايام وعضاتها وسادوا على الدنيا وثقلباتها ولعمري ان انتصار
 الانسان على الشدائد لا يهي على انتصاره على الاعداء وجلده لدى النوايب
 لا رفع من جلده في الهيجاء . فاكليل الصبر اسنى من اكليل الغار وما هذه
 لدنيا الا حرب عوان والظافر من تجلد وتصبر

فلنكن اذا حليتنا الشجاعة لدى البلية والحزم لدى الرزية ولنقل كما
 كان يقول ابن سناء الملك

ولو مد نحوي حادث الدهر كفه لحدثت نفسي ان امده يدا
 او فلنكن كالمجنبي حاك له درعا من المصاب قاوم بها المصائب فتكسرت
 بعضها على بعض فاخذ الدواء من حيث اتاه الداء

رماني الدهر بالارزاء حتى فواءدي في غشاء من نبال
 فصرت اذا اصابني سهام تكسرت النصال على النصال
 فلا تطأ طيء راسك ايها الانسان اذا هبت عليك عواصف الشقاء
 بل كن كالطبيعة تزهر وتزهر بعد عواصف الشتاء



الزينة خير من العزب

« للدكتور اسكندر بك البارودي » مباحثة

هل نقعدن على ضرر ومسغبة وعيشة شأنها التعذيب والكدر
 فكلم جبان رأى الاقدام منقصة لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينيك هل ارض معطلة تفيد في خصبها الاوراق والخضر
من يا ترى يحسب الفقراء خالية من النبات كارض حفها الشجر
فعدت عما ادعته الاغنياء وخذ قربنة الخير يبق بعدك الاثر
لا بد من ثمر في زيجة هشت واي فضل لعود ماله ثمر
قد جعل الخلق ازواجاً بمبدئهم اتبدلون نظام الله يا بشر
سبحان من جعل الزوجة مطبوعة على المنفعة وسطوعاً في الضيق
والسعة وجعل الزيجة الرضية والعيشة الهنية من اثن النعم البشرية اما
بعد فان هذه المسألة لا توجب احتداد الحجاج ولا امتداد اللجاج لكونها واضحة
كنور الشمس الوهاج على ان المرء لما كان لا يستغني حسب مبداء الازدواج
عن الضدية كما لا يستغني عن الزوجة الرضية اذا ابتغى المعيشة الشهية قام
لمسألتنا وجه آخر لا ظلام سمائها وتكدير صفائها فاردنا ان نزيل عن القضية
الاشكال ونقشع عن سماء الزيجة غيوم العبث والمحال
ويليق بنا قبل الخوض في عباب البحث ان نأتي بالاحكام العمومية
واعم القضايا المثبتة الجوهرية المتعلقة بالزيجة والعزب فنقول
(١) الزيجة والبنوة رباطان طبيعيان خريان ترتبط بهما العيال البشرية
والعزب حل بل قطع لهذين الرباطين الطبيعيين
(٢) الزيجة علاقة طبيعية نافعة بين الجنسين ضرورة لعموم البشر
والعزب انفصال بينهما شنيع ضار
(٣) الزيجة بغية يتغياها الطبع وتحض عليها القوى الجسمية في كل
انسان غايتها حفظ نوعه وتعداد افراد جنسه وهي واسطة الايلاد الكافل
لاستمرار النوع واما العزب فحرمان من الامل واستئصال للنسل

- (٤) استبقاء النوع اثم الواجبات الطبيعية ولا يقوم الا بالزواج فالزواج عامل من عوامل البقاء الاجتماعي . واما العزب فاحد عوامل الفناء
- (٥) اقتران الجنسين شريعة طبيعية مطاعة في النبات والحيوان والانسان واما الانفراد فمن خواص الجوامد التي لا حياة لها . وهو مخالف للشرائع الطبيعية
- (٦) الزواج او الاقتران مهما اختلفت درجاته فهو عبارة عن اجتماع الجنسين اجتماعاً غايته الاصلية المعاونة واعداد النسل . واما العزب او التفريق فمهما اختلفت ضروبه غايته الوحدة والتمتع بالملاذ النفسانية
- (٧) الميل المزيج بين الجنسين شديد فهو ناموس كالجاذبة بين الاجسام والزواج نتيجة ضرورية عنه . واما العزب فمعاندة ومخالفة لذلك الناموس الطبيعي
- (٨) الزواج الشرعي هو الطبيعي المسنون بالشرائع المراد به الاعتدال والمنفعة . واما العزب فمخالف للسنن والطباع
- (٩) الزواج الشرعي روابطه تختلف حسب الشرائع ولكن يقصد بها جمعاء بلوغ السعادة واحراز الصحة وزيادة العمران . واما العزب فليس فيه شيء من مثل تلك المقاصد الحميدة
- (١٠) الزيجة محترمة في جميع المذاهب مرغوبة بين جميع الامم والشعوب موصى بها من كافة الاولياء والانبياء واصحاب الشرائع . واما العزب فقال به القليلون واحترمه قوم معدودون
- (١١) فضل الزواج واحترام حقوقه مجمع عليه في شرائع الاقدمين . مأمور به في القوانين المدنية لنماء الجنس وتكاثر النسل واما العزب فبالعكس فالرومان كانوا يكرمون المتزوج ويحتفلون بالمرزوق بنين كثيرين ومن الجهة الاخرى يمتقرون الاعزب ويجعلون عليه الضرائب الباهظة

(١٢) فضل الزواج ما خفي عن افهام العلماء والفلاسفة الاقدمين فقد ابانوه واشهروه وعلوه وامروا به فكانت الشريعة الرومانية توجب الزيجة على الشعب وتحرم العزب متهددة باشد العقاب كل من قصده واعتصم به

(١٣) الزواج فريضة الهيئة الاجتماعية بها يقدم فلاح الامة ونماؤها ولا سيما اذا جرت على سنن الحكمة والادب وليس العزب بشيء من ذلك (١٤) الزيجة ضرورية لا بد من اجراء مقتضاها . فاذا كانت شرعية اتمت الغاية الشريفة التي هي انتظام المعيشة وتربيته البنين ورفاء العيش . وقامت بوظيفة فيسولوجية نافعة الا وهي المواصلة الطبيعية واعداد التكاثر النوعي وليس العزب كذلك

(١٥) اذالم يتم الزواج شرعاً تم على وجوه ذميمة قبيحة تشوه الانسان وتحط منزلته الى ادنى الدنايا فبئس العزب المؤدي الى ذلك وصاء صنيع الجاهلين

(١٦) الزواج الطبيعي الشرعي اصلح للبنين واصح للجسم من العزب (١٧) الزواج الطبيعي الشرعي المنتظم الهنيء مجلب للنشاط ومحرز للصحة

ووسيلة للاعتدال في المعيشة وسبيل لاطالة العمر . واما العزب فليس كذلك (١٨) الزيجة تيقظ الهمم الخاملة للجد وتحث مطايا الاجتهاد والكد

وتشغل . القوى الجسمية والعقلية . وتزيد الاعضاء المستعملة قوة والبنية احتمالاً وبالتالي تؤدي الى اخشيشان البدن وصلابة الهيكل الجسماني

فيصير المرء بها اقوى على الصبر لدى هرم الحياة . واما العزب فمبدأ النقاء عن الاعمال ومنتهاه عن مباراة الرجال

(١٩) الزيجة المنتظمة توثق عرى الاتحاد بين العيال وتقوي وصائل الالفة بين الاقوام وتدعو الى الموالفة والموانسة والمدنية . ولا يخفى ما بذلك

من تسهيل المعيشة واحراز اسباب الامن والرفه . واما العزب فيؤدي الى قطع العلائق وانصرام حبال الالفه وتضييق دائرة الهيئه الاجتماعية

(٢٠) الزيجه معتصم من الرذائل ومعقل من ارتكاب الحسائس وحصن لكافة الفضائل وملاذ للخلال الحميده والاعمال المفيدة . واما العزب فبالطبع ليس كذلك لانه كثيراً ما يلجئ صاحبه الى ما لا يليق

(٢١) الزيجه مع احراز البنين تربى في القلوب عواطف الخنو الشريفة وتدريب الاخلاق على المبادي الخيرية المنيفة وتمهد السبيل للسلام والامان وتقلل كثيراً من كرب الانسان مما من شأنه اطالة الحياة ووفرة اسباب الصحة والرفاه . الا ترى كيف ان مفاكهة الزوجه . ومناجاة البنين شفاء من الوجد واقوات للنفس ونشاط للبدن ومطال للعمر . واني يكون للعزب مثل ذلك (٢٢) ان السعادة البشرية منتظمة بسلك يقال له المحبة . والمحبة لا تتجلى بابهى حلها وانخر حلاها الا لا يفتها الزيجه المباركة . وما اشهى المحبة للنفس واغذاها للعقل وما اشدها تقوية للتمحه وتنشيطاً وانعاشاً للقلب وما افعلى الزيجه الراضية في سعادة المرء وطول حياته

(٦٣) الزيجه بها ينتصب ميزان العدالة الطبيعية اذ يفرض على المنتفع النفع وعلى الآخذ الاعطاء فلذلك كان الايق بمن نال من الابوين ما نال من الوجود والعناية والتربية ان ينيل ذلك بنيه الناجمين من زواجه وكما انه خدم شيخوخته يوم يقعده الهرم ويوهن قواه الشيب ولا يعود يجد الى الاعمال الشاقة سبيلاً . فهل للأعزب ماله من الخدم البنوية والراحة العائلية متى بلغ ذلك المبلغ اما في ذلك من الاعانة على طول الحياة ما يفي بالمقصود ويفعم الأعزب الجحود (٢٤) ان الجرائم وحوادث الجنون والانتحار اكثر عدداً بين الأعزبين

مما بين المتزوجين فقد وجد علماء الاحصاء ان لكل ١٠٠ جريمة يرتكبها المتزوجون ٢٠٠ لغير المتزوجين ولكل ١٠٠ حادثة من الجنون بينهم ١٨٠ بين غيرهم . ولكل ١٠٠ منتهر منهم نحو ١١٢ من غير المتزوجين فتأمل وكذلك تبين من الاحصاءات والتقويم ان المتزوجين اطول عمراً من سواهم . اذا الزيجة خير من العزب

ان مناظرنا بني افعلية العزب في اطالة العمر على اساسين اولهما قلة الاهتمام والراحة والثاني الاعتصام بواجبات يظنها البعض خيراً سبيل للابتعاد عن اسباب الامراض والآفات فاسمحوا لي لطفاً ان امخل الاساس الاول الذي يبنى عليه زعم انصار العزب وبرهان اضداد الزواج الا وهو حسبان الاهتمام باسباب المعيشة هما والجد لالة العيال تعباً وغماً وان ابطال القول الثاني الذي هو الزعم بان الزواج يضني الجسوم ويسثم النفوس ويجلب الاكدار ويقصر الاعمار فاقول هب اننا سلمنا بكون الاهتمام هما والجد والاجتهاد تعباً وغماً فلا نسلم بان الغم والههم مختصان بالمتزوجين دون الاعزبين لان الانسان متزوجاً كان او اعزب مفروض عليه ان ياكل خبزه بعرق جبينه ولا مناص له من الهم وجهد الحياة وما رأينا الاعزبين اقل تعباً ولو انفردوا عن الجمهور وتحصنوا بالصوامع والقصور . ومما رحم الله به اهل الجد والاجتهاد ان جعل بالشغل والمشقة سرّاً لا يطلع عليه الا ذووه الا وهو تجديد القوى وتشديد الاعضاء وتقوية البنية على احتمال مشاق الحياة مما يجرمه المتقاعدون ولم ينله البطالون ولا ذاق لذته الكسالى المتقاعدون . ولا يخفى ان امراض التواني والكسل اشد خطراً على الحياة من امراض الاجتهاد والعمل فكم من مكسال مبلى بفراط السمن والضعف والانحلال معرضاً لموت الفجأة في ساعة لا تخطر

له على بال وكم من اعزب دفعته دوافع الطبيعة لارتكاب المحرمات فتال جزاء
تعبه اشروا الامراض والعاهات فاحترم بها لذة الحياة وعاش في اسوء الحالات
ومات قصير العمر نادماً على ما فات . فيا ايها الاعزب ان دلوك التي تدليها
الى الانهار لا ترجع لك بيلة . فعليك بالينبوع الدائم لا تقبجار تستجلب منه
تقع الغلة . . وترشف من زلال مائه العذب ما يبرد منك غليل العزب واما
الذين ارادوا المظاهرة بالنسك والتماعي ولا زال دأبهم السير في المعامي
ولا يغال في المرامي

تباً لها من عيشة جمعت ضراً وبوءاً غربة وضى

فما هم لا يكونون من الذين ضلوا في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعاً فهو لاء ان كانوا كاملين الخالق الجسمية حائزين الاطباع
الحيوانية والاهواء الشهوانية فالويل لاجسامهم كم تاقى من الجلد والتمذيب
وكم تحمل من المشاق التي يعلمها الطيب وكل ليب ما يقصف غصن الحياة
قبل الاوان ويذهب الصحة ذهاب العصافة والدخان افهوء لاء تستشهد ايها
الاعزب الاديب ولا تشمت بنفسك الالية وتفضل زواجهم على الاعزبية واما
النزر القليل الذين اعد الله اجسامهم لاحتمال العذاب ونفوسهم لا كنساب
الاجر والثواب ممن هاموا بحبه ونذروا البتولية في طاعته وهم عن القيام بوظيفة
الزواج عاجزون وعن النهضة لمهام الحياة مقصرون فهوء لاء قليلون جداً وامرهم
معدود من الشواذ التي لا يقاس عليها فزواجهم قليل الجدوى للبشرية فهم
بالرهبانية اخرى وبالعيشة الاعزبية اولى ومع ذلك فطول اعمارهم لا يتوقف
على مجرد عدم زواجهم . ولا يغنيك لقيام البرهان فتبلاً

وقف القضية يا اخي ولا تكن مثل الذي يمضي ويقضي بحقه

فالأمر دع للشائئين وحكمهم فيرون خلب برقها من صدقه

نرى الزواج لذيداً وراحة وسروراً

ان كنت لم تختبره فسل بذاك خبيراً

الناس قد الفوه وجربوه دهوراً

فزيجة الخير تبني من السعود قصوراً

العمر معها هنيء وليس معها قصيراً

والاعزبون بويل معذبون كثيراً

من لك بالدرة المغزونة . والبغية المكنونة . والباكورة الجنية .

والسلافة الهنية . والروضة الانف . والطوق الذي ثمن وشرف . لم يدنسها

لامس . ولا عبث بها عابث . لها الوجه الحلي . والطرف الحفي . واللسان

الغني . والقاب النقي

ومن لك بسيدة واولاد يحيطون بك احاطة الهالة بالقمر والاكمام بالثمر

فاذا احتجبت بفضل العزلة واجتناب الطريق الجزلة . قلنا تستغني

بالخطب عن الرطب او بالملح عن البلح وما عملك في ساعة لا يساوي فيه

الشعر شعيره . ولا الثمر نثاره

الا ترى المتزوج عند دخوله الى المنزل يطرح عن اكتافه جلابيب المم

والعناء واثقال العزبة والشقاء عند عتبة بيت اضاء فيه محيا امرأة بسيمة .

ذات طلعة وسيمة . وآداب كريمة . ينديه لطف ترحبها وشارات تحبها

كل ما ثقل عليه من معاناة الاشغال وسوء الاحوال وينديه اقبال البنين

باصواتهم الشجية والدالة البنوية جلبة اصحاب الاعمال ومتاعب النساء والرجال

الا يخفف عنه وطأت الانفعالات النفسية وهموم العزبية او لا تدبر المرأة

اللطيفة ضيق مربعها بتوسعة ذرعها وهناء طبعها

سل الاعلام الدوارس . وكل مجرب ممارس . واستنطق للوقوف على
الحقائق اخبار المخابر عن توارىخ ماضى من سكان المقابر اذا لم تصدق خبيراً
عليه سقطت واياه ناظرت تجد

ان بالعزب والجفاء * منافاة الالفه والوفاء * وان تفاضل القيم *
بتفاضل الهمم * وتفاضل هم الرجال باعالة العيال * وكثير من المرض
والتعب * بالتولية والعزب * وان الصحة البدنية * بقيام الوظائف الطبيعية *
ولا اعزبية في الانام * كملا رهبانية في الاسلام * ولا رب ان الزيجة
الرضية * والعيشة الهنية عطية رحمانية

الا ترى الاعزب على الدوام مجهزاً اهابه . او حاملاً جرابه . آخذاً
في الطرق المتعبة . والسبل المتشعبة . حتى يمسي رجلاً قد برته هموم الغربة
ولوحت سموم العزب والنكبة . حتى عاد انحل من قلم . واحمل من جلم وليس
له في بحر الالفه العائلية مسبح ولا في ساحل هناء العيشة الهنية مسرح على
حد القول

دفعه الليل الذي اكفهراً معذباً قد ذاق عيشاً مرا

لولا البلياما اتى مضطراً الى ذراكم شعناً مغبراً

اخا سفار طال واسبطراً لم يتخذ في منزل مقراً

ولم يكن يؤمن يوماً شراً حتى اثنى محقوقاً مصفراً

مثل هلال الافق حين افتراً وعن رغيد عيشة ما افتراً

عاش كمن مات ضنى وقهراً وقد عرا فناء كم معترا

اين الاعزب من المتزوج الذي توطن امنع جناب وفل عنه حد كل

ناب واستغنى ببابه عن قرع كل باب

الا تبتغي ايها الاعزب الهدى بعد الضلال في ذلك انقفر واحياء الليالي
الطوال بسراب انك فيه لمفتقر . وتدع عنك سبيل من سار في غلوائه سادلا
ثوب خيلائه . جانحاً في جهالاته متناهيّاً في زهوه . مفرطاً في طيشه ولموه .
معرضاً نفسه للمفاضح . معرضاً عن نصيحة الناصح . فان عشت طول عمرك
فانت تحت اعراض داء الذيب والعزب المذيب

قل لمن ظن صيدهن يسيرا ان صيدا الطباء ليس بهين
كم فتى قد سعى ايصطاد فاصيد ولم يلق غير خفي خفي
فتبصر ولا تشم كل برق ربّ برق فيه صواعق حين
فكم وكم تغلق بوجه الاعزب الابواب ويسأم من معاشرة الاعزاب
ويزداد بالوحدة همّه اذ لم يكن بالاهل والزوجة همّه فيبات غرباً يجنّه الليل
ويغشيه السيل وقلما ينال الايواء الامين لحرمانه المنزل الاهلي الثمين فيصبح
وقد ضنى الدهر سعدته واخلفت الاعزبية برده واغصصته الاسفار بريقه .
واضاعت عنه هدى طريقه . وابقت احب من صب . واذهل من صب .
فيأس من التيهان عن نوال المراد . ويعود عن التطرق والازدياد . فيعض على
اصبع الندم بسنه يوم لا يعود يصلح للزواج لكبر سنه

فتباً لك من عيشة كثرت شوائبها وشابت ذوائبها وقلّ سعادتها الى ان
انفطر عودها . وما هي لنقاس مع زيجة لذينة شهية وعيشة عائلية هنية
وما قولك اذا تزوج بناء المجد * بنات الادب والجد * وعاش الزوجان
بالهنا والرغد * واتفقا في وحدة المشرب والقصد * وحافظا على عهدهما في
القرب والبعد * وارتبطا بالحبة يدّاً يد * اما هما اقرب من الاعزب الى حالة

السعادة الحقيقية * وظروف كمال الصحة البدنية * في سبيل آخر لطول
العمر ونوال الراحة والرعاية * اما شأنها بخير من حال اعزب يضرب في
الارض نجداً وغوراً ويرى التاهل سفهاً وغوراً

فهل لك ايها الاعزب ان ادو بك بطبي واوصيك بنصيحة المربي *
وربي فادلك على من يدلك على زوجة رشيقة القصد * اسيلة الخد * صبورة
على العناء والكد * ذات عقل وجنان * وجد واحسان ترفل في ذيل الجمال
وتتعلى بجلى الفضل والكمال الا تمنى ان يكون لك امرأة كما وصفت من
اكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف خوؤولة وعمومة ميسمها الصون * وهي نعم
العون * الا تطيل برقتها عمرك وتصلح بادابك عمرك

فالقرينة الصالحة تصلح بيتك بتدبيرها وتغنيك عن جميل غيرها * وتلبي
صوتك على حين لا يسمعك سواها وتغض عن كثير من المصائب طرفك *
وتطيب بادابها ذكرك وحسن سيرتك * ونقر بجملها عينك * وتطيل بكمال
سجاياها وجودة اخلاقها عمرك

الزوجة الحسنة للمرأة	كجوهرة	كرمه
فيها السعادة والهناء	وسائر المن العظيمة	
والراحة العظمى بها	وبناية الجسم السليمة	
ويل لاعزب ماله	حظ بطاعتها الوسيمة	
فتراه محروماً كثيراً	من مآثرها العميمة	
فمن العذاب تحرق العزب فمقباه	وخيمه	

افبقي بعد هذا من ريب بافضلية الزيجة الهنيئة والمعيشة الالهية والحياة

الرضية وقد سمعت الاعزب يهمس في اذني في يوم برده قارس * ووجهه
عابس مراجعاً قول القائل

وَصِرْتُ نَضْوَ فَاةٍ وَعَسِرَ	عَارِي الْمَطَا مَجْرَدًا مِنْ قَشْرِ
كَأَنِّي الْمَغْزَلُ فِي التَّعْرِی	لَا دَفْأَ لِي فِي الضَّنِّ وَالضَّبْرِ
غَيْرِ التَّضْمِي وَاصْطِلَاةِ الْجَمْرِ	فَهْلُ رَفِيقِ ذُو رِءَاءِ غَمْرِ
يَسْتَرِنِي بِمُطَرَفٍ وَطَمَرٍ	كَامْرَأَةٍ تَدْفَعُ شَرَّ الدَّهْرِ
فَهِيَ مَلَاذُ الْمَرْءِ عِنْدَ الْعَسْرِ	وَلَذَةُ الْحَيَاةِ يَوْمَ الْيَسْرِ
يَتَلَوَّاسَانِ حَالَهُمَا بِالْجَهْرِ	بِالزَّيْجَةِ الْخَيْرِ وَطُولِ الْعَمْرِ

وخاتمة القول = ان الزواج يضمن الحقوق ويؤيد نظام الالفة ويمثل
الفضيلة اجمل تمثيل ولقد صدق من قال ان الزيجة حصن حصين يود الذين
خارجة الدخول اليه

وافضل الاقوال في الزيجة انها صنع الله سبحانه الذي قال لنصنع لآدم
معيّناً فاي معين كالزوجة الفاضلة واي قرين كالزوج الحكيم والسلام



خطبة

✽ لامين بك ناصر الدين ✽

تلاها في مدرسة المعارف الحميدية « عبيه »

اليوم ايها الطلبة الاعزاء يتبدىء الدرس القانوني في هذه المدرسة التي نسأل الله ان يمنحها نتيجة مقرونة بالنجاح . وان يلهمنا سداداً في آرائنا ويزيدنا قوًى في عزائمنا وينير بصائرنا بضياء المعرفة لنتمكن من القيام بخدمة الوطن خدمة منزهة عن شوائب الاغراض خالية من كل ميل او هوى والسير في بث روح العلم بينكم وتلقينكم سور الاداب على الصراط السوي في ظل اعظم انصار العلم جلالة ولي نعمتنا مولانا امير المؤمنين دام نصره

ان بينكم فئة تدرك الغاية التي اسست لاجلها معاهد العلم وهي تسهيل طرق التعلم على مريديه . ولا اخاكم تجهلون ان العلم ركن العمران واس الفلاح والنبراس الذي به يستضاء في ظلمات الجهل والنقطة التي يتبارى ارباب الذكاء في مضمار الاجتهاد للانتهاه اليها اذ ليس من دونه مجد في هذا العصر

غادرتكم مواطنكم وتركتكم آباءكم وامهاتكم يحنون اليكم شوقاً لغاية واحدة وهي طلب العلم والسعي وراء الآداب ولولا هذه الغاية الشريفة لما ضمتكم جدران هذه المدرسة ولا استثار تذكارات الاهل منكم وجداً ولا استذرف لبعضكم دمعاً

فاذا كانت تلك غايتكم التي لتوخذون الوصول اليها والضالة الوحيدة التي تشدونها فعليكم ان تعلموا انه لا علم بلا اجتهاد ولا اجتهاد لمن اطلق لفكره

العنان في تصور الاشياء الباطلة والى نفسه سيء لجج الخيال معتصماً
باسباب وهمية

ارى بينكم جماعة في ريعان العمر ومقتبل الشبيبة في الزمن الذي تروح
فيه اعطاف الجهلاء صهبا الصبا وتلعب بالبابهم وساوس الشباب فمن كان
منكم ابي النفس عجيباً داعي الهدى كان بارزاً عواصف الصبرة كالطود الراجح
والا فهو شبه بشجرة باسقة اذا لعبت بها الريح هضرت اغصانها
ففضوا ابصاركم عما يخشى من كونه شغلاً شاعلاً تغلبوكم واعلموا ان
الانغماس في الشهوات والانقياد الى هوى النفس مجلبة الشقاء وشرك الهوان
والقائد الى نقطة العار واتعظوا بغيركم ممن قبضوا عن العلم عنان الاجتهاد
وتوغلوا في فيافي الضلال فان فيهم لعظة لقوم يبصرون

انتم الآن في السن التي يتسنى لكم فيها تحصيل العلم فاذا مرت عليكم
اعوام قليلة دون ان تدركوا منه وطراً حالت بينكم وبينه حوائل جمة واذا
ذاك تمر بفكاركم ايام قضينموها بالعبث واللهو فتتفلسون الصعداء وتوقنون
بسوء المصير

ان اوقات الدرس بحسبها التلميذ المجتهد مقدسة كما يحسب الناسك
اوقات العبادة فاستجمعوا فيها المتفرق من افكاركم وقيدوا الشارد من مداركم
ولا تصرفوها في المناجاة بما هو خال من الفائدة فتندموا حيث لا ينفع الندم
ان اجتهاد الاساتذة لا ياتي بالفائدة المبتغاة حتى يقتربن باجتهاد التلامذة
وذلكهم فاذا صادف اعتناء الاستاذ ذكاء من الطالب واجتهاداً جنى ثمرة
نعبه والا فلا كملطريهي على ارض جيدة التربة فيخرج حباً ونباتاً وينهل على
صخر فلا يترك عليه اثرًا

التلميذ المجتهد يرى المدرسة مهماضقت فسيحة لارجاء رحبة الابهاء
وتتمثل له روضة مديجة بالازاهير فيجني منها كل مازها شكلاً وطاب عرفاً
والتلميذ المستقيم الى الكسل يرى المدرسة مهما كانت مثقنة رحيبة . حرجة
خالية من كل القان وتمثل له طالماً بالياً واي الاثنين المصيب ياترى
نحن في عصر حطم فيه القلم عامل السمهرى . واخفى صريره صليل
الصارم المشرفى . فاصبح البطل من يظفر بقرنه في مجال العلم . والفارس
من يطلق لجواد فكره العنان في حلبة الادب وسبحان مغير الاحوال انه
القادر الحكيم

اذكروا انكم ستقفون بعد مدة امام جماعة من علماء الوطن واعيانهم يوم
لا ينفع الطالب رواء المنظر وحسن الاثواب بل ابراز النباهة واطهار الذكاء
يومئذ يعلم الحضور ما لكل منكم من الحسنات والسيئات . يومئذ تبيض
منكم وجوه وتسود وجوه . يومئذ تبسط صحيفة العلم فيسطر لكم فيها مايسر
وما يسوء . فحذار من ذلك الموقف الرهيب الذي تخشاه فيه ابصار المتوانين
عيون كثيرة من انصار العالم ترقبكم متوقعة ان يلوح لها منكم بارق
النجاح . وعيون كثيرة من اعداء الفضل تنتظر ان تراكم ساقطين في درك
التأخر . فاجتهدوا في ان تحققوا امانى محبيكم وتردوا حسادكم خاسمين
هذه نصائح تلوتها عليكم فمن وعاهها منكم كان فائزاً باذن الله ومن
لم يعرها اذناً صاغية يكن في ضلال مبين . والله سبحانه الهادي الى الصواب
وعليه الانكال



﴿ نظام العالم الفاسد ﴾

﴿ وما هو استعدادنا لاستقبال نظام اصاح منه ﴾

« لامين افندي الغريب »

كلما مر يوم بالانسان في هذه الدنيا يرى اموراً كثيرة تقتضي الاصلاح والتغيير . حركة التقدم والارتقاء دائمة في العالم . ولكن الاغلاط والمفاسد دائمة ايضاً على ما يظهر . وكلما حدث حادث في الكون يستحسنه بعض الناس ويوجد اناس غيرهم لا يرون فيه الا العيوب

فالقاريء في هذه الساعة يذكر اموراً طالما تعجب من وجودها وفكر في كم تكون افضل واجمل لو انها كانت على غير وجه . بعض الناس تضطربهم اشغالهم الى الإقامة في مكان واحد لا يستطيعون هجرانه مدة قصيرة . فامثال هؤلاء يرون السعادة في السفر ويسألون انفسهم لماذا خلقهم الله تعساء الحظ الى هذا الحد

وآخرون يتعبون ويشقون آناً الليل واطراف النهار لكي ياتقطوا معاشاً يناله غيرهم بالراحة والسكينة . فكم من اخ فقير يحسد اخاً غنياً . وكم من جار قليل الحظ تدمع عينه عند رؤية اسباب الرفاء في بيت جيرانه . وكم من غني يتعجب في تعاسته من اتهام الناس اياه بسعادة غير موجودة ورغد عيش لا يعرف له اصلاً وفصلاً . وخلاصة الامر كل الناس يجدون احياناً سبيلاً الى التذمر والتبهرم من ظلم اليد التي وزعت خيرات العالم على ابناء العالم فنحست هذا وحرمت ذلك واعطت الكثيرين قليلاً والقلائمين كثيراً

كل واحد منا يفكر في بعض الامور ويجدها غير عادلة ولا سديدة ولا مناسبة وفي تفكيره بها يتمنى لو امكنه تغييرها . وكم من انسان مقيم في هذه المدينة ينظر الى سوء حظه فيها ويلقي بعبء تعاسته كلها على عاتق المدينة .
 يعني الانسان دائماً حظه ويلعن الظروف المحيطة به ولكنه قلما يفكر بتأثير نفسه على الظروف . والذي لا يجد وجهاً للسعادة في نيويورك يظن انه يكون اسعد حالاً في بوسطن

ولا شك ان في هذا الظن شيئاً كبيراً من الامكان والاحتمال ولكن هل نحن في الحالة الحاضرة مستعدون تمام الاستعداد لاقبال حالة اسعد منها هل ان الذي قضى زمناً طويلاً فقيراً يتحسر على اموال الاغنياء يكون سعيداً ان قام في صباح يوم من الايام ووجد مليون ريال مطروحة على بابه ؟ يتبادر لذهن القاري ان يقول نعم بكل تأكيد ولكن بعد افتكار قليل يراجع نفسه ولا يقول نعم

والذي لا يجد سعادة في مكان يظن كل السعادة سبي في انتقاله منه الى غيره وفي اكثر الاحيان يكون مخطئاً في ظنه

كل سعادة آتية من خارج الجسم هي وهم باطل لا يلبث ان ينقشع ويزول حدث لكاتب هذه السطور انه دخل يوماً متحفاً كبيراً فيه الرسوم والتماثيل والمشاهد التاريخية . وكان رسم الدخول نصف ريال . ولما خرج منه سمع واحداً من الخارجين يقول لرفيقه : لو اننا صرفنا نصف ريال في حانة لكان افضل من رؤية هذه الصور

فالى ماذا تشير هذه الكلمة ؟ الى منزلة العلوم والفنون والتواريخ واعتبارها في نفس قائل هذه الكلمة . الى اميال تلك النفس وانعطافات

وكيفية جوابها على السؤال عن السعادة في الحياة

شلالات نياغرا هي اعجوبة طبيعية من اجمل ما يمكن ان تقع عليه عين انسان في هذا العالم . ومع ذلك ان لم تكن نفس الانسان الناظرة اليها ذات استعداد خصوصي يمكن انه لا يرى شلالات نياغرا الا كمية فظيعة من الماء تندفق بضجة مزعجة

ان الظروف والاماكن المحيطة بنا تجلب لنا نوعاً مما نسميه سعادة او تعاسة . لكن هذا ليس من النوع الثابت . بل من النوع الذي يزول سريعاً ويحل محله الملل والضجر

هكذا نرى بعض الساكنين في لبنان وهو اجمل بقعة على وجه الارض يتضجرون احياناً من سكون لبنان الذي يتغنى بمجده الشعراء ويكثر من وصف مناظره الجميلة الزائرون والسياح

ان الظروف والاماكن والاشغال والحياة كلها تكون جميلة وسعيدة بقدر ما تسكبه انفسنا فيها من الجمال والسعادة . وكل ما يرجوه الانسان في هذه الدنيا من الصلاح والتحمين يجب ان يأتي من داخل نفسه لا من خارجها

فقبل ان تلوم الظروف وتعتب على الدهر وترجو ابدال هذه الاحوال السيئة باحوال احسن منها يجب عليك ان تتعلم كيفية الشعور بما في الاحوال الحاضرة من المحاسن والذنب ذنبك ان لم تستطع ان تجدها

اذا لم تجد شيئاً في الدنيا يستحق استحسانك ولا احداً يسمعك كلمة حسنة فكن على ثقة من ان تغيير المكان والزمان لا يغير لك هذه الحالة



العصبية

==*== لا حمد افندي رضا *

الانسان كائن حي من الكائنات الارضية ارقى عما حواليه من الحيوانات بما تلبس به من نفس ناطقة وقوة عاقلة ولكنه كان غير مستقل بالنسبة الى حاجياته مفتقراً الى غذاء يقوم به حياته ويمتاض به عن الدقائق المنهدمة من جسمه محتاجاً الى درء المغاب ودفع المهاجم من الوحوش الكاسرة التي تنازعه في صيده وتزحمة في معاشه مضطراً الى التعاون والتعاقد لتضاعف قوته ويكمل بأسه فيصد القوات المهاجمة والعصابات المزاحمة . بهذا تكاثفت افراده وتضامت فكان بينها الفطن الأيد والافين الوهن والشريف والدنيء والضعيف والقوى على نسبة بين الافراد مختلفة باختلاف هذه الصفات وقربها وبعدها من الانسانية وصفاتها الحقة . ولا شك ان من اخذ منه بناصر الفضيلة وحييت اليه الاخلاق الطاهرة الحافظة لكيان الانسانية المشيدة لدعائهم من قوة وفطنة وعفاف وحلم وكرم ومجد نبيل وشرف اصيل كان موضع الرجاء في النازلة ومحل الالتجاء في الشدة وهو موضع اهوائهم ومحل امالهم وهو الذي يدافعون عنه ويفدون به بانفسهم استدامة لنفعه واستمداداً لبركته . اخذ بذلك محل العصبية منهم يدراً عنهم شر المهاجم وكيد الكائد ويد الفاتك يوء الفهم في شتاتهم . وان النفس لتستهوياً منافعها فتستطلع من ثنيات المصالح مهويها ولا تزال كلما تكررت المنفعة قوسى الميل حتى يستحكم ويصبح ملكة وهناك تطلب له كل محمدة ومدحة قضاء لحق الشكر واداء لحق الارتياح واظهاراً لما يكنه الضمير من المنة واعظام النعمة فتتأصل

بذلك عصبية راسخة تنصرف لارادة المهوي ومنفعته حتى اذا زادت في نشأتها ورسخت باصولها وانصرفت بكليتها سلبت ذا العصبية رشده واخذت منه ثلثه من حريته فيقيد نفسه بقيود الانقياد ويضع في عنقه نير التقليد فاذا رأى سنة سننها ذو العصبية سار فيها دون نظر ولا روية

واظهر مظاهر العصبية اذا وشجتها وشأخ الرحم ووصلتها شوابك القرني القريبة وما يتلوها والانسان بالطبع ينتصر لايه لان به حمايته وهو محل نسبته ومبدأ نشأته فخره مربوط بفخره وشرفه سائر بشرفه يشينه ما يشينه ويعليه ما يعليه علقه ماسة وفطرة واحدة فتتنصرف بذلك عصبية لايه واخوانه واعوانه فاذا انتج اولاده جرت اولاده مجراه وسارت في سنته فتحفظ له العصبية كما حفظها لايه . يدلي هذا الخلق اليهم بالوراثة ويرتقي بالاعواز ولكن الخلق المورث في الوارث اقل اثرا من المورث فتكون عصبيتهم لايه دون عصبيته له وهكذا كلما نزلت ضعفت بنسبة نزولها الى ان تشعبت العصابات النسبية

قد يتصرف الطمع بالنفس فتصبو الى من هو مقتدر على النفع حبا باستجلاب الخير من يده وان لم تصل منه الى بلغة بعد ولكنها تطير باجنحة الطامعية وتدنون الطير حام على قلب وهنالك يريها الطمع في المطموع به اعتلاء يورد الميئ الى مراتبه ليريه استكمال نفعه به

الانسان بانانيته وطمعه يجب الاستئثار وجلب المنفعة فيعتدي على اخيه فان كان دونه حولا وقوة لجأ الى من هو اعلى كعبا واشد اسرا ليفرج كربه ويزيل شدته

قد يغلق دون المرء وجه الرأي عند المشككة وفي ظروف النازلة فيلجأ الى

رئيسه يأتمر بأمره ويهتدي براه

امثال هذه المنافع تعلق قلب التابع بمتبوعه وتخلص له مودته وتوحد
وجهة عصبية حتى اذا تأصلت واصبحت ملكة خرجت عن سلطة الارادة
فتكون كلافعال المنعكسة تصدرها الملكة والعادة غير مراقبة نفعاً ولا مراعية
مصلحة ولا يزال اثرها قائماً حتى تلاشيا الملاشيات الخارجية تدريجاً
حب الذات فطرة للرز نشأ عليها بناموس بقاء الانسب فنشأت معه
وللبئة والاحوال الاجتماعية التي تحيط به تاثير في قوتها وضعفها فحيث ثقفها
التهذيب وهذبته الترية ظهرت وهي اعظم فائدة واعم نفعاً وان اهمل فيها
التهذيب والتنقيف خرجت عن حدها المحدود ورمت بصاحبها في مهالك
الطمع والحسد وبها ثبت التنازع في العالم وبسقت اصوله ولا بد لها من
قسطاس مستقيم ووازع قوي يقف بها عند حدها ولا يطلق منها الا
ما تقتضيه المصلحة وتصلح به الهيئة الاجتماعية والتمدن الحقيقي وذلك الوازع
هو الحاكم ولا بد له من سلطة منفذة وشريعة قانونية تقيم العدل على اساطينه
وتكفل لذويها السعادة بالعدل . والشريعة قيد من قيود الانسان وحد
يقف عنده دون التهور في اغماله تمنعه من الافراط والتفريط وقيام ذلك يكون
بافراد من الامة استكملوا المناسبات وحصلوا محبة المحبين ووجهة المتجهين
فاخذوا باطراف العصبية عن اهلها وسقوا من رحيقها فدالت لهم الدولة
واخذوا يمين الصولة

اذا استحكمت الرئاسة ورسخت الدولة فاما ان تكون قواعدها متأصلة
على اساس من العصبية او تكون ثابتة بالقرّة والغلبة فان كانت الاولى دامت
الدولة بدوام عصبيتها فجمع بها الشئيت وقوي الضعيف وسارت في طريق

مهيح ونجد لاحب حتى اذا شيبست باستبداد وظلم وغلبة وفهر لوت على عقبها واضمحلت عصبيتها شيئاً فشيئاً الى ان تقوم عصبية اخرى اقوى واخص فتجمع الشارد وتضم المتفرق وتحفظ كيائها وقوتها . يبعثها الى ذلك حياة في مجتمعها ونهضة منها لم شعشها فتتأخى على نقض القوة الاستبدادية والسلطة الظالمية حتى تعود فائزّة ظافرة مستاثرة بالسلطة اذا جمعت اليها شروط الرئاسة كما دلنا عليه التاريخ وشهدت لنا مسوّدّة العراق لقطع ظلم الامويين والا هجمت في مهاد القهر واستسلمت لضرع الاستكانة في لبوس الذلة حتى تستثيرها او غيرها نهضة اخرى والظلم لا يدوم لكن الهاجعين مختلفون بين من اعترته سنة خفيفة وهجمة ضعيفة يشبهه بادنى منبه لم يلاق من الاستبداد غير لفحة لم تذهب منه بروح الاستقلال وبين من هو في سبات عميق لا يوقظه غير وخز السيوف ورث الذل والفساد الاستبداد خلفاً عن سلف حتى لم يبق له من روح استقلاله نفقة

وان كانت الدولة قائمة بالقوة والغلبة فان سلكت نهج العدل وصراطة وقربت لمحكوميها منافعهم وقامت بمصالحهم قيام الناصح الساهر اخذت منهم عصبية قوية ونعرة وحمية ترسخ بها قواعدها وتحفظ شواردها ان لم تراحمها عصبية اخرى اقوى منها ولا تزال قائمة ما دام العدل والانصاف سائدين فتتأصل العصبية او يشاب حكمها بالاستبداد فينتكث فتلها وتعود من حيث اتت كما اجزتنا به سلطة الناجم وزنجيه في العراقيين

سمعنا ان دولة بني العباس التي قامت بالعصبية وقويت بالنعرة لما قلّ اثرها في الامة وتسلط عليها ثلة من الاعاجم ساموا الرعية مواقع الجهد والنصب والعناء والوصب ضعف صوت الدولة وقلت سطوتها فتناهبها

ملوك وطوائف من فاطميين وحمدانيين وبويهيين وان شئت قل عرب وعجم وترك وديلم ولكن بقي فيها حفظ للاساس ومحافظة على الراس ونعرة لبني العباس ولما طال الامد عصفت بذلك الرأس عاصفة بعد ان انهكتها الاسقام وصفرتها الايام فجذته عن بغداد واطاحتها الى ارض مصر حيث فئت عصبية وذهبت نعرته ولم يبق له غير شبهة دينة ومقاصد سياسية تجيش في صدور ملوك مصر تطلباً للميزة على غيرهم من ملوك الاسلام

فالعصبية اذا روح سائرة نظراً عليها الشدة والضعف والقوة واللين فاذا افرطت في مذهبها وطغت في مجراها اضرّت بما فوقها من جنسها ضرراً يأخذ بابنائها طريقاً هو بالطمع اشبه فيصمون عن النظر في عصبيتهم العالية التي هم احوج اليها في حياتهم وحفظ كياناتهم كما جرى لملوك الطوائف والانديلس حيث ملكتهم الذلة وحكم عليهم عدوهم واقتنصهم دولة دولة وطائفة طائفة وكما كانت غرناطة واعدائها الاسبان يول على ابوابها يحصرونها وهي احوج ما تكون الى عصبية تضم اجزاءها لتدراً عنها شر المهاجم كانت منقسمة على نفسها وعصبية البيازين فيها تقاوم ضدها مقاومة اذهلتهم عن ان العدو في عقر دارهم ينازعهم استقلالهم ويهدم كيان دولتهم حتى سقطت دولتهم واخرجوا من ديارهم طرداً وذهب ما كانوا يوم ملون من الفوز على اخوانهم بل هلكوا وهلك اخوانهم وهلك عصبيتهم الجائرة واصبح من بقي منهم تحت ضغط ممكنة التفتيش اونة من الزمن ثم انجلوا بلباس الذلة وتشتوا عبايد بكل مكان يندبون دولتهم ويكون استقلالهم مثلاً حصل بقسطنطينية والفتح على اسوارها واهلها في جدال ديني يقول معه بعض قسوسها ان احب الامور اليه ان يرى تاج الفتح في كنيسة آيا صوفيا ولا يرى قلنسوة راهب روماني

هذا الخلق الطاهر وذلك الاساس المتين اذا تجاوز حده استجلب الدم من محافله واستجلب الدل من حوافله وهي العصبية التي نهى عنها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله ليس منا من دعي الى عصبية وامثال هذا من الآثار النبوية بهذا الشأن . كان ذلك منه والامة العربية متفرقة اسراً وافخاذاً وعشائر وقبائل تضم كل فريق عصبية قوية تنازع جاراتها والامة العربية اذ ذاك متهيئة لنهضتها من كبوتها متحركة للقيام من غفلتها بفضل ذلك الاصلاح الكبير الاسلامي تستعد لملك العالم والقبض على السلطة العامة في المعمور وانى يتم لها ذلك دون ان تكون العصبية الميلة والجامعة الامة اول العصبيات لديهم اهمية واعزها موقعاً واكبرها قصداً وان يكون الافراط في ما دونها مما يوقف من نموها مذموماً منهيّاً عنه بما نطق به الحديث ونهى عنه الوازع الكريم صلى الله عليه وسلم . ما الذي اتجته العصبية المذهبية التي اسسها العباسيون بدولة العباسيين بين السنة والشيعة ان ولج العدو دارهم فاذهب عزهم واباد صولتهم وتركهم عبايد وهم في مثل تلك الحال ما انفكوا في تنازع لا يستفيقون ولا ينعوون قد اوهى افراطهم في مذهبيتهم وغلوهم فيها وطنيتهم فاذهبها ومحا رسمها وهلكوا بهلاكها وذهب عز العراق وخبت نار بغداد والله الامر

العصبية اما ثابتة واما مستقرة تاصلت في الاخلاق بحيث اصبحت ملكة في النفس او انها وقتية غير ثابتة بل هي مداراة للمصلحة وجوداً وعدمياً ولا شك ان اولاهما اعلى وامتن مبدأً وغاية لان الدائر مدار المصلحة منتف بانتهائها وربما انقطعت المصلحة فتتعدم العصبية ويذهب اثرها ونفعها وبغير هذا الدائم الخلقى قائم دائم بدوامها ولئن ضعفت بضعف اسبابها فان للنمرة

هبة تستثيرها ما دام لصاحبها عرق يلبس

العصبية الدائمة الخلقية تتفاوت درجاتها وتختلف قوتها بحسب مراتبها النفسية فسامها الانانية ومنها الروح السارية فيها ثم بعدها العصبية للأسرة ثم للعشيرة ثم للقبيلة ثم للامة ثم للنوع ثم للجنس . وكلما بعدت ضعفت والجنسية اضعف الجميع . هذا اذا تركت للفطرة دون تأثير للعوارض الخارجية الطارئة ولكن هنالك اسباباً تجعل المومخر مقدماً والبعيد قريباً فربما يذهب المرء نفسه ذباً عن امته ووطنه واسرته وقبيلته وهذا من الافراط فيها ولكنه محمود المغبة مشكور النقية قام عليه حفظ اصل النوع وبه اعتلت الفضيلة فاذا اختل مثل هذا تضعضع الكيان واضطربت الاكوان

لما تأصلت الغيرة الدينية في نفوس الاوريين في القرن السادس للهجرة وتوجهت ابصارهم تلقاء فلسطين منبع اشعه النصرانية وعلموا ما يلاقيه الزائرون من العناء والاعنت كانت اقل نفحة من انفاس بطرس الناسك تذكى نار عصبية اندفع منها اتى عظيم على الشرق والشرقيين سال له سيل الدم العرم يصلون حر النار لانقاذ البيت المقدس والمذبح المقدس والقبر المقدس من ايدي المسلمين

عصية مذهبية ملية في غايات سياسية اذكاها امثال بطرس من زائري بيت المقدس المحرضين المهم لانقاذه . صوروا للخاصه والعامة صوراً مختلفة متناهية في الفضاة مثلوا بها حال المسلمين والاسلام في الارض المقدسة صوراً اكبرها الوهم واعظمها الفكر وبرهنتها العصبية فتناقلتها بينهم الالسنه وتنقلت في الاحاديث فظهرت لديهم بظهور الحقيقة على ايدي امثال ولم تكن اختبارات عقلاء المهاجرين لاحوال المسلمين كافية لمحو تلك الصور من الازهان

لا سيما والخطبون بتأبيدها دائبون في الدعوة اليها حتى اذا خمدت الجذوة وانطفأت الشعلة ووضح بعض الحق وارتقت العقول تراخت العصبية وقلت الفائدة فلم يبق لذلك التأثير الهائل من الخطابين اثربعث الحروب ويجر الولايات ولكنه نقي اثار وشي في الافكار من العصبية بقيت تصور لهم المسئلة الشرقية بصورها المختلفة

قلنا ان العصبية اذا تجاوزت حدها الى افراط وتفریط كانت مذمومة المغبة وخير احوالها ما انتهجت فيه الطريق الوسط ولكن لا بد لها في ذلك من مسيطر وقوة حاكمة عليها تراعي فيها الاحوال وتصرفها كيفما شئت وتلك القوة هي العقل وهو قد تتسلط عليه امور تقيد اطلاقه من عادات وشهوات وملكات بكيفيات نفسيات فيصداً من هذه الطوارق ولا يصقل له الا التهذيب والتعليم والقدوة الحسنة . والقدوة قائمة على اتها في الاصاغر بالنسبة الى الاكبر وفي العامة بالنسبة الى الخاصة . عنيت بالخاصة من بيدهم ازمة الامور في الحل والعقد والتربية والتعليم يقيمون العصبية الصالحة في هو . لا حيث يسلكون منها النهج الصريح ويتلبسون بالمبدا الصحيح فينسج المقتدرون بهم على منوالهم وتأخذ العصبية الحققة حقها من النجاح . لا اقول بانحصار التربية فحين ذكرت بل اقول بلزومها لهم وانهم احق بها واهل لها . منزلة الاكبر في النفوس من الجاه والنفوذ وبسطة العيش والقوة هي مطمح انظار من دونهم يتعلق بها جل اهوائهم فبهم يتشبهون وبمثالهم يتمثلون كي يعدوا في عداهم ويذكروا بينهم سنة جارية وحالة متبعة . فاذا سلك الكبراء طريقاً تبعهم فيه غيرهم ان خيراً فخير وان شراً فشر (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) لم تشذ بقوم عن

نهجهم سوى غير العصبية الجائرة التي يسرقها الافراط والتفريط وانك
 لتجد في العصبية قبل تجاوزها حدها كياناً محفوظة واموراً متناسقة مستقيمة
 فاذا جاوزت حدها حصدت ما كانت جنته قبل ادراكه فيذهب هشيأ
 تذروه الرياح . وان الامة العربية لما ظهر فيها الاسلام ودعا في تعاليمه وشريعته
 الى التآخي والتناصر في دفع المكاره واستجلاب المنافع قامت العرب امة حية
 تسعى لكيانها الديني بطريق لا يضرب بل يحفظ لها كيانها الاجتماعي وضربت
 منها العصبية في النفوس فحفظوها فاستقامت لها الاحوال وانتظم المعاش
 وصعدت في رقيها حتى اصبحت المالكة ذات السلطة المطلقة . وللدین
 وآدابه الصحيحة وتعاليمه القويمة فيها المقام الاول وهو بعد في جدته لم تشبه
 البدع والاهواء بشوائبها ولم تدنسها الاباطيل بخزعبلاتها حتى اذا القت
 الرئاسة مقاليدها للداعين اليه والقائمين بنشره قام فيهم جماعة لم يتقنهم التهذيب
 باصوله ولم يستمسكوا من عرى الدين بشيء وكثير ما هم فتراجع سير الناهضين
 في رقيهم ووقفت حركتهم شيئاً فشيئاً واخذت القدوة تمثل اعمال اولئك
 بصورة مستحسنة تفتن الناظرين اليها فيسرون على نهجهم بعباداتهم وتقاليدهم
 ففسخوا كثيراً من القواعد الدينية وشوهوا بعض محاسنه وتراموا اولاً فاولاً
 في ببداء البدع بين آفن يرى بالرئاسة دون ماله من الحق وذو سلطة دينية
 يأمل ان تتخذ اعماله واقواله حجة . فشدوا بذلك عن الآداب الدينية والقواعد
 الدينية الصحيحة حتى تكون مع طول الزمن وتراخي المدة بدع اذهبت نضرة
 الدين والقوم سائرون في طريق القدوة لرؤسائهم حتى ثقاف الامر واستعظم
 وتشوهت الحقيقة بندوق البدع وتملكت العصبية من طريق القدوة في
 نفوس حرجة لا تفقه غير التقليد

يصدع الوازع بهدايته وشريعته حين يرى الضلال غالباً والشقاء حاكماً
 فلا يزال في وعد ووعد وبشرى وندار حتى يستضيء بمشكاة هديه جماعة
 ممن فتح الله قلوبهم للإيمان به فيستقيمون على سنة ولكن منهم من اخذ
 اليقين بلباب معرفته فترأى له الحق باجلى مظاهره فنبذ سنة الاولى وعاداته
 وعصبيته حتى نسخت من صحيفة ذهنه او كادت ويقينه يدفعها عنه الى ان
 يدفع شرها وتقوم في نفسه عصبية جديدة للحق وللهادي اليه . ومنهم من
 ضعف يقينه شيئاً عن دفع مغالبة سنة القديمة وعاداته وعصبيته الاولى فكان
 به نزعة لحالته الاولى وعاداته وتقاليد القديمة ولا يزال يرمقها في افعاله
 واقواله من طرف خفي ويقرب اليها من حيث لا يشعر حتى اذا طال الامد
 وسار المقتدون به على منواله وضمت تلك النزعات وظهرت تلك التقاليد في
 مظاهر اجلى في الخلف منها في السلف فتسترجع العوائد القديمة او ما يقاربها
 وترسخ بدعاً ثابتة فيقل اثر الاصلاح الذي صدع به ذلك الوازع الكريم
 وتنجلي عادات مظهرها الديني والدين منها براء . بهذا وذاك تتأصل البدع
 وملكانها في النفوس وتستطيل بتقلص ظل الهداية ويعود الدين غرباً كما
 بدأ ولا يتحكم التقليد

هذا هو الشأن في كل امة وملة ما لم يقم من رجالها سائرون في سنة
 الاصلاح على النهج السوي الصراح لا تثنيهم عن عزوماتهم نزعات تلك
 العصبية ولا تقاليدات تلك العظمة

نشأت المدنية في العرب وهم في خلة يتوارثونها خلفاً عن سلف وهي
 العصبية القومية والتباهي في العشيرة فلما ظهر الاسلام احل محلها العصبية
 المللية لمكان الحاجة اليها فهذبها مهنذبات الوحي وثقفها مثقفات النبوة . ولما

انقضى عصر النبوة وتلاه زمن الخلفاء الراشدين سارت الامة على الطريق
المسنون لللاحب ولكن كان سيراً مع فتور يطرأ وشذوذ يحصل كلما بعد
المدى عن زمن الوحي حتى رجع حكم الامة الى الملك العضوض وترعرعت
الفتن وعلت جذوتها تراجعت تلك العصبية القومية بما بقي لها من الآثار
والنزعات في النفوس وتنوشت الشكيق الديني وذهب التهذيب الشرعي والقت
الامة مقاليدها الى اولى العصبية منها غير ناظرة الى استجاءهم الشروط المطلوبة
من الصلاح والاهلية خلا صباية كصباية الآباء من آدابها وتهذيبها وارتفع
بالتدريج حق السيطرة والمراقبة والمخول للامة على حاكميها واستبدوا بالرأي
والعمل وضربوا على يد كل معترض او ناشد بالله في نصيحته كما قتل من نصح
احد خلفاء بني امية اذ قال له وقد اطال خطبة الجمعة اطالة كادت تذهب
وقت الصلاة الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك . وقبلها وضع الحجاب
وغلقت الابواب وعلقت الستور ورفع عبد الملك بن مروان سوطه على يد
كل مذكر له بالمعروف او ناه عن منكر . والعصبية تسهل كل امر من ذلك
وتقعد كل قائم ولم يكن من ثمة عاقل يجسر ان يتفوه بينت شفة ضد المستبدين
حتى تلاشت هذه العصبية بطبيعة هذا الاستبداد وقامت دونها اخرى
تقاومها وتعارضها واخذ مسودة العراق قلوب السواد الاعظم غير انه بقي
حشالة من العصبية الاموية قامت بها دولة الداخل في الاندلس وما زالت
تحيا وتموت بالعدل والاستبداد حتى تلاشت وحل محلها غيرها كما كان مع
العباسيين وقد تقدم ذلك كله

قلنا ان النفع الذاتي والانانية سائقان الى النفرة موهسان للعصبية
مقومان لها فاذا تقلص النفع اثر في اثرها واذهب من حشاشتها . وكما بعد

النفع وطراً الضر تراخت العصبية فاذا دام هذا حل محل الحب كره ونفور .
ولهذا كان الاستبداد في الدولة سبباً لبطلان عصبيتها ونفور النفوس عنها
فتنقطع اممها وتنقسم على نفسها والنفس بالطبع مسوقة لجلب المنافع ودرء
المفاسد فهي تريد دفع المضرّة بكل طريق ترى امامها مفراً من الذلة فتنازع
السلطة المستبدة سلطانها وقد كان اوهى امرها ونكت فتلها الاستبداد ولا
يقعد بها وهي في تلك الحال عن مثل هذه غير خوف يبطل، بهمتها فاذا كان
تألب واتحاد وعصبية اخص واقوى لم يبق من الخوف ما يدفع الهمم عن
تطلب المصلحة ودفع الجور وتتمكن العصبية التي هي اخص منهم وبعبارة اخرى
ان العصبية بانواعها اذا وقع منها قسم يدافع سارت النفس منها الى نوع آخر
حيث لا تخلو نفس من عصبية

حب الاستقلال وتطلب العز من مقتضيات الانانية وهو في الحقيقة
من العصبية القومية لجميع الآحاد وكما ان العصبية تكون لشخص في الامة
والعشيرة تكون للمجموع الكلي من حيث هو مجموع فتجعل حكمها وامرها
كله شورى وهذا اول الفطرة وغاية التمدن فاذا انحلت عصبية الرئيس فان
بقي لغيره من الاشخاص عصبية جمعت حوله ذويها ونهضت بهم وان لم تكن
رجعت الامة الى مجموعها وبعبارة اخرى رجعت الى انتظام هيئتها لا دارة
امرها فتحكم نفسها بنفسها ومنه الجمهورية

من اثار النفع الذاتي المؤسس على العصبية التضام والتلاحق والاجتماع
حيث يبعث الفة تأنس بها النفس وتستوحش لبراحها فيحصل في قلب كل
من المجتمعين الفة وبالتالي عصبية ولهذا كان الشتات في الامة وعدم الاتصال
بين اجزائها موجبا لانحطاطها بفقدان عصبيتها فاذا بقي لها جهة جامعة بقي

لها من العصبية بقدر ما تقتضيه تلك الجهة فلائمة لاسلامية كان لها واثام
وارتباط شديد ما دام لها اشتراك في اللغة يعني انها كلها ترمي الى اختيار لغة
القرآن والسنة فلها بهذه الوحدة قوة في عصبية ولقد كان العرب في دولتهم
يوء يدون عصبيتهم بنشر لغتهم في الاقطار حتى كانت ضواحي الهند والسند
وربوع مرو وخرسان وهي لباب العجمة مقراً لائمة اللغة العربية وعلماؤها ومنبتاً
لفضلائها ولما ان ضعفت السلطة العربية وفشلت الدولة العباسية دولتها الكبرى
فقرت هممة المسلمين في هذا السبيل فانجلت تلك العصبية وحل محلها عصبيات
مختلفة فأبعد ذلك الاتصال بين اجزاء الامة وافرادها واوهى التفريق عزها
فالعصبية خلق طاهر وخلة كريمة وهي مرقاة النجاح وسلم السعادة اذا
اخذت طريقها الحق وانتهجت سننها العادل واخذت التربية والفضيلة زمامها
وتولت قيادها يفضان طامحها ويردان جماحها فلا تركب الشطاط ولا تألف
الانحطاط وخير الامور الوسط (ومن قبد بالفضيلة قاد السعادة)



تأبين المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي

للدكتور اسعد افندي عفايش

قد وقع الخطب وعز العزاء	وانهدم البيت الرفيع البناء
مات الاديب اليازجي الذي	شهرته سارت مسير الضياء
علامة القطرين نجم الهدى	رب اليراع الفرد قطب العلاء
عاش اخا حرية ناشراً	مبدا المساواة وفضل الاخاء

قد دفنوا في الرمس شيخاً حوى اجل علم راسخ او ذكاء
 ودفنوا فيه رجاء امة لنهضة العلم بخاب الرجاء
 نعم يا معشر الاخوان خاب الرجاء . واصيبت مقاتل اللغة العربية
 بداء . ليس يلقى له دواء . الا وهو موت الشيخ ابراهيم اليازجي حجة الكتاب
 والبلغاء . من يقل في مثله الندب ويستعذب ماء البكاء . . . ؟
 اخذ اليازجي حب اللغة عن ابيه فنشأ وفي نفسه نزوع اليها وفي فؤاده
 حنان عليها فوقف حياته على تقويم ما اعوج منها واصلاح ما اعتورها من
 الفساد . واذا اردنا ان نصور فضله على اللغة العربية وجب علينا ان ننظر
 فيما كانت عليه قبله وما صارت اليه بعده فنقول غير خاف ان اللغة كالا حيا
 تمر بادوار انحطاط وادوار ارتقاء تبعاً لحال الناطقين بها من النهضة او الخمول
 لان اللغة هي ما يعبر به كل قوم عن افكارهم واحساساتهم وما يقع
 تحت ابصارهم . فهي ترتقي بارتقاء اهلها في التأنيق باشكال الملبوس والتفنن
 بانواع المأكول والمشروب والاخذ باغراض اللهو والترف وضروب
 الاكتشافات والاختراعات وهلم جرا .

وكما زادت هذه الدائرة زادت دائرة اللغة اتساعاً شأن جميع اللغات
 الحية في عصرنا الحاضر . الا ان لغتنا العربية طرأ عليها من الخمول ما جعل
 بين ما نتكلم به الآن وبين مناحيها واطرافها الفصحى حلقة اتصال واهية
 حتى تكاد تعد مفقودة .

فضلاً عن وقوف اللغة عدة قرون عن توليد الفاظ جديدة سدّاً للفراغ
 الذي أحدثته مكتشفات العصر الحديثة . فالاوروبيون او بالاجمال اهل
 اللغات النامية في عصرنا انفوا لتهديب لغاتهم وتوسيعها ندوات علمية تعرف

بلا كديمي انطوا بها التنبيه الى مختل الالفاظ والحكم الجازم بمختلف الآراء
وجعلها وافية بحاجات الامة من حيث التعبير عن كل ما يحول في الفكر
او يقع تحت الحواس . . .

في مثل تلك الظروف ظهر اليازجي كالبدور من وراء الغيوم فبدد
الظلمات او كالطبيب اشرف عند اشتداد الداء وبيده ترياق الشفاء فاجى
الاضاع التي هجرت بتراخي الزمان ودافع في سبيل حرمتها دفاعاً لم يخش
فيه لوم اللائمين ولم يبعها بصداقة الاصحاب والمقربين بل قام مقام ندوة
علمية يصلح ما اعتور معجزاتها من اغلاط النساخ واوهام المؤلفين .

وانحى على قواعدھا بايضاح المغلق وضبط الشارد فكان خير مثال
للمحققين . فبينما هو فلكي يبحث في الكواكب وابعادها اذا هو نحوي يفصل
الخطاب باحكامه . اذا هو كاتب ظهر في الطبيب شفاء يداوي سقام التعابير
وفي البيان سحرًا يعد دليل الاعجاز وفي الضياء صباحاً يستضيء به عمدة
الكتاب وجلة المنشئين اذا هو اخيراً نجمة الرائدین وشرعة الواردين . وفقده
الآن لا يعد خسارة فرد من الافراد ولكنه خسارة ندوة علمية بكاملها
ولذلك فالاسف عليه شامل كل ناطق بالضاد . نعم ان ما تركه من آثاره
الادبية يزيد مع تقادم الايام رونقاً وبهاء ولكن ذلك لا يفيد اللغة الفائدة
المطلوبة ان لم يقوم من علماءنا لجنة تاخذ على نفسها اتميم ما بدأ به فقيدنا
العزیز وعند ذلك نتعزى عن وحشة فراقه بما يؤنسنا به ذكره المجيد وما
يقوم به خلفاؤه من السعي في السبيل الذي جرى عليه .

ولما كان الفقيد الكريم لم يخلف نسلاً نشاركه الاسى ونقدم له فروض
التعزية . فنحن هنا اخوانه نعد دواتنا بمنزلة آله . ونعزي بعضنا بعضاً عن

فقد اخ كانت تعتربه المحافل الادبية . خاتمين باستنزال الرحمة عليه وتخليد ذكره في صحائف القلوب وعالم الادب ما بقيت لنا من الحياة بقية



❖ لمحة اقتصادية ❖

❖ بقلم انطون بك شحير ❖

احترم القبط وتعاضم الحر في ثغرنا ففترت المهمة في الاعمال وقل انشباط في السعي والجد واخذ الناس يلتمسون بعض الراحة في عيشة الخلاء . على ان ذوي اليسار والاستطاعة قد عمدوا الى لبنان يستفيدون من هوائه النقي ومائه العذب وشرع الفريق الآخر يطلب النزهة لدى الامكان في ارباض المدينة وحدائقها مستعملاً الحمامات البحرية او الاغتسال بالماء البارد او غير ذلك من الطرق التي يعالج الحر بها

على ان جميع هذه الوسائل لم تكن لتذهب بالداء الاقتصادي المستولي على السواد الاعظم من الاهالي والموجب لهم الموم والانسفاط بحيث ان ذهابهم الى تلك الاماكن لا يخفف الكثير من اثقال الموم فهم اذا كالجريح يرافقه الم جراحه اينما سار

اما داؤنا الاقتصادي فليس منا من يجمله فهو قلة الارباح في مقابلة كثرة النفقات ومن فروعه وقوف حركة الاعمال التجارية وعدم وجود موارد الارتزاق للميات بل للالوف من الشبان الخارجين من المدارس ومنه بذل كلما في الجيب في سبيل المقتضيات العصرية التي يهم فريق من ابناء الوطن ان لا بد منها ولا غنى عنها

وليس داؤنا هذا علة جديدة بل يذكر كل من يقرأ هذه السطور وكان

فوق الاربعين والخمسين من منيه ان هذه الشكوى كانت تردد على مسعمه منذ صباه

بل طالما خطب الخطباء في هذا الموضوع وطالما كتبت الجرائد الوطنية مقالات رنانة في هذا الشأن وقد اثبت المصباح كثيراً من الفصول الاقتصادية اشار بها الى ما نحن اليوم بصددده ولم يكن تكرار البحث سوى دليل قاطع على كون الحالة الاقتصادية ما برحت على ما كانت عليه من موجبات التشكي اجل ان الناس يتذمرون من قلة اسباب الارتزاق وهيئات ان ترى شخصاً لا يقول لك « ان الحال ضيقة والشدة شديدة والاعمال واقفة والارباح اسم بلا معنى »

وهيئات ان ترى اباً لا يقول « ان ابني تخرج في المكتب الفلاني والنقن اللغات والعلوم والفنون ولكني لا ارى مهمة تليق به فيتعاطاها لكسب رزقه و تعويض قسم مما بذلته في سبيل تربيته وتعليمه

وهيئات ترى رجلاً لا يقول لك : « ما اصعب هذه الايام وما اكثر همومها بالنسبة الى ما كان عليه الاجداد من الرخا وصفاء البال . اعمل منذ الصباح حتى المساء . اقضي الليالي متفكراً متبصراً في امر التحيل به على كسب رزقي ورزق عيالي . اضطر الى اتخاذ المسكنة سبيلاً والرياء طريقاً . اتحمل تكبر المتكبرين و غطرسة المتغطرسين واحتيال الكذبة المنافقين وغلاظة الرقاب ومطامع الاهل والاصدقاء والاحباب . ومع ذلك لا اراني اصيب الغرض المقصود الا وهو الكفاف فقط ليس غير الكفاف . »

وهيئات ان ترى شخصاً لا يقول : « ان اسباب الرزق في بلادنا قليلة في حين انها كثيرة متوفرة في البلاد الاجنبية »

على انه لدى التبصر في هذه المسألة الهامة يتضح للعقلاء ان ابناء البلاد الاجنبية انما هم مثلنا من الجبلية البشرية والطينة الادمية بل ترانا متمتعين بمخاضات طبيعية وفوائد تفنينا عن كثير من الحاجات التي لا يستطيعون الى ازالتها بغير المال

وكفى على ذلك شاهداً ان العيلة التي تكفي ١٠٠٠ لمد حاجتها في هذه البلاد تضطر في البلاد الاجنبية الى بذل ١٥٠٠ او ٢٠٠٠ لتعيش في الدرجة ذاتها

فاذا تدبرت هذه الحقيقة وضح لديك ان المرض الاقتصادي الذي يشكو منه اهالي هذه البلاد انما هو ناشيء في الغالب عن ضعف عزيمتهم وسوء تدبيرهم وكثرة اوهامهم وعدم رغبتهم في التنقيب والتفكير والبحث والتدقيق في اسباب انماء موارد الرزق

فترى التاجر مثلاً قد اعتاد ان يستورد الصنف الفلاني اما رأساً من المعمل واما بواسطة القومسيوني ولكنه في الحالين لا يسعى ويبحث في الوسائل التي تمكنه من استجلاب ذلك الصنف بصورة اكثر من تلك . ووافقة لحاجة البلاد ويثنى اقل من ذلك بالنظر الى رغبة الزبن بل ترى نحو ٩٠ بالمائة من الذين يتعاطون البيع والشراء يجهلون مصادر البضائع التي عليها مدار حركتهم التجارية . بل ترى القسم الاكبر من تجارنا اذا لحق بصنوف بضائعهم شيء من العيب او الفساد او التعطيل لا يعلم باية طريقة يمكن اصلاح ذلك الحلل فيبقى العيب على حاله بحيث انه يضطر الى بيع سلعه بالبخس الاثنان او ان يدعها في مخزنه الى ان تصبح كالمعدوم لا قيمة لها وقس على ما ذكرنا ما لم نذكر حياً بالايجاز مما يدل على قلة علم التجار بالامور التجارية وسائر ما يتعلق

بها من المعارف والفنون وضروب الدربة ولدته.

واذا نظرت الى التاجر فتراه ثبتاً على التقليد لا يجهد عقله للتفنن في
صناعته ولا لاثبات مبتكر فيها كمن جمعت العداوة بينه وبين الاختراع
نعم ان فريقاً من صناعنا اخذوا يتفننون بصورة ممدوحة ومشكورة ببعض
ضروب التجارة والحداثة والتجليد والذهيب والتصوير ولكنهم في ذلك انما
يقلدون ما يرونه بام العين من الصناعة الاجنبية وهيئات ان نرى بينهم من
اهتم باختراع شكل واحد من الاشكال الجديدة التي تزيد رغبة الناس في
اقتناء السلع

وان لم تصدقني فخذ ما لدينا من الصناعة الوطنية تجدد حالتها اليوم مثلها من
مئة عام واكثر ولكي لا اعدد لك جميع صنوف صناعتنا الوطنية اذكر لك
شيئاً واحداً على سبيل المثل وهو صناعة الجبن فان هذه الصناعة تقدمت عند
الافرنج تقدماً عظيماً فهم يصنعون منه انواعاً صنوفاً واشكالاً ألوفاً تختلف في
طعمها والوانها وهيئاتها واثانها وقد كتبوا في كيفية تركيبه وصنعه مؤلفات
كثيرة في حين انك ترى الجبن اللبناني على حال واحدة منذ امد لا يعلم
بدءه غير الله وهو على ما نعرفه (قالب ابيض غير منتظم الشكل مبعوج في
وسطه) مع ان المادة الاصلية اي اللبن متوفرة في بلادنا فكان بالامكان لو
درس اهل هذه الصناعة كيفية اقتنائها ان يصنعوا منها اشكالاً متنوعة يصلح
بعضها للاغنياء وبعضها للمتوسطين وبعضها للفقراء ولا يخفى ما وراء ذلك
من الارباح

وما قلناه عن التجارة والصناعة يطلق ايضاً على الزراعة والغراسة وتربية

المواشي والطيور

فلزراع الذي اعتاد ان يزرع ارضه قمحاً لا يعدل عن هذه الخطة التي اخذها عن والده وجده مع انه من الممكن ان تكون ارضه صالحة لزراعة البن او القول او الارز والبقول فتأتيه بارباح اغزر بل لو اتخذ لزراعة القمح نفسه طريقة جديدة لكانت غلاله اوفر ولكنه لا يجب الا ابقاء القديم على قدمه اثلا يكلف نفسه البحث والتنقيب فيقول « هكذا كانت يصنع ابي وهكذا اصنع انا ايضاً »

والغارس الذي اعتاد غرس شجر التوت او الليمون تراه لا يجيد عن خطته ولو لم ياته عمله بفائدة تذكر مع انه لو سعى لكشف اسرار الغرسة ربما اهتدى الى امور يتخذها طريقاً الى الكفاف بل الى الثروة فهل يبحث الغارس عندنا في الوسائل الالة الى ازالة امراض الاشجار وانما مغروساته . هل اراد على الاقل ان يستعمل ما تضمنته الكتب والجرائد من الارشادات المفيدة . كلا . بل يحسب تلك النصائح العلمية اكاذيب مختلفة واساطير ملفقة عمد اليها الكتبة ليملاً والصحف . هذا على فرض ان اهل الزراعة والغرسة اطلعوا على تلك الكتب والمجلات ولكن اكثرهم يجهلون القراءة وهم من اجل ذلك ابعد من ان يطلعوا على الفوائد الجديدة التي اهتدى اليها العلم والاختبار اما تربية المواشي والطيور فيكفي القول في شأنها ان القائمين بها لو اتقنوا مقتضيات مهمتهم لكانوا اصابوا ارباحاً معتبرة من وراء الالبان واللحوم والصوف والجلود والعظام والريش والبيض وما شا كل ذلك لان هذه الاصناف كانت عند الافرنج باباً واسعاً لادراك الثروة من وراء التجارة والصناعة بحيث اننا لو قصدنا تبين ذلك بالتفصيل لاقتضى انا مجلدات ضخام بل لو عمد اهالي بلادنا الى وضع هذه المبادي في حيز الاجراء لوجدنا

عندنا الوفا من ابواب الارتزاق ليس فقط لشبنتا الذين لا عمل لهم بل ايضاً
لكثير من النساء (متزوجات وغير متزوجات) ممن يقضين اكثر اوقاتهن
بمطالعة القصص والحكايات غير المفيدة ومراقبة حركات الناس وسكناتهم
والبحث عن نقائص القريب والقدرح بها

ان النساء يستطعن اتيسان كثير من الامور التي تعود بالارباح وتغني
العيال عن ذل التكدية والتسول ففي بلادنا لا ترى سوى الحياطة عند
الواسط اما عند الفقراء فترى الغسالة (والكواية) وجالبة الماء ليس غير بل
ترى ايضاً في لبنان وداخلية الولايات بعضاً من النساء يشتغلن في تربية دود
الحريز او يساعدن الرجال في تربية المواشي

ونحن لا نلوم النساء لعدم قيامهن بالاشغال الجالبة الارباح لما اننا نعلم
ان قسماً منهن يعمل على ادارة البيت وتربية البنين والقسم الآخر لا يجد
مرتزقاً يعتمد اليه غير ما ذكرنا ولكننا نلوم منهن اولاً من تلهو عن ادارة
بيتها بالحكمة ومخافة الله منقطعة الى مطالعة القصص والحكايات والروايات
الذميمة . ثانياً . المرأة التي لا تأخذها الشفقة والحنان على زوجها واولادها
فيدفعها حبها الذاتي الى التناق بالملابس والحلى غير ملائمة الى مصلحة البيت
ثالثاً . تلك التي ابتلاها الشيطان بالثرة والتميمة فيصور لها الوهم انها لم تخلق
الا لكشف عيوب الناس ونقائصهم

وليس الغرض من هذه المقالة ذكر عيوب النساء وفضائلهن بل اتينا في
معرض الكلام على هذا الاماع اثباتاً لكون المرأة الفاضلة لها اعظم تأثير في
الحالة الاقتصادية والاجتماعية والادبية

ولكي نرجع الى ما كنا بصدده نقول اننا الى بلادنا لو بحثوا في اسباب

الارتزاق لوجدوا لها ابواباً كثيرة بشيرة تزيل شكياتهم المتواصلة المستمرة
ومن الغريب ان كثيراً ممن لديهم رأس مال قليل يتمنوا ان يربحوا
تسعة او عشرة بالمائة مع انهم لو استعملوا رأس مالهم في شيء من المحسنات
الزراعية والصناعية لربحت المائة ٣٠ او ٤٠ او ٥٠ بل اكثر . مثلاً قد ثبت
ان شجر الالكاليتس سريع النمو وان ورق هذا الشجر يصالح ايسر فقط لمعالجة
الحميات ونقوبة المعدة بل يستصنع منه ايضاً جملة من انواع الاشربة اللذيذة
والمفيدة التي تقوم مقام الاشربة القوية المضرة فضلاً عن كون خشب هذا
الشجر من احسن الاخشاب وامتنها واصليها للبناء فاذا اخذ الانسان قطعة
من الارض واستجلب لها اغراساً جيدة من هذا الشجر لا يمضي عليه ربح من
الزمن حتى تاتيها ارضه بارباح غير منتظرة بالنسبة الى ثمن الارض وكلفة الغراسه
ومن اوهام فريق من الناس عندنا ان التجارة وحدها مورد للرزق
شريف وان المهن الصناعية والزراعية مع تربية المواشي والطيور وما شا كل
ذلك او قرب منه إنما هو مهمة سافلة دنيئة فترى الناس يتركون الحقول
ويأتون المدن قصد معاونة التجارة او الاستخدام في معهد تجاري

اما الصواب فهو ان كل مهمة انما هي شريفة بذاتها وسامية في درجتها
بحيث تكون مفيدة نافعة للعران البشري وموئسة على الفضيلة والنزاهة
والاستقامة والعلم

ومن الاوهام الغريبة ايضاً ظن فريق من الناس ان الشبان المتعلمين
في المدارس ولا سيما العارفين اللغات الاجنبية او بعضها لا يليق بهم الا
التجارة او الاستخدام في المكاتب التجارية او في ادارات السكك الحديدية او
في دوائر الحكومة المدنية وان مباشرتهم غير ذلك من الامور لا بدانة تحط من

شأنهم وترحم من اجل ذلك يفضلون البطالة على ما يسمونه بالاعمال الدنيئة
 فيا عجباً منكم سادتي الشبان اترون من الدناءة ان تباشروا صناعة مفيدة
 « رغما عن معرفتكم الفرنساوية » ولا ترون من الدناءة ان تأكلوا وتشربوا
 وتلبسوا على نفقة والديكم المساكين الذين حرموا انفسهم الطيبات من اجل
 تعليمكم وتهذيبكم (المستحون من كسب معاشكم بعرق جبينكم وبالصورة المحللة
 من وراء مهمة زراعية ولا تستحون من سرفة اكياس اهلكم وامتعة بيوتهم
 لتبذلوها في متديات اللهو وعلى خبزورة لماعة وعقدة رقبة حريرة

لم تكن معرفة القراءة والكتابة واللغات ياسادتي لتمنعكم عن معاطاة المهن
 الزراعية والصناعية بل تلك المعارف تساعد على التقدم في تلك المهام كما
 تساعد في المهام التجارية

والاغرب من كل ما تقدم ان القوم عندنا مع شكاياتهم من العسر الاقتصادي
 تراهم يبذلون كثيراً من المال على الامور غير اللازمة بالنظر الى مركزهم
 وحاجتهم ويتوهمون ان عدم الاسراف مما يحبط من شأنهم . ولا نتكلم هنا
 عن ذوي اليسار لان صاحب الثروة والدخل لا ملامة عليه اذ ما بذل قسماً
 من ريعه في الامور المحللة بل ذلك واجب ضروري لمنفعة الهيئة الاجتماعية
 لان الحوذي وبائع الاقمشة والصانع يستفيد من ذلك البذل ولكننا ننصح
 الذين يشكون من عسر الحال ان يقتصروا على بذل ما كان لازماً وضرورياً
 بذله وليعلموا ان المشي على الاقدام نافع للصحة متى كان محسلاً وان الثوب
 البسيط اللطيف المدفوع ثمنه خير من الثوب الثمين المأخوذ بالدين وارث
 (وان الرقعة في الثوب علامة فخر لزوجة لا بس ذلك الثوب) لدلائلها على
 الفخاعة والحكمة والاقتصاد ومعرفة مراعاة الدهر وان التهذيب والانساقاة

خير للمرأة من الحلى والجواهر وان حسن ترتيب البيت والمائدة وتربية
الاولاد بخوف الله يكسب المرأة جمالاً اوفر وابهى من جمال تكتسبه من
وراء الزخرف على انواعه

ولا يخفى ان البحث الذي نحن فيه يقتضي الفصول الطوال والمقالات
المسهبه على اننا لم نذكر الا فطرة من غمرو وشلاً من بحر . ولا ريب عندنا
ان القراء الكرام عند ما يطلعون على هذه المقالة يتسّمون وربما قال احدهم
(هذا صحيح) بيد ان ذلك لا يكفي بل يجب على كل منا ان يتأمل هذه
الحقائق لا لكي يصدقها بل ليعمل بها فان ادراك الحقائق امر سهل ولكن
الصعوبة في الاجراء والعمل بمقتضاها ونحن لا ندعي اننا سبقنا غيرنا في معرفة
هذه الامور بل نقرّ ونعترف انها مبادئ اولية يدركها جميع اصحاب الذوق
السليم وانما اتينا على اثباتها تذكرة لقوم تنفعهم الذكري والذكري مفيدة
لقوم يعقلون



❖ قيمة التربية ❖

« لبواس افندي الخولي »

خطبة تليت في مدرسة الكلية الاميركية في بيروت

نعمة من نعم التربية الحديثة حلت على هذا العاجز فدمجته في زمرة
خطباء الليلة وشرفته بالمشول امامكم لينخطب في التربية ويمجّلي قيمتها وما الا
صوت صارخ في المنتدى فاسمعوا له واعتبروا القول دون قائله

اول ما جال في خاطري ان اسأل ما هي التربية وما هي الغاية من التربية وكيف يتوصل الى تلك الغاية . وعلى هذه الاسئلة الثلاثة اجيب واشرح باختصار او تطويل على ما يناسبني فان اصبت في الاجوبة عند جميعكم فقد نطقت بحقيقة راهنة لا يختلف فيها اثنان وان اصبت عند قوم واخطأت عند آخرين فقد ابدت رأياً وما اكثر الآراء والمرتبين في الدنيا وان لم اصب عند احد فقد صفت كلاماً وازعجت كراماً وما اكثر صافي الكلام ومزعجي الكرام

السؤال الاول = ما هي التربية * والجواب على هذا لا يقتضي الاقتباس من اقوال العلماء والفلاسفة الذين بحثوا في التربية ووضعوا لها الحدود والافسام فان تلك الاقوال مع ما هي عليه من المآثرة لا تزيد كثيراً على معنى التربية البسيط المتعارف الذي يتناوله المعلمون والاميون . وهذا جلي في قولنا ربى الشجرة او الخروف او الولد ومعنى التربية في كل ذلك (المساعدة على النمو) . فان الذي يربي الشجر او الخراف يقوم بتجهيزها بالانماء والهواء على قدر ما توصلت اليه معرفته في فن التربية حتى تنمو وتبلغ الغاية التي بتوخاها واذ ذاك فهي لا تطلق الا على ما كان ذا حياة في عالمي النبات والحيوان اذ لا يقال ربي الحجر والخشب . فالتربية اذا المساعدة على النمو

السؤال الثاني * ما هي الغاية من التربية * والجواب على هذا ايضاً اتناوله من الامثلة السابقة فان مربى الشجر او الخراف او غيرها يتولى تغذيتها وخدمتها حتى يتم لها الوصول الى النماء الكامل عند ما ترد الى مربيها ومن حوله جزاء اتعابه وثمره خدمته . فالغاية اذاً من كل تربية ايصال المربي الى كمال النماء والحياة

السؤال الثالث * كيف يتوصل الى تلك الغاية * هنا نتردد الافكار وتتضارب الخواطر ويقف الباحث موقف الحيران يصور فكراً على الورق ثم يضرب نلى فكر حتى يستقصي سبب البحث ويرجع لديه شئ مثل الحقيقة يعتم به وبرزه الى عالم الظهور . لان تعريف التربية وغايتها فلما يتنازع فيها انما النزاع كل النزاع في كيفية الوصول الى تلك الغاية وهذا ما يهتم به علماء التهذيب والتربية في ايامنا الحاضرة ويتحرون تقريره . وعليه فانا اذكر خلاصة ما رجح عندي واترك تفصيله حتى احيى الى ذكر المدارس ولكم ان تقبلوه او تحوروه او ترفضوه فاقول

يتوصل الى غاية التربية بدرس طبيعة المربي وتجهيزه بما يناسب تلك الطبيعة من الوسائط الداخلية والخارجية ويقويها حتى تبلغ اشدها في وجهة الكمال . فينتج اذ ذاك ان كلما تركبت طبيعة المربي صعب القيام بالتربية . وعليه فتربية الانسان من اصعب التربيات وادقها وابعدها عن درجة الكمال لانها تناول * هذا اذا كانت تربية حقيقية * طبائعه الثلاث معاً الجسدية والعقلية والادبية وتحاول التوفيق بينها فلا ترقى هذه على نفقة تلك ولا تقوي واحدة لتضعف اخرى

والمطلع على تاريخ التربية الباحث في شؤونها وارثائها يرى ان الاقدمين خبطوا فيها العشواء واساؤوا تناولها وفهمها فصرفوا همهم الى تقوية الطبيعة الجسدية ولم ينتبهوا لغيرها ولا غرو فقد كان تنازع البقاء في السيادة يقضي عليهم بوجوب ذلك واستمروا كذلك احقاباً متعاقبة ثم اخذت الطبيعة الادبية تنمو وتنقوى وتستدير بالوحي والالهام فظهرت نواهي الدين واوامره واعتصم الناس بالشعائر الخارجية والطقوس التقليدية ولم تنجل لهم الحقائق

لان عقولهم كانت مظلمة ومداركهم قصيرة وما زالوا يخاطبون الاوهام والسفه والباطيل بالحقائق حتى فتح الله على بعض ذوي الادمغة الكبيرة فابصروا شعاعاً من نور العلم وتجلت لهم بعض الحقائق الطبيعية فنطقوا بما ادركوا وخططوا فيما نطقوا وتناول منطوقهم الخلف فزاد عليه وناوله لغيره وما زالوا كذلك حتى صار المنطوق مخطوطاً ثم مطبوعاً . وظهرت الفاسفة الحديثة فاصلحت تربية الطبيعة العقلية وهب الاصلاح الديني فقوّم الطبيعة الادبية وهكذا استقامت التربية على وجه مجمل لانها اصبحت لتناول طبائع الانسان الثلاث فاستقامت بذلك احوال المدنية وامتد العمران * هذا ملخص تاريخ التربية

ونرى اليوم ان البلاد التي ادركت قيمة التربية واخذت باسبابها الصحيحة واعتبرت طبائع الانسان الثلاث قد رقت في مراقبي العمران الى درجة لا تدانيها فيها بلاد اخرى . والتي لم تنزل ترقى طبيعة على نفقة اخرى وتنزل الاوهام منزلة الحقائق وتتبع التقليد في ذلك ولا تفسح للتربية الحقيقية مجالاً فيها قد توقف عمرانها واستولى عليها الانحطاط والمشاهد يغني عن الشاهد . هنا اقف عند هذا الحد واتناول التربية بوجه عام فاقول

التربية اول ما تكون بيتية يتولاها الوالدان او المهدبة وهي اساس التربية المدرسية وانجح ما تكون اذا اعتبرت فيها فطرة الولد وامياله وقواه العقلية والجسدية وتكيفت على ما يوافق تلك الفطرة والاميال بحيث تقوم اودها وتزيد في نشاطها فاذا تنبه المربي الى كل هذا ونظر بياصرته الولد الصغير وببصيرته الرجل الكبير الذي سيكون منه ووضع نصب عينيه مستقبل الولد واقام على تربيته لينشئه رجلاً نافعاً للهيئة التي يسكن فيها حاسباً اياه وديعة

لا ملكاً يحق له مطلق التصرف فيه * وديعة يطالبه بها الخالق جلّ وعلا
وتسلمها منه الهيئة البشرية * فعندئذ يبذل مجهوده وجل ما وصلت اليه
معرفة ويستعين بغيره ايضاً ليحسن القيام بتربيته وتهذيبه

ولعل في هذا النادي من يتبادر الى ذهنه الاعتراض على مقالتي ان
الوالد لا يحق له مطلق التصرف في ولده لان الولد من بركات الله على الوالد
فهو ملكه بشرع الطبيعة والعادة . فمثل هذا اقول اني ارى عكس ما ترى
فالوالد هو للولد ومن واجباته ان ينشئه ويربيه ويقوم عليه حتى يشب ويقوى
على العمل والاستقلال عنه . والى مثل هذا يرى كثيرون من عقلاء
الاروبيين والاميركيين فيعتبرون بقاء الولد عيلاً على ابيه مضرّاً به وبالهيئة
ولذلك فهم يتركونه وشأنه يجاهد في عالم الاعمال ليحصل رزقه ويقوم لنفسه
بنفسه حيزاً من المكانة والاعتبار . ويتصرف الوالد بامواله فينفق منها في
في سبل الخير والنفع العام وكثيراً ما لا يورث منها الاولاده الا النزر

هكذا نرى العجاوات جميعها تلد اولادها وتقيم على تنشئتها فتدافع عنها
بحياتها ان اقتضت الحال حتى تكبر وتقوى على الاستقلال عنها فلا تعود
تعرفها . ومن هذه الحقيقة الطبيعية العامة انتقل الى النقطة المهمة في خطابي
الليلة وهي ان التربية الصحيحة هي ما انشأت في المربي القوي والصفات
والاخلاق والعوائد التي تدفع به الى العالم البشري رجلاً عالماً عاملاً أميناً
عارفاً نفسه محترماً حقوقه حتى يتمكن من احترام حقوق غيره . وكل
تربية لا ترمي الى هذه الغاية النبيلة ما هي بالتربية الصحيحة والقيمون عليها
يعوزهم اصلاحها

اما التربية المدرسية فهي ايضال المعرفة الى انفراد وتدريبه على استخدامها

والانتفاع بها . والغاية منها ان يعرف الفرد الواجب عليه نحو نفسه ونحو
الخالق والمخلوق ويكون مستقيماً في معاملاته صادقاً في افكاره واقواله *
مخلوق ضعيف لا يدري من الوجود الا انه يأكل ويشرب وبنام . حيوان
ناطق ذو نفس لا يشعر بمطالبها وقوى لا يدري كيف يديرها تسوقه التدابير
فيدخل المدرسة ويتنشق هواها ويعتذي بغذائها ويتناول ذرائع التهذيب
والتربية فيها فينمو عقله وتستدير بصيرته و يفتح قلبه وتوسع مداركه ويرى
ما يرى وما لا يرى حتى يحس انه اصبح كبيراً قوياً بالنسبة الى ما كان
وصغيراً ضعيفاً بالنسبة الى ما سيكون يخرج الى العالم وينخرط في مهامه
فيهرن عن علمه بعمله . في مثل هذا يظهر فضل التربية ومقدار قيمتها في من
يتخرجون في المدرسة ثم يخرجون منها ليكونوا مناضراً حلوا . في من
يعتمد عليهم في ادارة الاعمال الخطيرة والمساعي العظيمة . في من يخلصون
لوطنهم ويعملون على تعزيزه . فعليك السلام ايها التربية الحقيقية القائمة
بتربية البشر وايصالهم الى كمال الحياة وعلى ابنائك وبناتك الصادقين باوامرك
المتولين تهذيب الولدان والشبان والشابات خير تحية . وانت ايها المنشأ
عن اصول التربية الصحيحة الدائب في جمع فروعها الراغب في استثمارها
ارعني سمعك واصنع الى ما اوحتك الي تلك التربية فلعلك تسمع ما ينطبق
على مبتغاك ويحقق لك مناك . وانت ايها الكلية القائمة في راس بيروت
الجليلة الموقرة الرافعة الى عنان السماء ابذية قلاع في القوة عرائس في الجمال .
المتسعة الارحاء الغنية بالمال والرجال ما هو مأربك والى اية غاية ترمين ؟
هل اقمتم في بلادنا للاشجار كما فعل الكثيرون ؟ او هل طويت نيتك على
امركة السكان كما يزعم الجاهلون ارحمات بين اظهرنا لتشريبتنا كره لغتنا

وامتنا كما فعل آخرون ؟ كفى ابتها الملكة البهية اني اقرا جوابك في حينك
 وارى ما اربك في اعمالك واستجلى غايتك في رجالك . فاعلمي اذا انه مهما
 نقول عليك بعض الخلق ونسبوا لك من الغايات فكل عاقل مخلص يراك
 كما انت ملكة التربية وام التهذيب ومنازة المشرق ومبنت الرجال

بقي لي ان ابين قيمة التربية المدرسية وفوائد التخرج في المدارس ولذلك
 اتي هذا السؤال * لما ذا نأتي المدرسة . هل نأتي المدرسة لغاية اذخار
 المعرفة والاطلاع على الحقائق التاريخية والطبيعية ؟ للحصول على الانكليزية
 مثلاً او الافرنسية او الالمانية فقط ؟ هل نأتي المدرسة لتزقي اذواقنا في الملبس
 والمأكل والمشرب والمأوى فقط ؟ هل نغدو ونروح الى المدرسة كي يقال
 عنا انهم ابناء مدرسة من شباب العصر ؟ هذا كل ما نرمي اليه ؟ اهذا كل
 ما يعلق على اذهاننا من التربية المدرسية ؟ ان كانت هذه غايتنا وذاك تأثير
 المدارس علينا فبئست الغاية غايتنا ولا حبذا المدارس القائمة بتهذيبنا

اما اذا كنا نأتي المدرسة لكي نقف على ماوصلت اليه معارف البشر
 اجمالاً * لكي نعي من تلك المعارف ما يناسب مقدرتنا العقلية والجسدية
 وبممكننا حسن العمل في الحياة * لكي نتدرب على الترتيب ونقيم الواجب
 وافنداء الوقت * لكي نتعود حب المطالعة والبحث على كل ما سما قدره وحسن
 ذكره * فعندئذ نكون قد عرفنا قيمة التربية ونهجناسيلها واعتصمنا باسبابها
 وبنينا من اهلها واعوانها . وليت شعري كم يبلغ عدد الذين يؤمنون المدارس
 في بلادنا وهذه الغايات في رؤوسهم او بالاحرى كم يبلغ عدد المدارس
 نفسها التي تبلغ تلامذتها الى هذه الغايات ؟ هنا اقف واترك الجواب
 لكل سامع

فيها الآباء والامهات والاولاد والمعلمون والمعلمات والاساتذة
 وارباب المدارس القائمين بتربية صغار الحاضر وكبار المستقبل . هل ادركتم
 قيمة التربية البيتية والمدرسية وشعرتم بعظم المسؤولية المتعلقة بها ؟ هل
 عرفتكم ان سعادة الامة وشقاءها في ايديكم ؟ هل حسستم بسمو مركزكم عند
 كل عاقل كخدام التربية وعملها القابضين على ازمة العقول والعواطف
 والاخلاق والعوائد ؟ ناشدكم الله اذا ان توسعوا حدودكم وتناولوا من
 تربون بيد المحبة والامانة والصبر ولا تنظروا الى ما يريحكم في الحال وكثيراً
 ما يتعبكم في المآل . بل انظروا الى صالح المربي العام * الى صالح الانسانية
 الكامنة فيه * الى ترقية الهيئة التي هو فرد من افرادها . عندئذ اتساهلون
 وتشددون وتقاصون وتكافئون فيكون مجمل اعمالكم آيلاً للخير والتهذيب
 وتكونون انتم في دائرة التربية القوية . ولا تهتموا فقط بما يفعل المربي وهو
 تحت مراقبتكم لان هذا طرف من اطراف التربية لا يؤمن التثبيت به .
 واياكم ان تضغطوا عليه كثيراً لئلا يتبدل فيه صفات الشجاعة والامانة
 وحرية الفكر الى صفات الجبن والمخاتلة والرياء ويصبح ملاكاً حين تكون
 عليه الرقابة وشيطاناً حين يخلو له الجو وبأمن العيون . علموا من تربون
 كيف يقضون اوقات فراغهم . دربوهم على الملاحظة والاستفهام عن
 الغامض . عودوهم على ادراك المسؤولية التي عليهم نحو نفوسهم ونحو من حولهم
 ونحو خالقهم . انشئوهم حتى يدركوا ان هذه المسؤولية تكبر بكبرهم وتصغر
 بصغرهم وان لا نجاح بدون زيادة المسؤولية . افهموهم ان كل انسان اخوهم
 من جبلتهم وانه قد يختلف عنهم بالعقيدة والعوائد وقوة الادراك ولكنه
 يبقى اخاهم في الانسانية ذات نفس خالدة وحقوق مقدسة . قولوا لهم ان

الاختيار الشخصي هو الاختيار الذي يدوم وان كل من سار على الدرب وصل . لقنوهم ان البخت قد يساعد الانسان للحصول على مركز سام لكنه قلما يساعده على البقاء فيه . وان الرزق الذي يكتسبه الانسان بما جينه هو الرزق الذي يدوم ويشمرو يجعل حياة سعيدة تكتنفها الحكمة والنزاهة والاعتدال

هذه هي اسباب التربية الحقيقية وهذه هي التربية التي تعتمد على مدرستها الكلية . وليكن معلوماً ان الكلية لا تخرج تلامذتها وترسلهم الى العالم النسيج ليشتخصوها بالعلميات فقط بل بالآداب الصحيحة والرجولة والانسانية والتأديب العام . لان صيت المدرسة وممعتها الحسنة لا يتوقفان على ما يضيفه ابناءؤها الى عالم العلم والمعرفة مثلاً يتوقفان على ما يفعلون بين الناس وما يظهرونه من ضروب الشجاعة والامانة والاستعداد والمقدرة على العمل

هاكم الامة الفرنسية فهي مع ما اشتهرت به من العلماء والفلاسفة والصناع والمخترعين على اختلاف مناصبهم قد احست حديثاً بفساد بعض مبادئها في التربية المدرسية فنهض المسيو ديولان احد علمائها منذ بضع سنين وانتقد مبدأ التربية في فرنسا وظهر نقائضه في كتابه سر تقدم الامم السكسونية * ذلك الكتاب الذي قامت له الخواطر وقعدت وترجم الى اشهر اللغات الاروبية حالما تداولته الايدي بعد نشره قد ابان فيه مؤلفه ان قيمة التربية لا تقوم فقط بكثرة المواد التي تلقى في ذهن التلميذ ولا بمقدرة الاساتذة في الفروع التي يدرسونها بل بالروح التي تبثها المدرسة في التلامذة . الروح التي تفتح قلوبهم وتنير عقولهم وتجعلهم يعتمدون على ذواتهم في تطلب المجد والرفعة وتريهم ان ليس في الوطن وحده مجيأ الانسان بل في كل بلد من

بلدان المعمور . وان الجاه والغنى والرفعة ان كنت ثنائياً للفرد في وطنه فاحر بها
ان ثنائياً له في غير وطنه حيث يعتمد على نفسه ويتفرغ لتوخي غايته
من كل هذا نسج المسيو ديمولان كتابه ونشره في طول بلاده وعرضها
فتجاوزها الى كل البلدان المتدنة وحدث دويماً في الاندية العلمية لان ناسجه
قد طرق فيه باباً لم يطرقه احد غيره من كتبة الافرنسيس اذ ابان لامته انها
دون الامم السكسونية في التربية المدرسية

فمن هو المسيو ديمولان فينا الذي يقوم ويفحص مدارس بلادنا الابتدائية
والثانوية والعالية الوطنية والاجنبية وينقد طرق التربية فيها فيفرز الردي
من الجيد ويحض ارباب التهذيب على نبذ الاغراض الجنسية والتعصبات
المذهبية وصرف النظر في وجهة التربية القومية التي تنشيء للامة وللوطن
وللالم بأسره رجالاً اشداء اماناً نحو نفوسهم ونحوبني جنسهم . فاذا اردت
ان تميزين التربية القومية والمعوجة نخالط القائمين بامر التربية واخص عن
شخصيتهم وقف على كيفية تدريسهم واطلع على الكتب التي يدرسونها والفروع
التي يبسطونها لدى الطلبة . انظر كيف يعاملون المربي وباي روح يقدمون
الارشاد واية غايات ينصبون قدام من يربون واي سلوك يستحسنون . امزج
كلما يستخدمونه في سبيل التربية وخضه ثم شمه وذقه فان كنت تستطيعه
وتستطعم فيه طعم الرجولة الحققة فاعلم ان التربية قومية ونتائجها حسنة
مفيدة . والا فهي مزيج من الاعمال والافكار القاصرة

واذا اردت تربية ابنك في مدرسة ما فاسأل عن المدرسة التي تنزل
تلامذتها منزلة بنيتها لا منزلة خدامها = المدرسة التي تثير عقول التلامذة
وتفتح بصائرهم بما تلقنهم اياه من المعارف النافعة والفوائد الجليلة . المدرسة

التي تدرب تلامذتها على العمل والرياضة البدنية وتقودهم الى المعاشرة الصالحة
وتقضية ساعات الفراغ بالاشياء المفيدة = المدرسة التي تشرب بنيتها روح
الشجاعة الادبية والمثابرة على العمل = وخلاصة القول ضع ابنك في مدرسة
ترقي فيه ما وهبه اياه الخالق من القوى العقلية والجسدية بحيث ينشأ لا كما
شاء التعصب بل كما شاء العلم الصحيح في مجبوحه الاخاء والمساواة
والحرية = والسلام



البيان باللفظ

للدكتور بشاره افندي زلزل

ان استعمال الاشارات للتفاهم والتخاطب مجردة عن الكلام لم يرو عن
غير هندود امركا الشمالية على ان استعمالها مع الكلام لزيادة الايضاح والتأثير
على السامع امر مألوف ولا سيما للخطباء . اما الكلام او النطق فخاص بالنوع
الانساني كما اوضحناه والكلام يتألف من الكلم والكلم تتألف
من اللفظ وهو اصوات تخرج من الحنجرة وتنوع بمرورها على المقاطع
في الحلق واللسان والاسنان والشفنتين فتتركب من مخارج مختلفة الفاظاً تدل
على معان يتوهم الناظر اليها لاوّل وهلة ان دون معرفتها صعباً لا تذلل .
ولكن علماء اللغات استسهلوا الصعب فادر كوا الوطر بعد الجهد برد اللهجات
المختلفة الى اصولها في اللغات التي قسموها الى ثلاثة اقسام اصلية وهي ذوات
الهجاء الواحد وذوات الهجاء المركب واللغات المتصرفة

فاللغات « ذوات الهجاء الواحد » تعرف بان كلماتها اجمع الفاظ مفردة
المقطع فكل كلمة منها اصل لا يقبل التصريف ولا يتغير عن الصورة الموضوع

له اصلاً وإنما تعرف نسبته الى غيره في الجملة بموضعه منها على ترتيب معين
 فلفظة « با » باللغة الصينية تطلق على معاني العظم والعظمة واعظام الامر
 وتعظيم الرجل . وكل معنى من هذه المعاني إنما يتعين بالموضع المخصص به في
 الجملة . والمعاني لا تتغير باختلاف عوامل الاعراب كما ان الالفاظ المتجانسة
 الصورة المختلفة المعنى إنما يستدل عليها في هذه اللغة بنغمة الصوت من حيث
 لينه وخشونته ورفعه وخفضه ومدته وتسهيله وترقيقه وتقويمه وما يلحق
 بذلك من الاستفهام والنداء والتعجب . وكثيراً ما يتعين المعنى بلفظة تضاف
 الى اللفظة الاصلية كما في لفظة « تو » وهي تطلق عندهم على الحطف والبلوغ
 والغطاء والراية والقيادة والخطه والطريق . ولفظة « لو » تعني بمعنى
 الاخلاص والاداء والحجر الثمين والندى والطريق فاذا اضيف « تو » الى
 « لو » فقبل « تو لو » تعين معنى الطريق وعلى هذا النحو يعينون الغابة بلفظتي
 جبل وشجر والدمع بالماء والمقلة والسمع بالباب والاذن وهلم جرا

واهم اللغات المفردة الهجاء المعروفة الآن الصينية والانامية والسيامية
 والبرمانية والتبتية وهي تعرف بنسبتها الى الامصار المستعملة فيها . اما الخازيا
Khassia فلغة سكان اقصى الهند في حدود الصين وهي مستقلة بذاتها
 متوسطة بين اللغات ذوات الهجاء الواحد وبين اللغات ذوات الهجاء المركب
 اما اللغة الصينية فتتقسم الى ثلاثة السن هي لسان اهل كنتون ولسان
 اهل فوكيا ولسان المزاربة وهي لغة الحكومة التي تكتب بها شرائعهم واحكامهم
 ويتكلم بها سكان الولايات . وقد ذكرنا آنفاً طريقة البيان بها وان كل كلمة
 مؤلفة من اصل واحد لا يتغير فكل اصل يتألف من حرف ساكن فحركة
 ولا يصح عندهم النقاء الساكنين كما في اللغات الاوربية فلفظة شنغاي

يلفظونها « شن هي » وهم يتأقون كثيراً في كلامهم ويحلون العلوم الادبية في المحل الاول من العلوم وكتابتهم تُعرف بالخط المشجر وسيجيء الكلام عليها . وحروف هجائها تبلغ نحواً من خمسة واربعين ألفاً ولكنهم يقتصرون في الاستعمال الدارج على خمسة عشر ألف حرف . وقد يقتصرون في الف ومايتي حرف لا يستغنى عنها وهي الحروف الاصلية التي تمثل صور الفكر الخطية وتدل على كيفية لفظ الكلمة وحقيقة معناها معاً ويستعان على التوصل الى معرفتها بحروف اصلية تسمى بالمنايح وعددها مائتان واربعة عشر حرفاً

واللسان الانامي يتكلم به اهل الهند الصينية والتونكن والكوشن صين وهو شبيه باللسان الصيني في لفظه وخطه مع بعض التصرف وزيادة علامات خصوصية وينقسم الى ست لهجات مختلفة

واللسان السيامي يكتب بحروف مأخوذة من اللغة الهندية وينقسم الى خمس لهجات مختلفة . ولسان اهل برما في رتبة سافلة بالنسبة الى الالسنه المذكورة . اما لسان اهل تبت فارقي منزلة كأنه صلة بين اللغات ذوات الهجاء الواحد واللغات ذوات الهجاء المركب وهو يكتب بحروف هجائية مأخوذة من اللغة الهندية . وبعض حروفها السواكن تكتب ولا تقرأ

واللغات « ذوات الهجاء المركب » تتألف كلماتها من الفاظ تُتركب تركيباً مزجياً ويكون احدها ركن الكلمة في الدلالة على المعنى وما بقي يكون مضافاً الى الركن لتوضيح معناه او لغرض آخروهي الزيادات على الاصول المجردة . وهي قد تكون في اول الكلمة كما في لغات البنو *Bantou* . وهم (الكفار من اهالي افريقيا) او في آخرها كما في اللغة التركية والمغولية .

مثل ذلك في اللغة التركبية علامة الجمع "لر" تلحق في آخر الاسماء مثل
(اركان) جبل (اركانلر) جبال والاداة (جي) تدل على الفاعل فيقال
اركانجي اي صانع الجبل والاداة (لي) تدل على الملك او الاضافة فيقال
اركانلي اي صاحب الجبل والاداة " مق " تدل على الحدث وتلحق في آخر
الفعل فيتعين بها المصدر النخ

ويتكلم باللغات المركبة الهجاء اهالي افريقيا وامركا وجزر الاوقيانوس
ونحوئشي سكان اسيا وبعض انحاء اوربا وهي متوسطة بين اللغات المفردة
الهجاء واللغات المتصرفة ومن انواعها ما سمي بالكثير التركيب وهو خاص
ببعض قبائل من هنود امركا ويراد به تحويل الجملة الى كلمة واحدة مثال
ذلك " ندخولي نن " اي قرب لنا القارب فهي مقلضة من نادين قرب
واموخول قارب ونن لنا

واللغات « المتصرفة » تختلف عن اللغات المركبة الهجاء بان صورة
الكلمة الاصاوية لتغير بالتصريف والاعراب للدلالة على معان لها علاقة
بالاصل المذكور كلفظة ملك في اللغة العربية فهي مع التنوين تدل على الاسم
ومع الفتحة في آخرها تدل على الفعل الماضي ومع ضم آخرها وزيادة احد
حروف (ا . ن . ي . ت) تدل على المضارع فيقال املك ونملك ويملك
ونملك وتصرف مع الضمائر فيقال ملكت ملكتما ملكتم ملكت ملكتن
ملكتم ملكنا ملكا ملكوا ويزاد عليها حروف تدل على معان مختلفة فيقال
ملك واملك وتملك واستملك ومملك ومملك ومملك ومملك الى غير ذلك
مما يعرف من علم الصرف واللغة

وتنقسم اللغات المتصرفة الى قسمين اصليين اللغات السامية واللغات

الآرية او الهندية الاوربية

« فاللغات السامية » تكون اصول كلماتها في الغالب مركبة من ثلاثة حروف متحركة وبعضها يتألف من هجاء واحد اي من حرف واحد متحرك او حرفين احدهما متحرك والالفاظ المجردة قابلة للزيادة في اوائلها وواخرها وهي اسماء وافعال وحروف فالاسماء تكون مذكرة او مؤنثة حقيقة او مجازاً مفردة او مثناة او مجموعة . وعلامة التأنيث التاء . وعلامة التثنية النون مع الالف في حالة الرفع والنون مع الياء مفتوحة في حالتي النصب والجروعلامة الجمع السالم للذكر النون مع الواو مضمومة في حالة الرفع والنون مع الياء مكسورة في حالتي النصب والجرو للمؤنث السالم التاء مع الالف . اما الجمع المكسر فصيغة كثيرة . وحركات الاعراب الضمة للرفع والفحمة للنصب والكسرة للجرو والسكون للجزم . والضمائر تتركب مع الاسماء كما في كتابي ومع الافعال كما في كتبت وهي في الاصل الياء للمتكلم والكاف للمخاطب والهاء للغائب . والافعال تعرف بدلالاتها على الازمنة الثلاثة الحاضر والماضي والمستقبل وصيغة الحاضر والمستقبل هي المضارع والامر وهو يشتق من المضارع . وتدخل السين او سوف على المضارع فتحضه للاستقبال . وينصرف الفعل بالزيادة على الاصل للدلالة على معان يطول شرحها كما في قتل وقاتل وقتل وتقاتل وانقتل واستقتل

ويظن ان موطن اللغات السامية كان شمالي العربية ووسطها . وهذه اللغات متشابهة فيما بينها فلا تفرق احداها عن الاخرى بمقدار ما تفرق اللاتينية عن اليونانية وتنقسم الى ثلاثة اقسام اصلية الارامية والكنعانية والعربية « فالارامية » تشتمل على فرعين لم يزالا مستعملين هما الكلدانية في

في شرقي العربية والسريانية في غربها اما اللغة الاشورية فقد انقرضت بانقراض
اهلها ولم يبق الا رسمها في العاديات المسمارية الخط . وكانت الآرامية لغة
اليهود الدارجة بعد سبي بابل . ومعلوم ان حروف الكتابة في اللغات السامية
ماخوذة عن القلم الفينيقي الماخوذ عن المصري ماعدا اللغة الاشورية فحروف
الهجاء في اللغة العبرانية اثنان وعشرون حرفاً كانت في الاصل رسوماً تمثل
اشياء بعينها كالالف لرأس العجل والباء (بيتي) للبيت والجيم للجمل وهلم
جرا . وحروف الكتابة الفينيقية ماخوذة ايضاً عن القلم المصري القديم وهي
اصل الخطوط الهندية الاوربية

واللغات الكنعانية تنقسم الى العبرانية والفينيقية . فالعبرانية هي لغة
العبرانيين اي اليهود القديمة التي كتبت بها شرائعهم ولم تزل لغة دينهم لهذا
العهد . والفينيقية اختها انتشرت قديماً في قرطجنة وسواحل اسبانيا
والعربية لغة العرب في الجاهلية والاسلام بعد الهجرة انتشرت بانتشار
الدين المحمدي من الشرق الاقصى الى المغرب الاقصى وكانت لسان المدنية
والحضارة في القرون الوسطى وعنها نقل الفرنجة في بداية حضارتهم مصنفات
فلاسفة اليونان والعرب ولم يزل بعضهم معجبين بها مشفقين على تلاشيا حرصين
على حفظ مؤلفات علمائها القدماء وصيانتها ونشرها للاستفادة بها على حين
يسعى ابناؤها الذين غلبتهم بلبانها الى الاجهاز عليها بعد ان اصمت صروف
الزمان فؤادها . ولولا بقية رمت في اسواق اللغات التي طوتها سلمي وذلك
لان اللغة انما تقوم باهلها واهل هذه اللغة في هذا العصر البدو الرحل يسكنون
القفار وهم لا يزالون متوحشين وسكان مصر وسوريا والمغاربة . فاهل سوريا
مشهورون باجتادهم ومحبته لهذه اللغة ومع ان لغة دولتهم هي التركية

فاللغات الاجنبية لتنازعهم وتعليم المعلوم في مدارسهم يقوم بهذه اللغة
واكثرها شيوعاً الفرنسية . والمغاربة مغلوبون على امرهم وهم اقرب الى حالة
البداءة ومع ان استعدادهم الطبيعي يؤهلهم للحضارة والتقدمي فالنزاع بين
قبائلهم يحول دون ترقهم . فلم يبق للغة العربية موطن الا القطر المصري وهو
على ما يظن محط آمال ابناء هذه اللغة لان حكومته في الظاهر عربية وشم
نظارة المعارف تهتم بنشر العلوم ورجال من جهابذة العصر خط يراعهم في
صفحة الدهر سطوراً من محبة الوطن تخلد ذكرهم في التاريخ . ولكن الذي
ينظر الى الحقيقة لا تبهره الزخارف والذي يفكر في عواقب الامور لا يرسى
وراء هذه الحالة الا الانحطاط المستمر واذا كانت السيطرة في نظارة المعارف
موكولة الى غير اهلها فماذا يرجى منها واذا كانت الحكومة تؤثر اللغات
الاجنبية على لغة الوطن ولا تكتب بها الا اضطراراً بلغة الدواوين المشهورة
بلحنها ووركا كتبها واذا كان جهابذة الامة كما سبق التاميح عنهم في المقدمة
والمقام لا يحتمل التصريح فأني يتنبأ لهذه اللغة الثبات في تنازع البقاء .
اذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما اعلك ما شفاكا

والقول بان اللغة العربية لا تزال حية ما دام دين الاسلام حياً لا يغني
فتيلاً ولا يشفي عيلاً لان زعامة هذا الدين وخلافته والسيطرة عليه من
حقوق الدولة العثمانية ولغتها التركية كما هو معلوم ونرى العجم وهم اشد
الاسلام تمسكاً بالدين لا يهتمون باللغة العربية وكذلك الافغان وجمهور
المسلمين في الممالك الاجنبية . وبخلاف ذلك نرى سكان جزيرة مالطة وهم
يتكلمون برطانية عربية وديانتهم النصرانية يقاومون الدولة الانكليزية صاحبة
السيادة عليهم لانها ارادت ايشار لغة الحكومة الانكليزية على اللغة الوطنية

في المعاملات الرسمية فذهبت قوتها القاهرة ادراج لرياح . ونرى السوريين في مهاجرهم اشد غيرة على لغتهم العربية من ابناء هذه اللغة في جميع الافطار وقد رفعوا لها مناراً في بلاد الغربة بما انشأوا من المطابع والجرائد والمجلات مع انهم لو صرفوا مثل هذا الجهد في لغات القوم الذين يخاطبونهم لكان ذلك اجدى نفعاً لهم فقد ثبت ان اللغة انما تقوم بالوطنية لا بالدين واذا كانت الوطنية على شفا جرف هار فما اجدر هذا اللسان (كما قال الفيروزوبادي) وهو حبيب النفس وعشيق الطبع وسمير ضمير الجمع وقد وقف على ثنية الوداع وهم قبلي مزنة بالاقلاع بان يعتنق ضمناً والنزماً كالاجبة لدمى التوديع ويكرم بنقل الخطوات على آثاره حالة التشيع

وتقسم اللغة العربية في نظر العموم الى فصيحى وهي لغة الكتب وعامية وهي رطانة المتكلمين بها في العراق والشام ومصر والجزائر وتونس وزعم بعضهم ان الفرق بينهما كالفرق بين اليونانية القديمة والحديثة او اللاتينية واللغات الاوربية . والحال ان العامية لا تفرق عن لغة الكتب الا بما دس فيها من حوشي الالفاظ والتعبير الركيك آخذاً عن المتفرنجين وغيرهم . والذين يتعلمون القراءة يتمكنون من فهم الكتب الفصيحة العبارة البليغة المعنى فلا يعسر عليهم الا فهم الكلام العويص وهو ليس بشيء من فصاحة هذه اللغة خلافاً للغات الاجنبية . وربما صح هذا القول بالنظر الى اللغة الحميرية وهي غير معروفة الا بالقلم المسند

ويتكلم اهل الحبشة باللسان الامهري والاثيوبي والتيفري والهراري وغير ذلك وهي من اللغات السامية المتغيرة لدخول الالفاظ الاجنبية عليها ويعزى الى اللغات السامية لسان القبط الذي بقي حياً الى زمن الفتح

الاسلامي وكان يكتب حينئذ بحروف يونانية . اما الفلم المصري اقدم
فسياً في الكلام عليه

واللغات الهندية الاوربية وتسمى بالآرية والسنسكريتية منتشرة من
الهند الى سواحل بحر الظلمات (الاثلاثيك) الشرقية . وكان يظن انها نشأت
في اواسط اسيا فثبت بعضهم الآن ان منشأها في ضفاف الدانوب وجهات
روسيا الجنوبية اي في الجنوب الغربي من اوربا . وهي متصرفه بما يدخل على
اواخر كلماتها من الزيادة وقد تكون على الاصل في اول الكلمات مثال ذلك في
اللغة الانكليزية UNDER STAND فالاصل فيها STAND جلس و UNDER تحت
ومثلها في الفرنسية COM PRENDRE والاصل فيها PRENDRE اخذ ولفظه
COM تفيد الصحبة والغالب في هذه اللغات المفرد والجمع الموءنث والمذكر
حقيقة او مجازاً وفي بعضها يسمى ما ليس بذكر ولا انثى حقيقةً بالمتعادل
وحركانها في الاصل ثلاثة فتحة فكسرة فضمة الا انهم توسعوا بها كثيراً وهي
تكتب بالحروف واصول كلماتها مفردة الهجاء واقسامها ثمانية الهندية والايروانية
واليونانية واللاتينية والشتية والجرمانية والصقلية والليتية LETTIQUE اما
اللغة الانكليزية فمنشأها من فرع الماني يقال له السكسوني امتزج بفرع
آخر يقال له الانجل وهي اكثر اللغات الاوربية انتشاراً واقربها الى اللغات
الوحيدة الهجاء

فما تقدم يتضح ان الصينيين وامم الهند الصينية والتبتيين يتكلمون
بلغات ذوات هجاء واحد وان الهندين الاوريين والساميين والكنعانيين
يتكلمون بلغات متصرفة وما بقي من امم العالم فبلغاتها مركبة ومع ذلك فان
اللغات تتداخل فيما بينها كما نرى في اللغة الطليانية التي تكثر فيها الصيغ

المركة وكذلك العربية والفرنسية وبعض اللغات ذوات الهجاء الواحد كالتيبتية نكثرفيها الصيغ المركبة ايضاً
 وكان يظن من قبل ان جميع لغات العالم نشأت من اللغة المفردة الهجاء
 متحولة من حالة البساطة الى حالة التركيب فالتصريف اخيراً . ولكن هذا
 الراي قد نقض الان بالنظر الى عدم التناسب بين عدد اللغات المركبة وعدد
 لغات القسمين الاخيرين وبالنظر الى وجود الصيغ المركبة في اللغات المفردة
 الهجاء والمتصرفة وبالنظر الى تداعي كثير من اللغات المتصرفة الى الهجاء
 الواحد كاللغة الانكليزية وبالنظر الى ما ثبت اخيراً من بحث بعض المدققين
 في لفظ الكلمات الصينية والتيبتية القديمة ولذلك ذهب اكثرهم الآن الى ان
 اللغات المركبة هي الاصل وان المفردة الهجاء والمتصرفة مشتقتان منها . اما
 عدد لغات العالم فلا يمكن استقصاؤه في حالة العلم الحاضرة وسنذكر في الكلام
 على الامم لغة كل منها والخصائص التي تميز بها كل امة من حيث لغتها



== ❖ ما ضيق العيش لولا فسحة الامل ❖ ==

❧ لبشاره افندي عبدالله الخوري ❧

اذا تلبدت سماء الحياة بغيوم الملمات وعصفت ريح الشقاء على رباض
 الهناء فعبثت باغصانها المائسات واقمارها الطالعات . واظلم الافق بعد ان
 كان صافياً نقياً تخنل فيه ربة النور بجلمة البهاء . فبت كأنك في ظلام داج
 لتلاعب بك وساوس الافكار وتنتاشك مغالب الآفات . ثم لاح لعينيك
 نور ضئيل في وسط الظلام فبدد عنك مخاوف النفس وردّ البك رمقاً

ينراوح بين اليأس والرجاء . فقل ذلك هو الامل » وما اضيق العيش
لولا فسحة الامل «

واذا كنت في سفينة تشق عباب البحار وقد هبت عليها العاصفة
فهاجت لها الامواج مرتفعة منخفضة لا تستقر على حال . وفغر البحر العظيم
فاه فايقنت انه لا بد من الهلاك . فحفق فؤادك هلعاً وارتجفت مفاصلك
جزعاً وظهر لك شبح الموت مخيفاً هائلاً . فوجت اهتياً لا تبدي حراكاً .
ثم ظهرت اليابسة بغتة امام عينيك . فانتعش لها فؤادك وثاب اليك رشادك
وابتسم ثغرك وانشرح صدرك . فقل ذلك هو الامل » وما اضيق العيش
لولا فسحة الامل «

واذا توغلت في البراري المقفرات تحت جنح الظلام وقد خرجت
الضواري من مكانها فتفك بمن تلقاه فتكلا لا تبقي معه على حياة فاحاطت
بك من كل جانب وكلها على قدم الوثوب عليك لتنوشك بانيابها المحددة
وتحمل منك اصغارها طعاماً . فشاهدت الموت عياناً ولم يعد لك رجاء في
النجاة . ثم سقط طير الرخ عليك فانتشلك وطار بك الى جبل الامان فتمزقت
عنك اثواب الاوهام وفرت بالنجاة بعد ان يئست من النجاة . فقل ذلك هو
الامل » وما اضيق العيش لولا فسحة الامل «

واذا كنت ممن 'مني بمرض الادب فصرفت ريق العمر بين المحابر
والاقلام . واجريت على القرطاس مداداً من دماء الحياة فذبلت زهرة
ربيعك قبل ان تفتح عنها الاكام وجف عود حياتك فتناثرت على الاديم
اوراقه الخضراء . وانت مع ذلك لا تصادف نجاحاً ولا تسمع كلمة ثناء او
متى بت تخاف على ضياع الادب ولا تامن على حفظ حقوقك التي تشتريها

بدم المهج وسهر الليالي ثم بلغك ان قد راجت سوق المعارف والعلوم واصبحت
الناس نقدر ارباب الافلام فتهافتوا على اقتناء الكتب ترغيباً وتنشيطاً فقل
ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

فيا ايها الامل الجميل يا ابنتها الحمامة الطائفة في فضاء العالم هنيئاً للقلب
الذي يكون لك قفصاً وللقفص الذي تغرد فيه . تغردين فتعشقين الفؤاد
وتتشدين له في صحف المستقبل اشعاراً مطربات فتحيين اليه البقاء وقد
رام الفناء . وتعليينه بالسعادة وقد حالفه الشقاء . يا ايها الامل كم تعلل الفقير
بالغنى والمريض بالشفاء . فيبتسم ثغر الذهب للاول وتصافح العافية يد
الاخير فتخفف عن هذا وطأة الألم وتفتأ عن ذاك سطوة الداء . وما اصعب
الفقر اذا انقطع الرجاء وما اصعب الداء اذا فقد الدواء

يا ايها الامل ما اكثر الذين يستأنسون بالوحشة ومتى خيم الظلام
يخلون بانفسهم الكثيبة فيذرفون على الوجنات دمعاً مدراراً ويتهدون من
فرط الجوى والم النوى . وينتجبون كما تنتجب الحمام على الافنان فيمركون
اوتار القلوب ويهيجون نار الاحزان . ثم تبسم لهم عن ثغر حبيب كأنه
الدرّ وتسفر لهم عن صبح محيا ابهى من البدر فتبتهج قلوبهم وتحمد نيرانهم
وتصفوا لهم موارد السعادة في مراحل الحياة

يا ايها الامل يا دمة التعزية وابتسامة الفرح . يا نبته الحياة المغروسة
في تربة الصدر . يا انشودة الفوز بعد الفشل . يا جنة الخلد والنعيم
الدائم = سلام

يتجرد الغصن على امل ان يكتسي في الربيع ثوباً قشيباً . وانغيب
الشمس على امل ان تطلع في اليوم الثاني ساطعة منيرة . ويدفن الزارع مع

الحبة قوة يمينه على امل ان يجني من الحبة سنبلاً كثيراً ويميت الانسان نفسه في الحياة الدنيا على امل ان يقابل وجه ربه مسروراً . ويرمي بنفسه الى المخاطر على امل ان يصير سيداً خطيراً

فهذا هو الامل . هذا هو بارق الحياة وخيال السعادة ورائد المحبين . ولقد تلغدع وتصح وتحلو وتمريا ايها الامل



الخريف

جبران افندي خليل جبران

ها قد ضعفت حرارة الشمس واصبحت نظراتها الحية كنظرات سقيم يرى الحياة من وراء نقاب الموت

ها قد نمرت الارياح وانتزعت عزم البحار لتبيد به ما اخرجته الارض من صدرها مثلما تنفي الحروب والثورات ما تنثى السلامة من اعماقها

قد قضى الصيف فجلست الحقول للنحيب والبكاء . وتلملت الاشجار متمسرة ناثرة اوراقها الصفراء لتكفنه بها وتلحده تحت ثنايا الثلوج

قد مات الصيف = مات فتي الفصول = مات عريس الاودية فوقفت امه الطبيعة لتندبه وترثيه

مات واهب الرزق = مات شاعر الحياة = مات حياة الشعر فتركه الانسان جثة باردة على احضان البرية وعاد حاملاً البزور والاثمار الى اوكاره الضيقة

البلابل والشحاري والعصافير قد رحلت الى الجنوب ولم يبق بين الطلول الجرداء سوى غريان سوداء لتساعد ناعية من بين القضبان العارية وتختفي

في الغاب ثم تظهر وتهبط كأنها رات جيفة ثم لتطير وتنفرد الى كل ناحية كأنها تخاف بعضها بعضاً

الاغصان ترتجف متاففة . ووجه البحيرات تتجمد جزعاً . والصخور تكاد تهبط من امام السيول والامطار وكل مافي الارض يرتعش من غضب العواصف ارتعاش العيد المذنين امام الملوك القساء

السواقي المترنمة قد غارت . ثم ظهرت ونمت انهرأ وجرفت بتيارها الجذوع والحصى الى اعماق الوادي . . اوراق الاشجار اليابسة تتراكمض يمينا وشمالاً في المعابر والممرات والاعشاب الذابلة تتسارع ماشية كالحشرات الجائعة في المروج والمنخفضات . والغيوم الرمادية قد تراكت فوق خطوط الشفق وملأت الفضاء فاصبحت احواض المياه تحرق وباطلا تحرق لتري ازرقاق السماء قد مات الصيف الجميل ليحيا الخريف الكثيب . وبين ذاك الموت وهذه الحياة قد وقف الزمن مشيراً ييمينه نحو غصن عرته الارياح وقصفته العاصفة قائلاً « هذا رمز ايامك ايها الانسان فتأمله جيداً — يقظة ففرح فيحزن فنزاع فنوم عميق

اهذا رمز حياتنا ! غصن نمقه نيسان بالزهور . وكساه حزيران بالاوراق واثقله آب بالاثمار . ثم جاء تشرين فعراه بارياحه . ثم مرت العاصفة فقصفته بعزمها والقته على الحضيض لكي يلى على مهل تحت طبقات الثلوج اهذا هو رمز حياتنا ايها الزمن ؟

ابتلع الفضاء طهر الطفولية . ويمتص الاثير غبطة الشبية . ويغمر البحر قوة الكهولة ويبيد الظلام حكمة الشيخوخة ؟

اهكذا لتلاعب بنا الالهة فتجمع ايامنا ثم تنثرها على التراب لتندثر تحت

اقدام الدهور ؟

إذا أين عظمة الآلهة ؟ أين مجدهم إذا كانوا يقبلوننا بشفاههم العذبة .
ثم يصفعوننا بكفهم القاسية . وبمَ فخرهم إذا كانوا يذيقوننا حلاوة الشهد ثم
يملاؤن أجوافنا من نقيع الحنظل ؟ ولما ذا نرتجف جزعاً امام عروشهم إذا
كانت النهاية تساوي الخاضعين بالتمردين ؟

أين عدل السماء إذا كان الموت يجمع في قبضة العدم نفوس المجرمين
بارواح الانبياء مثلاً يلحد الحريف في قلب التراب بقايا الوردة الحمراء والزنبقة
البيضاء بجانب الاشواك والادغال ؟ وما معنى الحياة إذا كانت الملائكة
تجمع في النهار دقائق اجسادنا من تراب وطئته اقدام الدهر لتعود في
الليل وتفرقها وتذريها كالغبار امام ريح الشمال ؟

قد مات الصيف فرحلت الطيور الى الجنوب وعمرت الارياح اشجار
الصفصاف والخور والتوت والتفاح ووشح الضباب الحقول والمروج والادوية .
ولوت العواصف اعناق الاعشاب والزهور وغرقت الامطار قامات الانصاب
والرياحين ولكن هناك = هناك في سفح الجبل شجرة السرو ذات الاخضرار
الابدي يهاجمها الريح بعنف فيلويها ولكنه لا يقصفها . ويحاول المطر خلع
ثوبها فيبلة ولا يثلمه . ويعمرها الضباب ليخفيها عن النواظر فيظل راسها
العالي مرفوعاً نحو السماء . وتجتمع حول جذعها اوراق الاشجار لتكفنها
فتبلى هناك وتتحول الى عناصر تغذيها = هذه هي الشجرة التي تخرج من
بطن الارض ولا تعود اليه = هذه هي الكلمة التي يلفظها الصيف فلا
يستطيع الشتاء ان يجعلها سكونية = هذه هي رمز حياتي ايها الخريف = ايها
الزمن = ايها الآلهة !

﴿ الى ماذا نحن صائرون وكيف نتلافى امرنا ﴾

« لجبرافندي ضومط »

ايها السادة والسيدات

علم الله اني استعفيت من القيام في هذا الموقف امامكم فلم اعف .
وحاولت جهدي في ان اتخلي عنه لغيري ممن يتشوف البادي والحاضر للاصغاء
اليه فلم اثل بغيتي . حاولت ان اتخلي لرب الخطابة . والمقدم فيها العلامة
الدكتور وليم فانديك وياحبذا لو تم ماحاولته فإنه لو قام مقامى هذا الفاضل
على ما اشتهيت وسعيت لكنتم تسمعون منه الآن غير ما تسمعون وتمرّ بكم
الساعات لا الدقائق وانتم صاغون ومحبون بل كنتم تودون لو يمد الليل
بساعات من النهار وانتم باسمون ومبتهجون لكن صدق شاعرنا المشهور
حيث يقول

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
فقد جرت الرياح بسفينة هذا الواقف امامكم وهو مبابل البال
مضطرب الخواطر يخشى ان لا يحسن ادارتها فلا تصل به الى حيث يريد
وان هو احسن القصد وافرغ في سبيل ذلك غاية المستطاع ومنتهى الجهد .
على اني اخلصت النصيح في ان يكون غيري الخطيب ممن ترضونه ثم لما لم
يسمع نصحي ولا سوعدت على اخلاصي بذلت غاية جهدي في ان اتى
باحسن ما يوهى به من مثلي فان جاء ماساً قوله شئ يشفع بي عنكم فذلك
لفضل فيكم وجزاء لي على اخلاصي والا فاللوم على من اوقعوني هذا الموقف
لا على لاني نصحت أولاً واجتهدت ثانياً وبذلت في هذا وذاك غاية ما في
وسعي ولا تكلف نفس فوق ما في وسعها .

﴿ موضوعي ايها السادة والسيدات ﴾

« الى ماذا نحن صائرون »

وهو موضوع بعيد المسافات متوعر المسالك فان انا اخذت في جميع طرقه واطقت به من جميع جهاته اعوزني الوقت وحملتكم من المشقات مالا تطيقون وهب ان فسح لي في الوقت فمن اين لكم ان تبرأ اذا سلكت بكم في جميع منعرجاته وطففت معكم في جميع معالجه ومشاهده بل ارى الوقت لا يؤذن لي بالمقدمات التي تقدم عادة بين يدي الموضوع ولا بالتهديدات التي تهدد قبل ان تنفض مسالكه ويخاض في مخاوضه فاعذروني اذا في اقتضاب الكلام اقتضاباً وابتداه الغرض منه ابتداها فاقول .

انظروا الى جبالنا تعلموا الى اين نحن صائرون . هذه جبال لبنان من اولها شمالاً الى آخرها جنوباً جميع اعاليها جرداء قرعاء يسلك فيها السالك ساعات لا يرى شجرة تربي ظلاً او تمسك تربة فاذا وقعت عليها العين من بعيد لا يستقر على ما كان ينبغي ان تستقر عليه من انيق خضرة تسر العيون بجملها او غابات ارواح رائقة تتسع الصدور لا تساعها وتستشعر انقلوب والنفوس اعظاماً لعظمتها وهيبة واجلالاً لهيبتها وجلالها . نعم لو كانت كما ينبغي ان تكون لا على ما هي عليه الآن لكانت احسن بقاع الله ماء وهواء وجمالاً وجلالاً ولكانت جبال سويسرا على شهرتها ليست الا وصيفة من وصائفها او امة من امائها . بل لو كانت كما ينبغي ان تكون لاعتدلت فوق اعتدالها فصولنا فكان صيفنا اعل هواء والطف حرّ واول جفافاً واطرد شتائنا فكان اكثر مطراً وجاء الباكرون منه والمتأخر في اوانهما معتدلاً لا طوفاناً يحرف التربة جرفاً وينزرب السواحل تخريباً ولا رذاذاً غثاً لا ينقع حداً ولا

يروى لارض غليلاً . وليس الحال في بقية جبال سورية وتلالها الا على ما وصفنا به جبال لبنان فان اكثرها جرذا فاحلة بعد ان كانت غابا واحداً من ادواح الاشجار على اختلاف اجناسها وانواعها . والمترب على هذا فضلاً عما ذكرنا من اختلال فصولنا وقلة امطارنا وعدم اطرادها شتاء وربيعاً ان فئت اخشاب البناء وقل الوقود في البلاد واعوز وجدانه في المدن والقرى الكبيرة وارتفعت اسفار الفحم فيها

من اين ما نراه من مستودعات الحطب في جوار ميناء الحسنة امن غابات لبنان هوام من حراج صنين والشعراء . ولا يبعد بعد قليل ان نرى مثل هذه المستودعات او ما هو من بابها في دمشق وغيرها من مدن الداخلية كما نراها اليوم في اكثر من مدن السواحل . ولو لم يكن الا هذه المستودعات لكان الامر لان ما فيها يردنا من بلاد عثمانية وفي سفن على الغالب عثمانية ولكن انظروا الى طرق لبنان المزدهجة بدواب النقل واخبروني ماذا تحمل هذه انها تحمل احجاراً سوداً مربعة الشكل يقال لها فحم حجري يردنا من انكلترا او فرنسا او بلجيكا وهي بلاد اجنبية وفي بواخر اجنبية ايضاً ليوقد في معامل بيروت ولبنان او ليوقد في مواقع حديثة اجنبية للدف شتاء في كثير من بيوت بيروت وكثير من بيوت لبنان الكبيرة . بل هنالك اكثر مما ذكرنا . ادخلوا البيوت في بيروت وفي كثير غيرها من المدن والقرى الكبيرة وفتشوا في مطابخها واخبرونا ما هو نوع وقود هذه المطابخ انكم قلما تدخلون بيتاً الا وترون وقوده البترول من باطوم او الولايات المتحدة . فلما ذا استبدلتم يا اصحاب البيوت مواقع مطابخكم بطباخات البترول . اليس ان جبال لبنان وسوريا اصبحت قرعاء جرءاء فاعوزنا الحطب والفحم واضطررنا اضطراراً

الى الطبخ والفسل على البترول . هذه نظرة نظرناها الى جبالنا فقولوا لي
 بعدها يا من ترون معي ما ارى (الى ما ذا نحن صائرون) واسفاء واسفاء
 اننا صائرون الى الخراب والافلاس غدا او بعد غد . دعونا من هذه النظرة
 ايها السادة وانظروا نظرة اخرى الى حالة زراعتنا . سهولنا ومزارعنا اكثرها
 بور والمزروع منها وهو ما قارب المدن والضياع لا يكاد يبلغ ربع الارضين .
 واما ما بعد فمتروك للشوك والحسك . ويا ليت ان في البلاد ماشية من
 الغنم والبقر وسائمة الخيل تتكاثر وتتمو على هذه الارض المتروكة بوراً فكنا
 اذ نستوفي شيئاً من خصبها الطبيعي بصورة الماشية ولكن الحال ليست كذلك
 فان اغنامنا قليلة جداً وكذلك بقية الماشية حتى تضطر اغلب مدمتنا وضياعنا
 الكبيرة ان تجلب اللحوم من خارج سوريا وقد بلغ ثمن اقة اللحم في مدينتنا
 بيروت في غضون هذه السنة نحو من خمسة عشر غرشاً او يز يدوهو ثمن لو بلغته
 اقة اللحم في لندن او باريس في غمرة الشتاء لضج اهلها من مجاوزته المعتاد .
 انظروا الى انهارنا واعظمها العاصي شمالاً والاردن جنوباً والليطاني ما بينهما
 فهذه الانهر الكثيرة المياه السريعة المجرى متروكة همللاً لا تسقي ارضاً ولا تدير
 آلات الا بعض مطاحن لطحن القمح . ولو ان هذه الانهار ينتفع بمياهها على
 ما ينبغي لكانت البلاد على بعض ضفافها فوق بلاد النيل خصباً وكثرة حاصلات
 ولكانت كما يقال نفيس ذهباً وفضة . ولقد نقل عن استاذنا الدكتور جورج
 بوست انه قال اعطوني نهر العاصي وواديه عن جانبيه والاردن وواديه وانا
 املأ لك سوريا طعاماً وكسوة فلا يجوع رجل ولا يعرى ولد

ايها السادة سهولنا واسعة ومزارعنا خصيبة ومياهنا في بعض الجهات
 كثيرة ولكن اين غلاتنا . اين الحبوب التي كان ينبغي ان تكون مركومة

امثال التلال في مزارعنا وقرانا وتصدر في سفنتنا من ثغورنا الى مدن اوربا
وبنادرها ام اين اقطاننا التي تملأ بيوت زارعها وتفيض فتملأ المستودعات
الكبيرة والمخازن الواسعة في مدننا فتصدرها تجارنا وترد علينا اثمانها ذهباً
وهاجاً واسفاه ليس شيء من ذلك اما القطن فاظن الشبان ومن هم في اول
سن الكهولة من زراعنا لا يعرفونه الا محشياً في فراش احدهم او لحافه اما
كيف يزرع ويحني ويحاج ويغزل ثم يحاك خاماً كان يضرب المثل بمثاقه
فذلك مما يسمعون عن آبائهم او نقلاً عن المتقدمين سنّاً بينهم . واما الحبوب
فيسوءني ان اقول على مسمع منكم ان كثيراً من مخازن الخنطة في مدينتنا
ملآن منها لكن من غير سهول حمص وحماه والشام وحموران ولو ان الخنطة
والدقيق يردان الينا من ايطاليا فقط لكان الامر لان ايطاليا بلاد عثمانية وقبحها
يستهلك في ثغر عثماني ولكن سلوا العارفين فيخبروكم ان تجار الدقيق
قد يستوردونه من روسيا وفرنسا بل من امبركا وانكلترا ويجدون له مشتريين
في بيروت وغيرها من المدن البحرية . وان لساني يتلعثم في في حزناً واسفاً
اذا ذكرت لكم ما اراه وترويه انتم كل يوم من مركبات تحمل الحيز الى
كثير من البيوت من افران تجلب دقيقتها من فرنسا وروسيا واثينا من ايطاليا
وفي كل يوم يزيد عدد الموزع عليهم من هذه الافران عن سابقه . دعونا الان
نلفت نظرنا عن حالتنا الزراعية الى حالتنا الصناعية وبكل اسف اقول انها
اشبه بحالتنا الزراعية ان لم اقل اسوأ منها عاقبة واسرع بنا الى الخراب والافلاس
مصيبراً . ادخلوا الى يونس في المدن والضياح وانظروا ماذا ترون . ترون
اثنا وادوات طعامنا وشرابنا وانواع زيتنا اغلبها ان لم اقل كلها من مصنوعات
الاجنبية ويا للأسف حتى الزيوت والمكبوسات من البصل والخيار واشباه

ذلك ولا اقول المشروبات ترد الينا في قتاني من بلاد اجنبية . ونفاخر
 بها لانها من صنع بلاد اجنبية . استوقفوا رجالنا وشباننا برهة وانظروا في
 ملابسهم من اسفل القدم الى قمة الراس فانكم ترون الاحذية من صناعة اجنبية
 والطرايش كذلك وما بينهما من القميص الذي يباشر الجلد الى المتدبل في
 الجيب كل ذلك من بلاد اجنبية وصناعة اجنبية . ويا للعجب ان القمصان
 وربط الرقاب يستخف بها اذا كانت مصنوعة بايدي صناعنا ويفاخر بها بمجرد
 انها مصنوعة في لندن او باريس واعجب من ذلك وانه لعجب يستوجب البكاء
 ان بعضا من شبانتنا يباهون في انهم يخيطون اثوابهم في باريس او في لندن
 يرسلون اقدارهم الى الخاططة هناك فتأتيهم الاثواب طرداً في البوسطة او مع
 احد الركاب لا يشعرون بسوء عاقبة ما يفعلون ولا يفتنون لفضيحة مابه يباهون
 امور تضحك الجهال منها وبيكي من عواقبها الحكيم

استوقفوا المكاري استوقفوا الفلاح استوقفوا الفاعل من الفعلة لا اعتياديين
 وانظروا ماذا قد يلبس كل واحد من هؤلاء لا ترونه يلبس العباءة ولا الخام
 البلدي ولا الدما التي يحبكها صناع بلادنا وكان يلبسها من قبل انما ترونه يلبس
 الصاكو المصنوعة في المانيا والدما المنسوجة على انوال مانشستر والجلد المدبوغ
 في مدابغ فرنسا او امريكا

يا شبان بلادنا ويا رجالها لماذا لا تلبس الانسجة التي حاكها صناعنا
 في بلادنا على انوال دمشق وبيروت وحمص وحماء والزوق يا سيدات بلادنا
 لماذا لا تلبسن الحرائر المنسوجة على هذه الانوال وتباهين كما تباهي الغربيات
 في منسوجات نسجها صناعنا وخاطبتها الخاططة من يبتنا

واني لا اخاطب الغنيات اللواتي يملكن هنّ او ازواجهنّ الالوف من

الجنهيات فهو لاء مستثنيات في كل بلاد فضلاً عن انهن يعددن على الاصابع وانما الخاطب من سواهن من الجمهور الاعظم

ايها السادة والسيدات اني لاستحيي من نفسي واستر عيني خجلاً اذا ذكرت لكم ان رئيس مدرستنا هذه واعضاء عمدتها رأوا سوء الحالة التي ذكرتها لكم وحببوا اليها غير مرة ان نلبس ملابس بلادنا ومنسوجات بلادنا ليقتدي بنا تلامذتنا في ذلك فيخف عن عاتق آبائهم كثير من النفقات التي احنت ظهورهم فاعرضنا عن نصيحهم وادرنا اليهم ظهورنا

دعونا بعد ننظر من موقف آخر يطل على حالتنا الادبية من جهة الاقتصاد في النفقات فلعل هنالك ما يختلف في المغزى عما رايناه . هولاء شباننا يسرحون ويمرحون فانظروا اليهم عن آخرهم انظروا الى ابناء المدارس والمتاجر والصناعات المختلفة وقولوا لي ماذا ترون . انهم على اختلافهم في درجات الغنى وعلى اختلاف في المهنة التي يمتنونها والمدرسة التي يتعلمون بها وعلى اختلافهم ايضاً في الاذواق والمواهب العقلية والادبية يكادون يتفقون في المباهاة بالانفاق على غير طائل ويتنافسون في الاسراف والتبذير . الا من عصمهم الله وقليل ما هم . يركبون العربات لا لانهم لا يستطيعون المشي ولا لان في ركوبها زيادة في المسرة ويركبون الدراجات لا لانهم يريدون المحافظة على الوقت والاسراع في قطع المسافات الطويلة ليباشروا اشغالهم في اوقاتها باكراً بل يركبون هذه او تلك لان في ركوبها مظهراً من مظاهر الاسراف واثماً الى ما يذهبون اليه باطناً ويبدون في عرض احاديثهم ظاهراً من انهم لا يحفلون بالمال ولا يقدرونه بقدر كأن الرجولية واسفاه تتطلب الاسراف او الحكمة تأمر بتبذير المال اسال المتعلمين من هولاء

الشبان ماذا ابقيتم في جيوبكم من رواتبكم الشهرية او السنوية راس مال لكم
 في المستقبل يجيبوك انهم لم يبقوا شيئاً بل كثيرون منهم ابقوا عليهم ديناً
 يماطلون به او يندافعونه عنهم الى آباءهم . اسال ابنا المدارس فيما انفقتم
 النفقات الكثيرة التي يئن اباؤكم من ثقلها وانتم تأكلون وتشربون من
 المدرسة وتنامون فيها فيسكتون او يتحتمون ويعتذرون بما لا يحصل له
 دعوا الشبان جانباً وانظروا الى البيوت الى الالباء والامهات واسألوا
 هؤلاء ماذا انفقوا في سنتهم الماضية ام اين حسابات تلك السنة . ما اظن
 احداً من المسؤولين يقدم لك حساباً واكثرهم يتعلمون بقولهم وما فائدة
 مسك الحسابات اقلل ذلك من النفقات ام يزيد في الدخل وكأني ببعض
 المسؤولين يتعلمون من هذا السؤال وينظرون ذات اليمين وذات الشمال
 وبعضهم ينظرون بطرف خفي الى زوجته وكلنا نعلم معنى هذه النظرة وغاية
 ما نجده هنا ان الدخل والخرج متساويان ان لم يكن الثاني يزيد على الاول
 فاذا سألت اولئك الذين تساوت نفقاتهم ودخلهم ماذا تؤملون في المستقبل
 قالوا لك الله كريم غدا يكبر اولادنا ينفقون علينا بدلاً مما انفقنا عليهم
 في تعليمهم وتهذيبهم . واما اولئك الذين تزيد نفقاتهم على دخلهم
 فلا نعلم ماذا يقولون ولا نعلم ايضاً جواباً نعتذره عنهم . ايها السادة
 كأني اسمع احدكم يقول مالك ولنا نحن الذين قيل فيهم بعرق جبينك
 تأكل خبزك فانه يكفي امثالنا ان يزوجوا العيش تزجية وحسبهم ان
 يتساوى دخلهم ونفقاتهم فاسأل اصحاب الاملاك الواسعة والمقتنيات
 الكثيرة ودعنا نحن وشأننا . صدقت ايها القائل اقله بحسب الظاهر
 فلنسألكم يا اصحاب الاملاك والمقارات الذين بيننا او الغائبين

عنا . ماذا وفرتم من دخلكم في السنة الماضية ؟ وبأسف اجيب
 بلسان اغلب هؤلاء ان نفقاتهم تستغرق دخلهم بل كثيرون منهم تبقى عليهم
 بقية دين من سنة الى اخرى فلا تلبث هذه البقايا ان تتكاثر سنة فسنة وهم
 لا يشعرون وكثيرون منهم لا ينتبهون من غفلتهم الا وقد اطاف بهم الافلاس
 واصبحوا في خطر من ان يفقدوا املاكهم ووجاهتهم معاً

وليس التجار بيننا خيراً بكثير من ذكرا من الاغنياء من اصحاب
 الاملاك . هؤلاء الذين ينظر اليهم من بين جميع الطبقات ويتوقع منهم
 ان يحافظوا على رؤوس الاموال ويزيدوها من سنة الى اخرى ليمدوا بها
 البلاد ويزيدوا من مرافقها ومنافعها العامة . هؤلاء اذا فتشتم عن احوالهم
 ترون انهم يكادون يماثلون بقية الطبقات في تعريض رؤوس الاموال التي
 يتوقف عليها نجاح البلاد للخسارة والضياع . فان كثيرين من تجارنا ومن هم
 بمثابةهم ممن جمعوا شيئاً من راس مال قد استغفوتهم البورصة فلقموها فضلات
 ما جمعوا فاطبقت عليها اشدقها وتركتم صفر الايدي يعضون اصابعهم
 ندماً وحسرة

قولوا لي ماذا اصاب بيروت في هذه السنين الاخيرة ؟ اما نقص راس
 مالها نقصاً فاحشاً ضعفت اركان الامنية التجارية واوقف حركة الاعمال
 والمتاجر . لوشت لظلمت اعدد حتى الصباح مظاهر واحوالاً لا تخفى على
 عاقل وكلها تشير الى سوء مصيرنا وتسرعنا افراداً واجمالاً البلاد والعباد الى
 شفا الافلاس والخراب . وقد بدأت الحال تنكشف عما ذكرنا فاين الاطباء
 والصيادلة واصحاب الشهادات العلمية الذين يخرجون من مدارسنا سنوياً .
 اين الصناع الاكفاء ؟ اين الفعلة الاقوياء ؟ اين اهل الفلاحة والزراعة ممن

يشتغلون الاراضي ويقومون على استثمار خيراتها ؟ اين جميع هؤلاء ؟ وماذا اصاب اكثرهم ؟ انهم يهاجرون افواجا افواجا لم يتوقف تيار مهاجرتهم منذ اكثر من خمس وعشرين سنة الى الآن حتى بالغ فلهم اطراف المعمور . وما اظن يقل عدد هؤلاء المهاجرين عن الاربعمئة الف نسمة ولا يزال الكثير ممن لم يهاجر يتشوف الى المهاجرة ويجعلها نصب عينيه

تأملوا ايها السادة واحكموا لانفسكم بلاد واسعة من اخصب بلاد الله في المعمور ومن احسنها هواء وانقاها سماء وماء لا يزيد اهلها على المليونين ومع ذلك فقد هاجرها نحو خمس سكانها وفي هؤلاء المهاجرين كثيرون من اطباءها وصيادلتها وكتبتها ومعلميها وصناعهم من اقوام بنية واحد هم قلباً وخطراً . فلماذا هذه المهاجرة وما هو سببها انه ليس لذلك من سبب الا قلة راس المال في البلاد عموماً واعوازه اولئك الذين هاجروا خصوصاً . نعم لو كان بين يدي الافراد او في البلاد راس مال ما هاجرها الطيب ولا الصيدلي ولا الكاتب ولا المعلم ومثل ذلك يقال في الصانع والعامل والفلاح والزارع ومن سواهم من اهل الحرف المختلفة وما معنى الافلاس الا ذهاب راس المال

متى ايها السادة تصبح اعالي لبنان غابات ادواح وتلال سوريا وهضابها كروما ناضرة وحدائق غناء يانعة ؟ متى تصبح سهولنا الواسعة ملائمة قطعانا ومزارعنا الخصيبة تفيض حنطة وخيراً متى نستخدم مياه انهارنا الكبيرة في ري ماعلى ضفافها الخصيبة من التربة فتصبح اقطاننا تكفي حاجتنا ونصدر منها الى البلاد الاجنبية جانباً كبيراً ايضاً . بل متى يعمل لنا صناعنا وندفع اليهم اجور العمل لا الى غيرهم فيبقى مالنا في بلادنا لا يتسرب منها الى البلاد الاخرى اجرة لصناعها ويبقى صناعنا فارغي الايدي وعالة على البلاد

لا يجدون عملاً يعملونه متى نرى كل ذلك ؟ لا بد ان يمر علينا زمن طويل قبل ان نتحقق هذه الاماني على انها لا تتحقق الا اذا اخذنا بالاسباب المقنضية لها . وهذا ما يهمنا السؤال عنه اعني كيف نتدارك امرنا بحيث نبلغ امانينا من جهة وندفع من جهة اخرى عن انفسنا وعن بلادنا شر ما نحن صائرون اليه من الافلاس والحرب

يقول البعض اعقدوا الشركات لجمع الاموال وانفاقها في غرس الغابات والكروم وفي تكثير الزرع والفرع واستخدام مياه الانهار في الري والصناعة . ونعم القول او الراي هذا . ولكن اين الاموال لذلك والبلاد في حالة الافلاس . من منا في صندوقه مال مذخور يستغني عنه زماناً طويلاً ليودع في صناديق الشركات . اجيبوني ايها المعلمون اجيبوني ايها الشبان المستخدمون . اجيبوني يا ارباب البيوت واصحاب الحرف والصناعات المختلفة . بل مالنا ولهؤلاء . اجيبوني ان استطعتم يا ارباب الاملاك الواسعة والعقارات الكثيرة افتحوا صناديقكم لئرى ما فيها من الذهب والهاج . بالمزيد الاسف انها فارغة ليس فيها دينار واحد يستغني عنه مدة . مالنا ولهؤلاء ايضاً . هلموا بنا الى التجار والصيارف نستغيث بهم . يا تجارنا الكرام وصيارفنا الاغنياء افتحوا صناديقكم الحديدية لئرى ما فيها من الاموال الاحتياطية هل من احد منكم حاضر هنا يسمع كلامي ؟ اني اشك بذلك . لكن هب ان كان منكم احد الآن او كان غيره ممن هو عارف بحقيقة الحال فماذا يجيب ؟ ان البورصة ابتلعت من هذه الصناديق في السنين الاخيرة من مدينة بيروت فقط ما يزيد في الراجح على الخمسمائة الف جنيه كان يمكن ان تستودع اساساً لمثل هذا المشروع وتزداد في المستقبل شيئاً فشيئاً فلم يبق ثمة الا ما يكاد يكفي

لحركة تجارنا الاعتيادية البطيئة .

يقول قائل اذن فلنستدن الاموال من الخارج من صيارفة اوربا وبيوت المال فيها واسفاه ان هذا ما يحاوله هؤلاء وهذا ما يسمعون اليه جهدهم . وان تم لا سمح الله اصبحنا غرباء في البلاد واصبحت السهول والجبال لهؤلاء دوننا وخبرلنا ان تبقى البلاد قرعاء جرداء وعلى شرمما هي عليه وهي لنا من ان تصير الي ما نعلم به وهي لأولئك الاقوام . وكفى عبرة بما وقع اغيرنا وبعض ما وقع لنا

قالت الضفدع قولاً فسرته الحكماء

في في ماء وهل ينطق من في فيه ماء

ايها السادة اني سمعت ما اكاد اظنه حلاً لا حقيقة وهو ان بعض اغنيائنا في مصر والشام قد عقدوا شركة مالية راس مالها منهم وفي نيته ان يستخدموا هذا المال في احياء الموات من الارضين في زراعة القطن = واستثماره على الاخص فان كان ما سمعته صحيحاً حقق الله الخبر = ففيه ما يجي لنا شيئاً من الامل وتوقع معه حسن العاقبة في المستقبل .

ومع اننا على يقين ان الله اذا اراد امراً هياً اسبابه فليس من الراي ان نسترسل الى ما لم يتحقق بعد من الاملاني ونترك ما في مكنتنا اتخاذه من الوسائل والاسباب التي تقضي بها علينا الحكمة والراي مما يكون ردفاً لها في الشركة ودعامة تدعمها في حينه

يقول آخرون هذبوا فتياننا وفتياتنا فان على تهذيبهم مدار النجاح والفلاح وفيه اساس لحسن الحال والمال في العاجل وضمانة يتلافى بها ما يهددنا من الافلاس المستقبل . ونعم هذا القول قولاً ما اشوقه في الظاهر وارواه

واشده قبل التحقيق وامضاء وكز علي من حيث اني . عالم ان اختتم على صحته
 من غير تردد فيه واهول به على رؤوس الملا من غير تجريح له . ولكن ان
 كان يقصد بالتهذيب مجرد التعليم على ما جرينا عليه الى الآن فما اكثر
 الاقوال الشائقة لكن على غير جدوى واروى الآراء الموهة لكن من غير
 محصل فائدة هذه مدارسنا قد ملئت المدن والقرى ومنذ ثلثين سنة الى الآن
 وعددها يتزايد وعدد الطالبين والطالبات يتكاثر فماذا نفع البلاد تعدد المدارس
 او ماذا اجدى عليها تكاثر عدد الطلبة ان عندنا الآن من المدارس الكمية
 والعالية ما لو نسبناه الى عدد الانفس لأربى على ما عند الانكليز او الفرنسيين
 ومع ذلك فالبلاد اليوم اقرب الى الافلاس مما كانت منذ عشرين او ثلاثين
 سنة وستكون بعد عشر سنين اقل راس مال مما هي عليه الآن ان لم نتدارك
 امرنا . قولوا لي ماذا نفع البلاد كثرة التلامذة وما هي الزيادة التي زادوها
 الى راس مالها . بل كيف ينفعون البلاد وهم يهاجرونها الواحد بعد الآخر
 حتى بلغ فلهم اطراف المعمور من اميركا الجنوبية الى بلاد الفلبين وقلب
 السودان وبلاد الترانسفال ورأس الرجا الصالح ولعل بعضهم الآن في نواحي
 الصين في قلب بلاد اليابان والمتأمل يرى ان المهاجرة كانت لتزايد على نسبة
 تزايد عدد المتعلمين والمعلمات وليس لذلك من سبب الا ان التهذيب الذي
 نتهذه يزيده من افلاس البلاد حتى اذا اتم الطالب ابامه المدرسية واخذ
 شهادته العلمية او الطبية او الصيدلية او التجارية لا يرى معه شيئاً من راس
 مال يستند اليه ولا هناك في البلاد راس مال يحمل علمه والنتيجة ظاهرة
 انه لا يجد بداً من المهاجرة فيهاجر

فان قيل ان المهاجرة طبيعية وقد تكون دليلاً على تقدم البلاد قلت

نعم لكن في غير الحالة التي نحن فيها اما في حالتنا نحن فلا لان سكان سورية لم يزد عددهم على ما تتحمله البلاد بل هي تتحمل اضعاف الالهيين في الوقت الحاضر فالمهاجرة اذن غير طبيعية وهي دليل واضح على قلة راس المال بين ايدي الافراد المهاجرين وفي البلاد عموماً

ايها الطالب العزيز الذي تباهي في الاسراف وكثرة النفقات حتى تستنزف على عملك آخر غرض في جيب ابيك وتتركه في آخر سنك المدرسية صفر اليدين لا مال صامتاً ولا ناطقاً لديه بل كثيراً ما تتركه وقد رهن بيت سكنه نفقة عليك وتحملاً لمطالب بذخك وامرافك . قل لي يا هذا ما ذا بقي امامك عند نهاية ايامك المدرسية الا المهاجرة الى حيث ترى نفسك مضطراً ان تصرف معظم ما بقي من نشاطك وقوة شبابك لتفك مارهنه ابوك على تعليمك ثم بعد ذلك تنفق نفسك وقواك في اعداد معدات لبيتك حتى اذا صرت صاحب بيت وتوجهت خواطرك لالة فنيانك وفتياتك رأيت انك لم تذخر شيئاً بعد ولا تستطيع ان تذخر ويعود الدور بين اولادك وبنيك على مثل ما كان بينك وبين ابيك . واذا كانت الحال على هذه الصورة فهيات هيات ان ترى بلادك الا على ما هي عليه الان وهيات هيات ان يكون في طوفك ان تزيد على حالتها الحاضرة ما تصبح معه على ما تحلم ان تصير اليه وكل امالك بل احلامك الان تموت عندما تستيقظ في ايام كهوانك لانك لا ترى بين يديك راس مال تستغني عنه يستخدم في ترقية شوؤونها وزيادة قوتها وفلاحها وبالاجمال فالتهذيب الحالي لم يبلغ ولا يبلغ من المقصود ولا هو مما يركن اليه في تلافي امرنا وتدارك سوء مغبة ما نحن صائرون اليه من الانحلال والخراب فكيف اذا نتلافي امرنا

أيها السادة اذا اردنا ازالة الداء فلا بد من معالجة اسبابه الرئيسية وازالتها اولاً وليست هذه الاسباب الجهل على ما ارى ولا قلة الشباب المهذبن على ما بينا ولا هي ايضاً كسل الاهالي وتراخي ايديهم عن العمل لان المتأمل الخبير يعلم ان صانعنا اليوم انشط من صانعنا بالامس واكثر منه اكباباً ومثابرة على العمل وكذلك فاعلنا ومزارعنا وبستانينا ومستخدمنا وتاجرنا وكاتبنا ومحاسبنا ومعلمنا فان جميع هؤلاء يشتغلون ويجهدون في العمل فوق ما كانوا عليه في الماضي

وكذلك ليس السبب ايضاً عدم وجود الشركات العمومية لان عدم وجود هذه ليس سبباً للافلاس او تسارع افراد الامة اليه بل هو نتيجة عنه . فان من الحقيقة التي لا تنكر عند ذوي البصيرة ان عدم وجود الشركات العمومية مسبب عن عدم وجود راس المال اللازم لها بين ايدي الافراد . لا سبب لنقص رؤوس الاموال هذه . نعم لو وجدت هذه لزاد بها راس المال ولكنها لا توجد اولاً الا بعد ان يوجد راس مال بين ايدي الافراد عند راس المال الذي لا بد لهم منه لادارة حركة اعمالهم الاعتيادية . وازيد ايضاً من غير ان انسب الى الاطراء والتخلق الهيئة الحاكمة ان السبب فيما يهددنا من التسارع الى الافلاس ليس هو عدم الامن ولا هو من اختلال ادارة الاحكام واعمال العمال الذين تقصر اجراءاتهم عن ان تأتي مطابقة للدستور لان الامن الان هو فوق ما كان عليه بكثير منذ خمس وعشرين سنة ودليله اتساع دائرة الزراعة والصناعة والتجارة فقد زاد المزرع في البلاد وزادت حاصلاتها وتجاريتها وصناعاتها الى ضعف ما كانت عليه قبلاً ان لم يكن الى اكثر من ذلك . ويستحيل ان

تكون هذه الزيادة ما لم يكن الامن قد زاد ايضاً واما تقصير الحال فإياه يكاد يكون مسبباً عن نقص راس المال في البلاد لا سبباً له . نعم ولا انكر انه كان خيراً للبلاد لو لم يوجد مثل هذا التقصير وانه سبب ايضاً في قلة راس المال لكنه ليس سبباً اولياً بل سبب ثانوياً ويمكن ان يزول شيئاً فشيئاً مع زوال السبب الاولي وفقاً لما تقتضيه ضرورة الوجود

والخلاصة ان كثيراً مما يذكر انه سبب لتأخرنا وتسارعنا الى الافلاس اما ان لا يكون سبباً اصلاً او يكون سبباً ثانوياً لا اولياً وما لم نعلم السبب الاولي ونسعى في ازالته فلا يرجى لنا نجاة مما نحن صائمون اليه . وعندي ان السبب الاولي انما هو اسرافنا وتبذيرنا اولاً من حيث نحن افراد وثانياً من حيث نحن امة واليكم بيان ذلك ولو بمراجعة ما المعنا اليه سابقاً وانبدأ باسرافنا من حيث نحن افراد

راينا الحاجة الى العلم فكثير عدد المدارس عندنا ولكننا اسرفنا في النفقات على تعليم اولادنا لاننا لم نبقى لهم راس مال يستعينون به بعد خروجهم من المدرسة بل لم نبقى لنا اعني الآباء راس مال نستعين به على تحصيل مقتضيات العيش لا مالا في الجيوب ولا املاكاً تستثمر حتى باع البعض في سبيل ذلك او رهنوا بيوت سكنهم واي اسراف فوق هذا الاسراف كثرت اجور صناعنا فصارت ضعف ما كانت اولاً ولكن لم يجد علينا ذلك لان صناعنا اسرفوا في نفقاتهم على طعامهم وشرابهم وكسوتهم حتى اصحبت هذه اما تعادل اجورهم او تزيد عليها فترى الشاب منهم ينفق جزافاً على طعامه ولباسه ودخانه وشم هوائه كلنا هو من اصحاب الاموال الكبيرة فيأتي آخر الشهر او آخر السنة فاذا هو لم يذخر في كل سنته شيئاً راس مال يستعين به على

تحسين حاله بل كثيرون منهم يبقون عليهم ديوناً يماطلون بها
وليس الشاب المستخدم بارقي حالاً من الشاب الصانع لانك ترى احد
هو، لا في لباسه ونفقات طعامه وجيبه وترى مخدومه فلا يظهر لك من
نفقاتهما ايها الخادم وايهما المخدم بل قد تظن الخادم مخدوماً احياناً واذا
حدثت هو، لا فذكر لك ما ينفق على طعامه وشرايه وكسوته ونوع الدخان
الذي يدخنه ومقدار ما يدخنه في اليوم او ذكر لك ما انفق على شم هوائه
مع اصحابه (وقد لا يكون مبالغاً) ظننته ياخذ من الاجرة ثلاث مرات
او اربع مرات ما ياخذه حقيقة وما هي نتيجة كل ذلك ؟ انه يقضي ايام
شبابه مفلساً وربما يموت كذلك واما ابناء المدارس واسرافهم في النفقات على
لباسهم وجيوبهم فامرهم اشهر من ان يذكر ولقد اصبحوا مضرب مثل في
الاسراف والتبذير وهم لا يفطنون

وعلى ذكر الطلبة اراني مضطراً الى ذكر المعلمين اي خدمة العلم ومربي
العقول ومهذي الاخلاق ومثال الحكمة والروية ولكن كيف نجد هو، لا
الافضل اقل اسرافاً هم من الطلبة ؟ انا لا استطيع ان اجيب بالايجاب
بل اقول بكل اسف انهم = وان كنت لا تجد في المئة منهم عشرة ينام
احدهم مطمئناً في انه اذا توقف عن العمل شهراً واحداً لا يحتاج الى مساعدة
الآخرين = هم مع ذلك مسرفون يتطلعون الى التأنق في الملابس والمساكن
والمظاهر الخارجية كأن احدهم رب الالوف من الجنيهات وتظهر امراته
واولاده في مثل مظهره ان لم يزيدوا عليه وندران يموت احدهم غير فقير
ويترك اولاده غير عالة

دعونا من المعلمين والطلبة واصحاب الحرف والمستخدمين بل دعونا من

الطبقة الوسطى من اهل الصون والسترة عن اخرها . مساكين جميع هو لا .
فانهم يبدأون بالحياة ولا راس مال . معهم ويموتون واكثرهم لا يتركون شيئاً
الا الدين وان كان جزئياً == واولاداً في الغالب عائلة على ذوي قرباهم . ولنا تني
الى اصحاب الاملاك والعقارات فان هو لا زادت املاكهم وعقاراتهم
وزادت مداخيلهم ايضاً ولكن ماذا انتفعت البلاد من تلك الزيادة وهم في
نهاية شوطهم تراهم اصبحوا وقد اثقلتهم الديون حتى كادت تستغرق كل
املاكهم ومقتنياتهم وما لذلك من سبب الا الاسراف في النفقات والخروج
عن خطة الفطرة الى التقليد في كل شيء تقريباً ومباراة اصحاب الملايين
في اوربا واميركا

بقي علينا التجار والصيارف وهم من تنسرب اليهم اخيراً فضلات اموال
البلاد او ما بقي من هذه الفضلات التي انفقها اهلها جزافاً على كل شيء
اجنبي . ماذا صار لهذه الاموال التي هي عمدة نجاح البلاد وعلى نسبة
الموجود منها يكون حالها من القوة والضعف والتقدم والتأخر ؟ اباقية هي على
ما كان ينبغي ان تكون ؟ واسفاه ان ما سلم من اسراف المتوسطين واصحاب
الاملاك والعقارات لم يسلم من اسراف التاجر والصيارفة الذين استغوتهم
البورصة فاضاعوا فيها اغلب ما كان ينبغي ان يذخر في البلاد ويستخدم في
انماء الزراعة والصناعة هذا هو دأؤنا اي الاسراف وهو السبب الاصيل في
مسارعتنا من حيث نحن افراد الى الافلاس والخراب

ولو نظرتم الينا من حيث انا مجتمع وامة لرأيتم الاسراف قد بلغ فينا
مبالغه لاننا كأمة قدمنا نفوسنا واعتبارنا لنفوسنا فاصبحنا نحتقر كل ما هو
وطني ونصرف عنه ونعظم كل ما هو اجنبي ونقبل عليه وقد اسرفنا في الامرين

كل الاسراف حتى امتنا صناعة البلاد والجانا الصانع اما الى المهاجرة واما الى الخمول والموت فقراً وشاهدي قريب فني اسالكم رجلاً ونساءً انلبسون ايها الرجال من منسوجات الشام وحمص وحماه والزوق ام تلبسون ايها السيدات من حرائر البلاد المنسوجة على انوال بيروت والشام وطرابلس والاستانة ؟ ماظن احداً منا يجيب بالايجاب بل بدأ كثيرون من متأنقيننا على ما المعنا ان يأمروا فتخط احذيتهم وانوابهم في باريس ولندن وغيرها من المدن الغريبة استكباراً للصناعة اولئك واحتقاراً لصناعتنا مع ان الفرق هنا مما لا يعتد به بين الصناعتين وهذا منتهى الاسراف ومنتهى الصغار ايضاً وضعف النفس في الامة

ايها السادة والسيدات داؤنا الاسراف والتقليد الفارغ وهما السبب الاول في تسارعنا الى الافلاس والخراب ولا يوقفنا عما نحن مسرعون اليه الا الاقتصاد وترك التشبه والتقليد فان لم تقتصد ايها الطالب في نفقاتك بقدر ما تستطيع افيت راس مال ابيك وتركته لا يستطيع ان يأتي بعمل بعد ذلك للقيام بنفقاته ونفقات بقية افراد عائلته وتركت نفسك بالضرورة ايضاً ولا خيرة لك الا المهاجرة والاغتراب حيث تصرف قوس عقلك ونشاط شبابك في غير بلادك وتخدم غير نفسك واهلك وانت لا تدري

ان لم تقتصد ايها المستخدم والصانع في لباسك وطعامك ونفقات جيبك ليتأتى لك ان تدخر في كل سنة شيئاً تعده راس مال لمستقبلك بقيت طول عمرك مستخدماً وصانعاً واورثت بنيك الفاقة والمذلة او اضطرت الى الاغتراب والمهاجرة وهيئات ان تكون هناك اكثر من خادم او صانع تخدم غير ذويك وتستصنع لغير بلادك واهلك

ان لم تقتصدوا يا اصحاب البيوت في نفقاتكم من صغيرها الى كبيرها
بقيتم على ما انتم عليه تعللون النفس بالأمانى والاحلام الفارغة او تشكون
الدهر وانتم تزجون العيش تزجية واذا افضى احدكم لا سمح الله الى المذلة
والفقر فلا تلومن الا انفسنا على سوء تدبيرنا وعدم اقتصادنا

ان لم تقتصدوا يا اصحاب الاملاك والعقارات الكبيرة فلا تأمنوا مغبة
الدين وان تنتقل املاككم وعقاراتكم الى ايدي غير ايديكم او غير ايدي بنيتكم
ولا تكون مع الايام الا ايدياً اجنبية اقدر منكم على ادارة الاملاك واعرف
بسبل الاقتصاد والارض لله يرثها النشيطون المقتصدون

ان لم تقتصدوا يا تجارنا وصيارفنا ان لم نتوقوا اشراك البورصة وتهربوا
منها هربكم من الافعى جررتم انفسكم الى الافلاس العاجل وجررتم البلاد
باسرها معكم الى الخراب والدمار والخلاصة ان داءنا الاسراف ولا ينجينا من
الافلاس والخراب المتسارعين اليه الا الاقتصاد وقد بذلت لكم نصحي وما
انصح الا لنفسى واهلى والسلام

== تَهْدِيبُ النَّفْسِ ==

== لَجْرُجْسِ افندي هَام ==

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجَسْمِ إِنْسَانُ
النَّفْسِ لَهَا بِحُكْمِ الْمَعْلُوبَةِ عَنْ مَبْدَعِهَا الْعَلِيِّ خَاصَّةً الْوَلُوعَ بِالْمَعْرِفَةِ وَالتَّدرِجَ
فِيهَا تَرْقِيَا إِلَى الْكَمَالِ لَأَنَّهَا نَسَمَةٌ مِنْهُ تَعَالَى قَدْ اسْبَغَتْ عَلَى هَذَا الْجَسْمِ قِيَمًا
عَلَيْهِ وَمُدَبِّرًا لَهُ فِي تَعْمِيرِهِ وَتَسْيِيرِهِ وَتَخْيِيرِهِ . وَهِيَ لَا تَزَالُ تَهْفُو مِنْ وَرَاءِ
حِجَابِهِ شَوْقًا إِلَى التَّبَسُّطِ فِي الْمَعَارِفِ وَتَحْنُ إِلَى مَبْدِئِهَا وَعِلَّتِهَا حَنِينُ الْغَرِيبِ
إِلَى الْوَطَنِ

وشهد ذلك ما نراه في نفوس الصغار ففهمنا تشق عن ميلها هذا بما يزعموننا به من الالحاظ علينا بالمسائل مما نحسبه بوادي فضول وهو في الحقيقة هوادي تنبه = ثم اذا شب اولئك الصبية واصبحوا رجالاً بملكون امور نفوسهم يشتد ارتياحهم الا استعمال احوال ما حولهم من الكوائن . ولا سيما اذا خلا ذرعهم من الهم والاهتمام بحاجاتهم البدنية فانك تراهم اذا ضمهم مجلس يتعدون طورهم فيناقش بعضهم بعضاً من مسائل علمية وفلكية حتى في ما يتعلق بما وراء الطبيعة . وكلامهم لا يخرج في الغالب عن الحدس والرجم في الغيب . ولا يخفى ما في ذلك من لوايح الالتفات ولوامع الشوق من النفس رجوعاً الى اصلها وعملاً بالخاصة التي فطرت عليها

ومن هذا القبيل الوله الذي يأخذ كثيراً من العلماء في التنقيب عن الحقائق او في السعي وراء مطالب من المطالب فيستولي على الرجل منهم طرف من الهوس فلا ينفك عن دراسة مطلبه والبحث فيه سنين لا يثنى عنه حتى يدرك الغاية منه فيكشف عن كنهه ويجلو غامضه ويسفر اجتهاده في الاعم الغالب عن اختراع صناعي او علمي او عن تمهيد السبيل الى واحد منهما . وما ذلك الا هوى النفس يولعها بالعمل وبعثها على الامعان فيه تشوقاً الى استطلاع الحقائق

واغرب من هذا وذاك في ميل النفس ما يحصل لها احياناً عند انسلاخها عن المدارك البدنية من ادراك الغيب ومطالعة ما تتشوف اليه مما وراء الطبيعة وهي قد يقع لها لمحة من ذلك على غير قصد عند ما تنخس عن الحواس الظاهرة الى الحس الباطن وقت الرقاد . فاذا حصل لها ذلك بالمحاكاة والمثال كان ادراكها للغيب ضعيفاً يفتقر الى التعبير كالا حلام وقد يكون اقتباسها للمواقفات

قويًا فيحيي خالصًا من المثل والخيالات فلا يحتاج الى تفسير كالروى
 فقد بين مما قدمناه ان الولوع بالمعرفة والرغبة في تهذيب النفس التي
 تدفعها الى تحصيل تلك المعرفة هما عاطفتان كائنتان في المرء لا يتم ولا يحسن
 ظهورهما فيه الا اذا بلغ اشده واصبح عقله كاملاً هادياً الى سواء القصد
 وسبيل الرشـد . وعند ذلك تكون قد انقضت ازمان الدرس فيغادر المدارس
 حراً في رأيه ويخرج الى العالم متصرفاً في شؤونه نفسه بتذرع اليها ويتحكم
 فيها ويصلح ما اختل منها حرصاً على حفظ الذات وحسن المصلحة = على ان
 الدارسين لا تستوي انظارهم بعد المدارس في هذا المعنى . فمنهم من يرى زمن
 الجـد والتحصيل قد انقضى فيتوقع ان يشرف من بعده على مغاني الحرية
 وترشف كؤوس اللهو والمسرات . ومنهم لا يصدق متى تنحل ربة المدرسة
 عنه حتى يشتغل بالتاجر ويصرف همه الى احراز النشب . ومنهم من بطمح
 يبصره الى الرتب والمقامات السامية . ومنهم من يحترف حرفة مدنية على
 حسب ما تحذوهم اليه طباعهم حتى اذا انتظمت احوالهم واستقامت سبل
 الكسب لديهم اقمدهم مصالحهم المعاشية والرضى بما حصلوه من العلم عز
 السعي في طلب المزيد

غير ان العاقل منهم يخرج الى العالم فلا يلبث ان يعتبره مسرحاً للافكار
 ومجالاً للبحث والاستبصار فيستأنف فيه الدرس ويتقصى البحث عن الحقائق
 ويشرف على الحكمة فيلقياها من وراء الدأب على العمل والصبر على مشاق
 المثابرة والتنقيب . ويرى انه كان بالامس يتخرج على اسانذة اختارهم له
 ولياؤه اما الآن فلا بد له ان يستخير اسانذة لنفسه بنفسه . كان بالامس
 يتجرع المعرفة غير مخزار والزمان ييسم له تارة ويكلح اخرى والان اصبح

رجلاً يفكر افكار الرجال ويعمل اعمالهم فلا بد ان يصرف جانباً من وقته لاستصلاح نفسه وتوسيع مداركها فلا يقصر نظره على الجوامد الصامتة ونواميسها بل يصبو الى الوقوف على اخبار نوابغ الرجال يبحث عن الاخيار وعواطفهم والحكماء وحكمهم والابطال واعمالهم لياتم بهم ويستف بسنتهم ويتحدثى اعمالهم . وهو مع ذلك يظل قريباً من كوائن الطبيعة يناجيها وئناجيه لا تشغله حرفة عن عمل الخير ولا عرج العروج في سلم الكمال الانساني فينهض بنفسه وبوطنه من مطارح الجهل والحسار الى ذرى المعالي والفخار

ومعلوم ان للانسان وجوداً مادياً هو هذا البدن الذي به يشارك سائر انواع الحيوان . ووجوداً مديناً ينشأ من اجتماعه مع ابناء نوعه للتعاون على القيام بحاجات المادي . ووجوداً معنوياً هو الحياة الانسانية الحقة التي تقوم بتغذية النفس بالمعارف وتحليتها بالفضائل . فالتهديب بالعلم هو غاية النفس واليه تنزع = وما احراها به لانها له خلقت وبه تحيا وتدرج في معارج الكمال . ومقام المرء من الجدد والعلو هو حيث يجعل نفسه من سلم العلم والتهديب

كُلُّ لَهُ غَرَضٌ يَسْعَى لِيَدْرِكَهُ وَالشَّمُّ يَجْعَلُ إِذْرَاكَ أَلْعَى غَرَضُهُ
ومن يترعرع ويشب ويستقل بامور نفسه فيقتصر من دنياه على ان يغدو صباحاً الى عمله الذي يرتزق منه ويعود مساءً قانعاً بما يكسبه من المال وليس له من وراء ذلك غاية يسعى اليها فانه يبخس نفسه حقها ويحيط من قدرها فتذوي حياته المعنوية ويكون مصداقاً لقول الشاعر

اذا المرء اعينته المروءة يافعا فطالها كسلاً عليه عسير

اما العاقل فانه يتنبه الى منزلة نفسه فيغذوها بالمعارف قضاءً لحقوقها عليه
وحرصاً على منزلتها الرفيعة التي جعلها الله بها . بل العاقل الشهم من يجعل
غرضه تهذيب نفسه يرقىها في العلم ويزينها بحميد الاخلاق لا طمعاً في الشهرة
بل شفاءً لعليلها من المعرفة ولا رغبة في توفير الاصدقاء بل ليكون هو نفسه
صديقاً لكل انسان

ذاتك احفظ وتفقه واعتدل . واحي للناس ليحيى الناس لك
العاقل الشهم من يغلي نفسه ولا يرخصها فيترفع بها عما يشينه من
ضروب الملاهي والملاذ ويتجافى عنها تجافيه عن الألم . لأن اللذة والألم
تقيدان النفس بالبدن فتسلبانها الحرية وتعيقان العقل عن العمل
فمن شاء ان يكون زينا في جسم الانسانية وعونا على ترقى الامة والوطن
فلا بد له ان يعتقد فضل هذه الغاية وسمو شأنها اعتقاداً صادقاً ثابتاً وبهم
بها هيام المحب بالمحبوب ويحرص عليها حرص الشحيح على الاصفر الصحيح
ويقتن بها افتتان الشاعر بجمال المناظر

غير ان الترقى لا يكون الا من سبيل الاجتهاد فيذبني ان نحشد له جيوش
الهمم ونرهف غرار العزائم ثم تقدم على العمل لا نرهب خطراً ولا نقدم
حذراً . وتهذيب النفس وترويضها عمل يلوح في باديء امره قليل الجدوى
داعياً الى السامة فان الشاب يجد في سبيله زماناً ولا تحلوه ثماره وبدأب
في المطاعة والبحث وهو لا يرى من وراء ذلك نجاحاً ولا فلاحاً . فلا بد له
مع ذلك من مواصلة السعي والاعتصام بحميل الصبر فقد جعل الله سبحانه
وتعالى ادراك الغاية من وراء عقاب المصاعب شأن كثير من المطالب
فالشاعر مثلاً لا تحصل له ملكة قرض الشعر الا بعد الهيام به والانكباب

عليه ومعاناة انظم زماناً . والرسام لا يفوز بالبراعة وخفة اليد في التصوير
الا بالتمرس عليه سنين طويلاً . والعقل الطف مخلوقات الله فلا يطمعن
احد منكم ايها الاعزاء ان يبلغ به مبلغاً عزيزاً من العلوم وجانباً وافراً من
الكمال الا بعد طويل الممارسة والاجتهاد في التحصيل

وكثيراً ما يعرض للساعي في هذا السبيل ما يضعف عزمة ويثبطه عن
المسير كأن يخالجه الريب في وجه الحكمة من تهذيب النفس الذي يقتضي
هذا العناء المتواصل . ويسوقه وهن العزيمة الى الكفر بغايتنا فيسأل نفسه
منكراً = لماذا افني الحياة في طلب ما ليس من ورائه جاه ولا غنى لماذا اترك
الملاذ الحاضرة واسعى وراء الخيالات = بل لماذا افارق السواد الاعظم في
مساعيهم وغاياتهم . الى مثل ذلك مما ظاهره مغامز على غايتنا ولكنه في
الحقيقة مغالطات ناجمة عن كلال الهمة والطمع في الباطل . ولو كان ادراك
المعالي سهلاً لتوفرت بيننا كبار الفضلاء وتكاثر الحكماء وازدحمت الابطال .
على ان الطريق حرجة لا يطرقها الا كل مقدم ثابت ولا يظفر بالغاية الا
من وطن نفسه على الصبر وحبسها على الجد . ومثل المجتهد مثل الصديق
الذي يحيا بين الناس حياة الفضيلة وقلة مجذوب الى العلى يسمع الحق
يناجيه فهو بين الناس وليس بينهم او كمثل المحبين المفرقين لا يحلم احدهما
الا بلقاء الآخر

على ان الكد المتواصل في اعمال الفكر امر شاق فمن يتوفر على تهذيب
نفسه حتى يصبح له ذلك شغلاً شاغلاً لا بد ان يقصد في انفاق قوته البدنية
لان الافراط في ذلك يضعف الادراك ويذهب بنور البصيرة . ويسقم
المشاعر وهي موارد المعرفة للنفس فتلتوي مداركها . ولذلك لا يستقيم امر

التهذيب ولا يتقوى العقل به الا اذا كان شاملاً لاحوال الانسان في بدنه
 ودينه وعقله لان العقل الصحيح في الجسم الصحيح . واذا لم بالبدن سقم
 او بالايان ضعف جاء التهذيب ملتويا قليل الجدوى . فلاسترسل مع
 الشهوات البدنية آفة كبيرة للعقل وقد تشدحتي ثقل ثباته وتطني شعله ذكائه
 والعلماء الاعلام الذين تقدمونا في هذا السبيل فرفعوا شأن الامم الخوالي
 في الشرق قبالاً ومهدوا سبل التمدن والحضارة في الغرب هذه الايام لم
 ينتهجوا خطة واحدة ولا سنوا قوانين يأمن بها المجتهد ضياع اوقاته ومجاوزة
 الحد في عزمه بل كان كل منهم يشرع يبحث ويعمل من حيث يرى وينتجج
 لنفسه منهجا يسوقه اليه الطبع ويرشده اليه مقتضى الحال . ولكنهم جروا
 جميعا على التقصي في البحث والامعان في ادراك كنه ما يطلبونه . ولذلك
 كان كل منهم يقاب فكره في موضوع بحثه ويقابل ويتروى وبطالع ويكتب
 وكلما طال الزمان به على هذه الحال توله قلبه بطلبه واشتد ميله الى الاغراق فيه
 كان ذكرت الفيلسوف الفرنسي يعتبر ذاته كائنا مفكراً وسعى سعيا
 متواصلاً في تهذيب نفسه وترويض قواه العاقلة بغية ان يجلو غامضا او يحرر
 مشكلاً او يحقق مظنوناً او يكشف عن نافع يعود على الناس بالخير . ولم يدر
 في خلده ان يعمل شيئاً رياء ولا سمعةً ولذلك كان يتحاشى في السير الذي
 نشره من مصنفاته كل ما يؤدي الى نباهة الذكر والشهرة بين الناس . ونعم
 المبدأ الشريف مبداه . فان محبة الحق امارة فارقة يمتاز بها من كان صادق
 العزم في تهذيب نفسه عن سواه . ولذلك يستكشف من الدعوى انفةً
 واستكباراً ويرى الابتهاار عاراً . ينبذ القشور جانباً ويمرر لباب المعارف .
 يكره التلفيق والترميق في الاعمال ويميل الى الاجادة والاثقان لا طمعا في

في استحسان الناس ولا ابتغاء المكافأة ولكن استئناً بسنته الذاتية التي اخطأها
لنفسه . فن الافكار الصحيحة كالمباديء القويمية غايتها مقصورة على نفسها
لا تتخطاها الى المثوبة ولا الى حسن الاحدوث

ومن اخص الذرائع لارهف عقل الدارس بعد المدارس ولتوسيم مداركه
الملاحظة والمطالعة والكتابة . واريده بالملاحظة رعاية الشئ بعين البصيرة
فان بين النظر الى المحسوس والنظر فيه علاقة وثيقة . لان المرء لا يقع بصره
على شئ حتى يحيل فيه فكره ويتأمله = والفتى اذا شاقته الطبيعة فخرج الى
الأرباض يرسل رائد الطرف بين الرياض . او انحدر من الانجاد فربض في
بعض اهضام الوادو خير الماء يحدوا اياتق فكره بين انضادها واخاديدها يقارن
بين عهودها ماضيها وآتيها ومشهودها = فان ما يستفيدة من هذه المراقبة
والملاحظة لأجدي من مطالعة الاسفار نفعا وابهج في القلب وقمعا . فضلاً
عما هنالك من اعتياده على التنبيه الى ما يقع تحت نظره وجعله قيد بصيرته .
ولذلك ترى اذكى الناس اباً واصفاهم ذهنأ في الغالب من ترعرع وربى
قريباً من الطبيعة في صرود الجبال وقد تمكن من مناجاتها ايام صباه على مثل
ما قدمنا الاماع اليه

فالملاحظة هي المشرعة التي نستقي منها اوائل المعرفة . ولا تزال ركناً مهماً
للعلوم في الاكتشاف والاختراع عند اهل البحث والتحقيق . فملاحظة نيوتون
للتفاحة ساقطة تولد منها ناموس الجاذبية التي تربط دقائق الاجسام في
اسلاكها وكواكب السماء في افلاكها . وملاحظة المريكز الانكليزي لبخار
الغلاية يدفع غطاءها ساقطة الى التنبيه لقوة البخار ثم استظهر العلماء عليها
فكان منها هذه المنافع الجليلة التي تتمتع بها . وملاحظة كلفان لأشلاء

الضفدع لتشنج كانت داعياً الى البحث ثم الى الفوز الباهر على القوة
الكهربائية العجيبة

والحاصل ان الفطن اللبيب هو من يقارن بين الاشياء فيرسل عليها
من ثاقب ذهنه نوراً يكشف له عن وجوه التشابه بين المختلفات ووجوه
الاختلاف بين المتشابهات . بل الفطن اللبيب من يتنبه للملح الترنوك الحقيق
كما يروعه مشهد الملك الكبير . وعندي ان من يرفع بصره الى القبة الزرقاء
وهي حالية بنجوم الدجى ولم يتخذ فكره من حالك دجاءها صبحاً نيراً . ومن
تبوح له عيون الازاهر بسائر الجمال ولا يحوك في صدره لحاظها . ومن
يجوب القفر ولا يتخذ من وحشته لنفسه انيساً ليس الا ضعيف الحس كليل
البصيرة ان استجدى الاسفار فلا تجديه او استهدى الانوار فلا تهديه . ولكن
الحصيف العقل اللطيف الادراك اذا جالس الكتب يقعد منها مقعد المسترشد
يتحرى مختارها فيجعله له عتاداً يستمد منه ما يزيد لبه سناءً وحكمة وفؤاده
ثباتاً ونشاطاً . ويعلم ان ما يطالعه انما هو نسيمات فم الموءلف تشف عن
دقيق اغراضه ولطيف معانيه

واست اريد بالمطالعة هذه الحركة الظاهرة من قلقلة الشفاه وتبع
السطور بالاحداق والقلب بعيد والفكر شريد . ولا القراءة الاعتيادية
للافاصيص والروايات التي جل ما يتوخاه القاري منها اما اضاءة الوقت التي
يسمونها بالتسلية واما حفظها والتحدث بها . ثم يغادرها بعد ان ينفق عليها
الساعات وهو كما كان لم تزده فطنة ولا راضت له لباً . وما احرزه منها انما
هو معرفة تافهة لانه لم يعن في القوص على درر مغازيها ولا قارن شؤونها بها
ليتخذ منها عبرة لنفسه او يستفيد حكمة استصلاحاً لاحواله

وعندي ان المطالعة ينبغي ان تستيقظ فيها كل قوة من قوس العقل للعمل . فالقاري المتأمل يتناول الصريح من المعاني والحفي الذي يجيء من عرض الكلام ثم يقابل ويستدل ويقايس ويحكم وبذلك تتمثل في ذهنه الاغراض التي يريدتها الكاتب بأجلى بيان . بغوص القاري المتأمل على دقيق افكار المصنف ويهيم معه في اودية تصوراته ويفرع شعاب احكامه ومناحيه ويضطرب بما يجده من لطيف كناياته وروائع اساليبه . واذا كان ما يتصفحه تاريخاً يتخيل اليه انه قائم بين اولئك القوم يتجهم الاخطار مع الرجال ويصول صولة الابطال في مآزق القتال او يطيب نفساً بمشاركة من عاشوا على عهد الخليفة ابي جعفر مثلاً في الاستمتاع باسباب الترف والرفاهة وعناية الولاة في كيف المظالم وحفظ الحقوق ويدهش مما يشاهده بعين الايمان من استفعال العمران ووفرة المصانع في المدائن فتأخذه لذلك عبرة مما كانوا عليه وما صاروا اليه

على ان الاسفار كالرجال اي صناديق مقفلة يعسر الوقوف على مكنوناتها من اول نظرة اليها . وقليل منها ما يحوي غداء للنفس وهذا النزر اليسير الحافل بالفوائد لا يفتح ابوابه لمن بطرقها اتفاقاً غير عامد قاصد الى ذخائره . وكما انه لا يعرف قيمة السلاح الا بطل الصدام والكفاح كذلك لا يدرك تلك الاسفار الا اولو الالباب الذكية

واني لا انكر ان للعلوم الطبيعية فوائد عديدة في تسهيل سبل المعاش وتوفير اسباب الرفاهة . ولا تزال معيناً تندفق منه المنافع الجمة على الانسان في مصانعه ومزارعه وسائر احواله المعاشية . وقد استوفيت ايها الطلبة الالاء حظاً جليلاً من اصولها واصول غيرها من العلوم العصرية فلا يجعلكم

ان تقفوا عند الحد الذي انتهتم اليه في هذا المعهد العلمي وانتم تعلمون ان
 الجهابذة البحث وابطال العلم في الاقطار الغربية كل يوم فتحاً جديداً ونصراً
 مجيداً . وقد وفقتم بحوله تعالى فحصلتم على مسكة حسنة ترجعون اليها في
 اللسان العربي والفرنسي وكلاهما حافل بالمجلات العلمية التي ينشر فيها ما يستنبط
 من الاصول الجديدة ويستحدث من الفروع المزيده وذلك لا مندوحة لكم
 عنه مهما كانت مناحيكم من وجوه المعاش توسيعاً للمدارك ومجارة لاهل
 العلم . ويقاس على ذلك الاسفار والمجلات التي تتعلق بالصنائع والاعمال التي
 هي من ضروريات العمران فلا بد للطبيب مثلاً من ادمان البحث وتكرار
 المراجعة للوقوف على احدث الآراء في المعالجة وصدق الاقوال في مفاعيل
 العقاقير الى غير ذلك مما يلابس مأخذه . وكذلك المهندس والمدرس والتاجر
 والصانع فان كلاً منهم لا يفلح ولا يمتاز بفنه الذي اصطفاه وجهة لكسبه
 وذريعة لمعاشه مالم يكن راسخ القدم فيه عاكفاً على التوسع والاحاطة باطرافه
 ولست انكر ايضاً انه لا يخلو سفر من فائدة وان في كل راس حكمة
 ولكن ما ادعوكم اليه واحضكم عليه هو امر اسنى من تحصيل المعارف والتوسع
 في العلوم انما هو تهذيب النفس بانارتها بنور الحق وتزيينها بجمال الادب
 وترويضها على عمل الخير فيعيش المهذب لا لنفسه فقط بل لجنسه ويكون في
 حياته الجنسية مجيداً وفي حياته الشخصية سعيداً . والاسفار التي اشرت اليها
 هي ما تسمو بمطالعها فتكسبه هذه المنزلة السامية فيجني من ثمار اوراقها ما يزيد
 وجداً في مجالي الحق وهياماً في جمال مجيا الطبيعة

وافضل الاسفار التي توقظ الهمة وتشحذ غرار العزيمة ما شتمل على سير
 كبار الرجال وتاريخ الامم الراقية في العمران . لأن التاريخ يرفع المطالع

الى حضرة هولاء الافاضل فيشاهد ما بالغوا اليه من العز ورفعة الشأن .
يسمع خطباءهم الذين سحروا الالباب ويتجلى له من تضاعيف سطوره دها .
اهل السياسة ويرافق القواد الى معامع الحروب . وبهذا الاحتكاك المتواصل
لا يلبث ان تطير شرارة كهر بائيتهم الى جنانه فتوقد بها جمر ذكائه وتضرم
نار حميته فيبصر بنورها نبالة مقاصدهم وينحون نحوهم في الاقدام ويتجدد في
خدمة الوطن ويتحلى بفضائلهم من محبة المجد وصدق النية في اثار المصلحة
الوطنية

ومن الاسفار المعروفة بهذه المزية كتاب سر النجاح للعالم صموئيل
الانكليزي . وقد ترجم الى اللسان الطلياني فاقبل عليه الشبان والكهول
وطائفة الصانع والزراع والعالم والفقيه فانهم قوام واحيا آمالمهم . وقد شهد
احد وزرائهم ان الكتاب المذكور نهض ببلاده نهضة من دونها غر ببلد
بظلمهم ومحررهم الشهير . ومنها كتاب سر تقدم الانكاز لادمون ديمولان
الفرنسي قارن فيه هذا العالم بين احوال امته العظيمة واحوال الانكاز فحكم
على امته بالتخلف عنهم واثبت ذلك وابان اسباب التأخر ثم استنفرهم الى
ملافاة الامر ففروا معه ونهضوا نهضة واحدة الى الاصلاح وكلاهما منقول
الى اللغة العربية ومفرغ في قالب صريح صحيح . الاول منهما مطبوع في
مطبعة المبشرين الاميركان الافاضل في بيروت . والثاني في القطر المصري
ومن اعون الذرائع لتهديب النفس الكتابة . قال الفاضل باكون
الانكليزي ابو الفلسفة الحديثة ادنى فوائدها لمن يعانها صحة الفكر والبيان في
التعبير . وقال الصديق اوغسطين افادتني الكتابة امورا جملة لم اكن
استفيدها من سواها . وهي فوق ذلك تكسب الكاتب الصبر والثبات وذلك

بما يتعمده من اطالة البحث في ما يتوخى الكتابة فيه ومن اعادة الكرة بعد الكرة
للنظر في تنقيح ما كتبه تنزيهاً له عن شوائب الركاكز في تركيب اللفظ والسخافة
في تحرير المعنى

واذا عمد احدكم فاشرع سنان البراع في ميدان الكتابة فقد تضيق في
وجهه مذاهب الكلام في اول الامر وتخونه الذاكرة فلا يجد ما يدونه . او
اذا جرى شوطاً في التعريب لا يبالغ شأواً بعيداً حتى يأخذه البهر فيقف
يائساً مدهوشاً من جهود قريحته وعجزه عن تمثيل صور المعاني وافراغها في
القبالب التي تليق بها . وربما عاود الكرة فيلقي ما لاقاه اول مرة . فلا يبتسر
عند ذلك ولا يثني عزمه عن موضوعه بل ينبغي ان يبالغ في التشمير له ولا
ينفك عنه حتى يستظهر عليه . تلخيصاً كان ما يكتبه ام تعريباً ام تصنيفاً .
واذا تم له الظفر مرتين او ثلاثاً فلا يلبث ان تتسع لديه مذاهب البيان وتتمهد
امامه سبل التعبير ويصبح له دربة حسنة تستحكم فيه حتى تصير ملكة راسخة
بطول المزاولة ويعود اثرها على نفسه بالحدق وشدة العارضة

نقبوا وبالغوا اذا عن اخبار كبار الرجال في بطون التاريخ = عن
البلغاء الذين اوتوا الحكمة وفصل الخطاب = عن الابطال الذين جاهدوا في
سبيل العلم والفضل ورفعوا عماد العدل = عن اهل الاستنباط والتحقيق
الذين انقادت لهم قوات الطبيعة صاغرة = عن كبار المتمولين الذين تأثلوا
العقار وحشدوا الدينار وانفقوا الكثير مما احرزوه في سبيل الخير والعلم
والاحسان = عن ذوي الانقان والاحكام من الصنائع والزراع الذين بفضل
اجتهادهم ترفت الصناعة والزراعة = واذا وجد احدكم في نفسه ميلاً الى
خطة من هذه الخطط ورأى الزمان موافقاً فليقدم عليها بكل عزمه ويصرف

اليها همه و ينهج مناهج الذين تقدموه ونبغوا بها . فان ابواب الترفي والاستنباط
والاكتشاف لا تزال مفتوحة لكل عامل نشيط ولا سيما في بلادنا
هذه الايام

الا وانكم في ايام امل فتنشطوا . والزمان يبسم لكم عن مجيد المستقبل
فقدموا ولا ترهبوا . ورثتم عزة النفس عن اجدادكم فلا تردوها الى القليل
ولا تذلوها . وقد اكلتم مدة التحصيل في العلم واخذتم للعمل عدته فاطلقوا
اعنة همكم لتأثيل مجدكم ولا تثنوها او تظفروا باكليل النصر وحميد الذكر
الذي بقي مدى الدهر
وقل من جد في امر يحاوله واستصحب الصبر الا فاز بالظفر



آلهة السوريين

لجرجي بك ديمتري سرسق

عربها عن لوسيان احد متأخري فلاسفة اليونان وقد افنتحها بترجمة
هذا الفيلسوف فقال

ولد لوسيان في مدينة سموسطة^(١) نحو سنة ١٢٠ للميلاد وكان ابوه فقيرا
فاعتنى خاله بتعليمه صناعة النحت ثم عدل عنها الى وكالة الدعاوي في محكمة

(١) هي المسماة الآن ممسباط قرية على ضفة الفرات من نواحي قضاء حصن

منصور في متصرفية ملاطية من ولاية معسورة العزيز سكانها ٨٠٠ نس

انطاكية وبعد حين تركها وتجوّل في آسيا واليونان وغاليا وإيطاليا وكان يلقي خطباً في تلك الامصار ولما بلغ الاربعين من عمره عكف على العلوم الفلسفية واشتغل بالنقد مساريء معاصريه وفي سنة ١٨٠ فوض اليه مرقس اوريلوس ولاية قسم من مصر وتوفي سنة ٢٠٠ وقد بلغ الثمانين وترك كتابات عديدة لم يزل اكثرها محفوظاً حتى الآن وقد احببت ان اتحف قراء العربية ببعض فوائدها فابتدي بملخص رسالة له سماها آلهة السوريين وهي عبارة عن قصة رحلته له في سوريا قال

من مدن سوريا بلدة ليست بعيدة عن القرات تدعى هيارابوليس اي المدينة المقدسة لانها مخصصة بعبادة الآلهة يونون الاشورية وانا اصف هذه المدينة وما كانت عليه من الفخامة والعظمة وابسط الكلام في العبادات والاحتفالات الدينية وتقديم الذبايح نقلاً عما تلقنته من الكهنة مع ما شاهدته عياناً

نحن نعلم ان المصريين هم اول من شاد الهياكل للآلهة وبنى حولها الاسوار وعني بالاحتفالات الدينية وفرض الصلاة وعنهم اخذ الاشوريون والى الآن لم يزل في سوريا هياكل تضاهي هياكل المصريين في قدمها وقد شاهدت اكثرها منها هيكل هرقل في صور وهو غير هرقل الاغريقي فهو اقدم منه ويسمى هرقل الصوري . ومنها هيكل عظيم للصيداوين قيل انه مخصص بعبادة عشتروت^(١) واخبرني احد كهنة هذا الهيكل انه مخصص

(١) الالهة الفينيقية بن السوريين وهي رمز الى السماء والكواكب وقد ذكرت

في التوراة وهي عند اليونان الزهرة

عبادة اوربا^(١) اخت قدموس^(٢) ابنة ملك اجنور^(٣) قيل انها كانت بارعة في
الجمال فهم بها جوبيتر فاخذت منها بعد ان استحال الى ثور وذهب بها الى اكرت
ولذلك كان الصيداويون ينقشون على دراهمهم صورة اوربا ممتطية ثورا هو
جوبيتر . وقد رأيت في بيلوس^(٤) هيكلًا عظيمًا على اسم فينوس الجبيلية
يحتفلون فيه باعياد يكثر فيها شرب الخمر والانهماك بالملذات اكرامًا لادونيس
او تموز وزعم اهل جبيل ان ادونيس انما جرحه الخنزير البري في بلادهم
لذلك يحتفلون كل سنة باعياد يقرعون فيها صدورهم ويذرفون الدموع
ويخلقون رؤوسهم كما يفعل المصريون يوم موت ايس^(٥) ويتجولون من مكان
الى آخر لابسين الحداد ثم يقدمون هدايا المأتم الى معبودهم كأنه ميت وفي
اليوم التالي يزعمون انه قام من الموت وصعد الى السماء

ويخرج من جبل لبنان نهر اسمه ادونيس يصب في البحر يستحيل ماؤه
في كل سنة دماء يصبغ قسماً عظيماً من مياه البحر وحينئذ يلبس اهالي جبيل
اثواب الحداد لاعتقادهم ان ادونيس جرح في لبنان في مثل هذا اليوم ولذلك
سمي النهر باسمه . هذا هو الاعتقاد الشائع عندهم الا ان احد الاهالي ذكر لي
تعليلًا آخر لهذه الحادثة الغربية اقرب الى الصواب قال ان نهر ادونيس

(١) ورد في المتبولوجية (خرافات اليونان) انها ابنة ملك الفينيقيين احبها جوبيتر
فاختطفها وذهب بها الى البلاد التي دعت باسمها «اوربا»

(٢) قيل انه ابن ملك فينيقيا ارسله ابوه لينشد اخته اوربا لم يجد ما بقي في
بلاد اليونان وبني مدينة ثيبة نحو سنة ١٥٨٠ ق م ويظن انه هو الذي ادخل الحروف
الفينيقية الى اليونان

(٣) ملك فينيقيا نحو سنة ١٥٦٠ ق م

(٤) جبيل

(٥) من اكبر آلهة المصريين كانوا يعبدونه على شكل ثور سموه ايس

ينبع من سفح لبنان المشرف على البقاع ويخترق هضابه بين صخور وتربة
زنجفرية تنسفها الرياح التي تعصف في ايام معلومة وتلقيها في الماء فيتغير لونه
وعليه لا يكون الدم سبب هذه المعجزة كما يزعمون بل التراب واذا صح قوله
فلا بد ان يكون سبب هبوب الرياح في ايام معلومة من فعل الآلهة . وعلى
بعد يوم من جليل هيكل قديم العهد موقعه عند منبع ادونيس شيدته
سينيزاس " الزهرة

واعظم هياكل سوريا واضخمها بناء واجملها شكلاً هيكل هيارابوليس
المقدم ذكرها وفيه من المصنوعات النفيسة والهدايا القديمة العهد والتماثيل
البديعة الصنع مالا يفي الكلام بوصفه منها تماثيل الآلهة التي ترشح ابدانها بالعرق
وتتحرك وتنبئ بالغيب ويسمع لها في الغالب صوت والميكل مغلق . وهذا
الميكل اغنى جميع الهياكل التي شاهدها لان النذور ترد اليه دائماً من بلاد
العرب وفينيقيا وبابل وبادوكيا وكيليكييا واشور . والذي انفصل بي من
من اخبار هذا الميكل وقدمه اقوال متناقضة اشهرها ان مؤسس هذا الميكل
هو دكاليون السكيثي الذي حدث الطوفان العظيم على عهده . ويروي
الاغريق عنه ، اخلاصه ان نوع الانسان الاول افسد في الارض وكثرت
شروره فانقصت الآلهة منه بالطوفان ولم يسلم الا دكاليون وعنه نشأ نوع
الانسان الحالي وكان دكاليون صالحاً صنع فلകاً عظيماً وادخل اليه امرأته
واولاده ووضع فيه من الحيوانات اثنين اثنين وكفتها القدرة الآلهة عن
ان يضر بعضها ببعض . وسكان هيارابوليس يوافقون على ذلك ويزيدون

(١) ورد في الميثولوجية انه كان ملكاً على قبرس تزوج بابنته وهو لا يعرف انها
ابنته فحملت منه وولدت ولداً هو ادونيس

عليه ان الماء نضب بان انفتحت في بلادهم هوة عظيمة غاضت فيها المياه التي غمرت وجه الارض فخرج دكاليون من الفلك وبني فوق هذه الهوة هيكلًا على اسم الآلهة يونون وقد شاهدت تلك الهوة فاذا هي صغيرة ولست ادري لعلها كانت من قبل كبيرة . واهالي هيارابوايس لا يزالون الى الآن يحتفلون بتذكار هذه الحادثة مرتين في السنة فيذهب الكهنة والسور يون والعرب حتى الشعوب الساكنة في عبر الفرات الى الشطوط البحرية فيأخذون من ماء البحر ما استطاعوا حمله ويأتون به الى الهيكل ثم يصبونه فيه فيجري الى الهوة

على ان الهيكل الاصلي قد تهدم بمرور الزمان والهيكل القائم الآن هو من بناء استراتونيكس ملكة الاشوريين هو مبني على اكمة في وسط البلد يحيط بها سوران احدهما قديم والثاني حديث والى شمالي الهيكل اروقة مسقوفة فيها التماثيل التي نصبها الاله باخوس علوها ٤٨ مترًا و ٦٠ سنتيمترًا يصعد الى قمة احدها رجل مرتين في السنة فيبقى ٧ ايام عاكفًا على الابتهاال الى الآلهة لتفيض بركاتها على بلاد سوريا ويزعم بعضهم ان ذلك يجري تذكيرًا لهرب الناس من الطوفان الى قمم الجبال وعبادة لدكاليون . وداخل الهيكل سور يصعد اليه على سلم والدخول اليه غير محظور على احد اما المقدس فلا يدخل اليه الا الكهنة المقربون المنوطة بهم الخدمة المقدسة وهناك تماثلاً يونون وجوبيتير وهما من الذهب مثلت في احدهما يونون جالسة على الاسود وفي احدى بداها صولجان وفي الثانية مغزل ورأسها محاط باشعة وعليه تاج فيه حجر ثمين يسمونه النبراس لانه يضيء في الظلام حتى يخيل ان الهيكل منار بالمشاعل ولا يرى من ذلك في النهار الا تأنق ضعيف . ومما في هذا

التمثال من العجائب انك تراه بنظر اليك اني تحولت فاذا وليت عنه تبعك بنظره واذا نظر اليه شخصان رأي كل منهما ما يراه الآخر . اما تمثال جوبتير فيمثله جالساً على الثيران وهو لا يختلف عن تمثاله في غير هذا الهيكل . وبين هذين التمثالين تمثال اخر من الذهب قيل انه تمثال سميراميس بدليل ان على رأسه تمثال حمامة من ذهب وهذا التمثال كانوا ياخذونه مرتين في السنة عند ذهابهم لاغتراف الماء من البحر كما تقدم

واجتزيء عن الكلام على سائر التماثيل المصنوعة بوصف ما هو اغرب واعجب اي الوحي فهو في اليونان ومصر وليبيا واسيا لايقع الا للكهنة والعرافين واذا بدأ ابولون السوري بالوحي اضطرب على عرشه وتحرك من تلقاء نفسه فاذا لم ترفعه الكهنة حالاً نئدى بالعرق وزاد اضطرابه فيحملونه على اكتافهم وبطوفون به حتى يحضر الكاهن الاعظم فيلقي عليه مسائل مختلفة فان لم يستحسنها الاله ارتد الكاهن على اعقابه وان استحسنها اذن للكهنة حامله ان ان يتقدموا به وبذلك يحصلون على الوحي بما يترتب عليهم عمله في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر احوالهم الشخصية والدينية وما يكون في مستقبل سنتهم من الحوادث

وكهنة الهيكل كثيرون بعضهم يذبحون الذبائح واخرون يسكبون الخمر واخرون يحملون المشاعل وقد رأيت نحواً من ٣٠٠ كاهن آتين للذبيحة بشباب بيض وعلى رؤوسهم اللبود ورئيسهم ينتخب منهم في كل سنة وهم يسمونه حبر الاحبار وهو وحده يلبس الارجوان ويضع على رأسه تاجاً من الذهب ويوجد كثيرون من العازفين بالقيثارة والمزمرين والخصيان والنساء العابدات وربما احتفلوا بالذبيحة مرتين في اليوم . اما الذبيحة التي تقدم لجوبتير

لا سيما حيث لا ادب وافر يكبح جماح النفس ويدمث الخلق ولا علم صحيح يرقى العقل ويوسع المدارك . ولا شبهة في ان الوهم لم يزل رائد معظم الافكار والاغترار قائد اكثر الاعمال وجل بني الناس بعمهون في دياجي الفساد والضلال . على ان اصوات المفتكرين والباحثين والمصلحين قد بحت لكثرة ما تشكوا من تكرار السفسطات وبرهنوا على فسادها واندروا بسوء معادها ونادوا بنبذها حتى انه لم يبق اعذار واضحة للتشبهين بالاوهاء والاوهام بعد ان تشرق عليهم شمس الحقائق وتستنير بها منهم الازهان . وقد ازداد في الكون العاملون على خدمة البشر وتعزيز الانسانية وازدادت وسائل الراحة وبواعث الهناء ولكن سوء التفاهم ما برح رفيع العماد يورث الخلق مخاصمات اقل ما يقال فيها انها تحزن الارواح وتذيب الاجساد

حقيقة لا ريب فيها ان كل ما ساء تفاهم الناس تخاصموا وكلما تخاصموا ازدادوا شقاء . وكأنه لا يكفيهم ما يترصدهم من العناصر والامراض ويتعرضون له من المخاطر والنوائب ويعانونه من الاتعاب في جهاد الحياة حتى يوجدوا بعضهم لبعض اسباب منازعات كثيراً ما تتصل بهم الى ما لا تحمد عقباه فيجعلون من الحبة قبة ومن الكلمة كتاباً ويدعون بحقوق وهمية وحجج اوهمي من خيوط العنكبوت ويعملون على تأييد ما يتوهمونه حقاً جميع الوسائل التي منها ما يورث اضراراً جمة فيؤججون نيران المخاصمات ويبعثون العداء ولا يجنون غير العناء والشقاء . وما هو الا قليل من سوء التفاهم يوري الزناد ويبث جرثومة الفساد

تبدو من شخص ما حركة غير مقصودة فيخالها الآخر موجهة اليه فيبني على انقاضها العلالي والقصور ويجسمها في مخيلته ويعظمها حتى نترى له

حقيقة لا ريب عنده فيها فيعمل على مقابلته بالمثل ويكيل له الكيل كيلين
وذلك يتوهم ما توهمه هذا ويعمل عمله فتستعر بينهما نيران البغضاء وتنمو
جراثيم الحقد ويتصلان الى المنازعات والمشاجرات وكل يستميل اليه حزباً
من آله واصدقائه ومعارفه ولا تسل اذ ذاك عما تأول اليه حالة الحزبين من
الشروع والاضرار . كل يعد على الاخر انفاسه ويترصده كل حركة تبدو منه
مهما كانت صغيرة وبلا قصد معهود ويؤول كل ما يسمعه عنه ويراها منه
خابطاً في دياجى الاهواء والغايات خبط عشواء ايغاراً للصدور واثارة للشحناء
سعيّاً وراء الارتواء من يتابع الانتقام اشباعاً لمطامع النفس وحيوانيتها اللذاعة
الفتاكة الهائلة

على هذا النمط يجرى في الكون حوادث مكدرة لا تحصى اثير الاشجان
وتشقى الانسان يخالها السامع لاول وهلة من نتائج التناقض في الاراء والمذاهب
وثمار التنازع في المصالح والمارب وما هي عند الباحث المحقق غير صدى ثوران
العواطف اثر سوء التفاهم ليس الا . فجدير بمن يتوهم البغض في احد ويخاله
عدوآله ان يبحث مدققاً عن مسببات ما يترأى له منه واسبابه ولا يتسرع
في حكمه عليه علّ ان يكون لسوء التفاهم اصبعاً في الامر كما يكون غالباً
فيهمون عليه استطلاع باطن الحقيقة ويتنصل من تبعة سوء الظن ولا يدع
مجالاً للنزاع . وحرى بالتولين فض المشاكل وحسم المنازعات وتنظيف
القلوب من ادران البغض والحقد ان يوجهوا انظارهم في البدء الى استئصال
جراثيم سوء التفاهم وايضاح الحقائق للتباغضين تسكيناً لثوران عواطفهم
وصداً لتيارات انتقامهم وازالة لما التبس بينهم الحكم عليه والافسدت
عواقب مساعيهم ولم تجد نفعا موءيداً

العجلة سبيل الندامة غالباً والحكم على مظاهر الناس غير مصيب سيء
 بعض الاحيان وليست جميع افعال البشر واعمالهم صادرة عن هدى وتعقل
 وقصد مخصوص بل معظمها ابن الخاطر يصدر بداهة دون تروّ وامعان وتعمد
 وارادة حرة . واختلاف الاهواء وتناقض الاميال وتباين الاخلاق والمآرب
 وتضارب الاراء فالمعتقدات والمذاهب كل ذلك يعد مجالاً فسيحاً للمغالطات
 والسفسطات ويمهد سبل المباحكات والمنازعات . وغير خاف ان الانسان
 اذا لم يستنر بضياء العقل السليم ويسترشد بارشاد نبراسه الوسيم سيء في جميع
 حركاته واعماله الادبية والمادية او في معظمها على الاقل نخطاؤه اكثر من
 صوابه واقرب بما لا يقدر والعكس بالعكس

فبناء على هذا ينبغي التأمّني والحذر وحسن العناية في ابراز جميع ما يخطر
 في البال الى حيز الوجود وموضع العمل اخصة ما يحتاج في الاذعان من
 المقاصد الخاصة اثر وقوع ما يوههم غير ما يبطن تفادياً من حدوث ما لا يرضي .
 اما اذا القي الكلام على عواهنه ونقلت الاخبار على علائها ووقعت الحوادث
 دون استدراك فلسوء التفاهم اذ ذاك اوسع مجال ويعقبه التخاصم لانهما
 ولما كان بين الناس كثير ممن على شاكلة ما ذكرنا فلا يعرف بعد ذاك اين
 تستقر اقدام الخصام

ان الضعف الطبيعي المعهود بالانسان يجعله غير اهل لان يحاسب على
 هفوة ويصده عن بلوغ قمة الكمال بافكاره واقواله واعماله . فعبثاً يتطلب المرء
 الكمال من بني جنسه وعبثاً يناقشهم حساب كل ما يشوههم مؤذياً له وغير
 لائق به ما داموا على هذه الحال وطالما له من نفسه مالمهم وعنده ما عندهم
 فلم ترقب حركاتهم والوقوف لهم بالمرصاد ؟ ان الباحث المدقق في حاجات

الامم ولوازم هيئة الاجتماع ومقتضيات العمران يرى ان من اخص واجبات
الهيئة التساهل والتسامح وغض الطرف عما يبدو بعض الاحيان من الصغائر
وسد جميع ثغور سوء التفاهم والا امست الهيئة عبارة عن محشر نزاع
ومستقر خصام

قال بعضهم * الاعمال بالنيات * ويصدق هذا القول خصوصاً على من
لا يتدبر بالامعان نتائج اعماله من مقدماتها ويتبصر بالعواقب قبل الشروع
فيها . ولكم ممن يقدمون ولا يستعدون ويفعلون ولا يفكرون وينوون النفع
بفعل ما ولا يلبث ان ينقلب نفع عملهم هذا الى ضرر محض وكم وكم . . .
وكم من رزايا يجلبها المرء على نفسه بافكاره واقواله واعماله دون ان يدري ويقصد
فاذا لم يعامل الناس بعضهم بعضاً بتساهل وتسامح وولاء واخاء ويرغبوا
عن اساءة التفاهم والسفسطات ويتأنوا باعمالهم ويمعنوا الفكر قبل التكلم ساء
مصيرهم وتعبوا وشقوا

وما الطف من اذا راى من اخيه غير ما يعهد به ان يتحل له اكثر من
عذر واحد النقاء شر سوء التفاهم وضناً بالصدقة والسلام
« واعقل الناس اعذرهم للناس »



✽ في التاريخ ✽

لجرجي افندي بني

انه لغني عن البيان ان الانسان يميل طبعاً الى معرفة علل القضايا ليحسن
سيرها ويصيب رايه فيها فلذلك وجب علينا الاشارة الى مبدأ عالمنا قبل
الخوض في موضوع هذا الكتاب فنقول وبالله التوفيق

ان في كينونة هذا العالم وزمان ابداعه خلافاً بين العارفين فمنهم من يقول بصحة رواية الكتاب المقدس مطلقاً ومنهم من يتوسعون في ذلك فيوقفون بين الكتاب والآراء العلمية على ان ما ترجح عند قوم ان موسى النبي اخذ كتاباته عن اقوال اخرى سابقت زمانه ربما كان ادراجها بالوحي وان العدد الاول من الاصحاح الاول من سفر التكوين ينبيء عن ابداع الكون باديه بدء بيد ان العدد الثاني من الاصحاح المذكور يفصل زمان ايجاد الكون في المدة المتأخرة عن ذلك البدء وان زمن الابداع لم يكن من ستة آلاف سنة فقط لانه لا يخفى ان تركيب الصخور المرجانية في البحار والادوار الجيولوجية المستطيلة الظاهرة اثارها في طبقات الارض ومبدأ وصول النور السديبي واكتشاف الانجم البعيدة كلها ادلة تؤيد ان ابداع الكون كان منذ الاف من السنين على ان وجود الانسان لم يعرف قبل الزمن المجهود اما ما يتعلق بواجب الوجود عز وجل فهو امر لا يتخلله شك رغماً عما يتشدد به الجاحدون لان من المبادئ الطبيعية وجود علة لكل معلول فالمادة الغازية التي يزعم بعضهم بسبق وجودها قبل الخليفة السادة عنها هي لاشك مخلوقة من الله تعالى ومعلولة منه ورواية وجودها وتعميم الكون من مادتها محكية في الكتاب بما يشابهها حيثما قيل ان الارض كانت خاوية خالية

وحسب الكفرة ضلالاً بقولهم ان ابداع المادة من ذاتها وليس من علتها الازل قول العلامة مونتسكيو الفرنسي في هذا الصدد ما ترجمته ان الذين يقولون ان صدفة محضة قد برأت كل المواد التي نراها في الكون انما هم في ضلال مبين لان اية ضلالة اعظم من الاعتقاد بابداع الصدفة المحضة مخلوقات عاقلة . (١٥)

فلما غدت الارض مكنونة بيد خالقها وقد اصبحت كرة تدور في عالم
الفضاء على محورها محفوظة بعناية خالقها ومقيدة بسلاسل الجاذب ثنائرها
نواميس غير متغيرة امر بارئها فكانت نظاماً لا تتخطاه وقد اعد فيها كل المواد
الضرورية للانسان امر به فبري باراً بسيطاً على ما رواه نبي الله موسى
فلما خلق الله من ضلع ادم امرأة هي حواء اولد الزوجان البنين والبنات
فكثر النسل وازداد العدد فانتشر الناس في البسيطة على ان سرعة الانتشار
واختلاف الهيات وغيرها من الظواهر دعت البعض للاعتقاد بان البشر
كانوا ابناء اكثر من اب واحد وانهم وجدوا متفرقين في انحاء العالم لكن هذا
الاعتقاد مخالف لنص الكتاب وادلة اخرى لا محل لا يراها . اما اختلاف
الهية والجنس فليس الا نتيجة كروار الايام وتأثير المناخ والعادة والظروف
الفاعلة . ولما خلق الله الانسان ونفخ فيه نسمة الحياة حياه عقلاً ونطقاً
فميزه بهما عن مطلق الحيوان على ان هذه الهبة الالهية موجودة في الانسان
على اختلاف درجات سنه فهي صغيرة في الصغار وكبيرة في الكبار وقد يكون
العقل كبيراً فيهم وهو غير مجلى بمجلاة التهذيب والادب واجمع الناس على
ان المنطقة والظروف والاداب يدا في اجلاء العقل وثقيفه فاخذ الانسان
بالنقدم تدريجاً على ان بديهية الادراك كشفت للبشر عن مجلاة العقول
وبالنسبة ظهرت الوجود اسرار المعقولات فرتع الانسان بالخير والعمران
ان كثيرين من البشر يميلون بصوالهم الخصوصية عن محبة الصواب
وبما ان العيال الاولى التي هاجرت ارض شنيعار بعد الطوفان كانت بالطبع
لا تخلو من افراد اهم بعض تلك الصوالح افضى الامر الى قيام مدبر يتراأس على
الجماعة ومع ان الانسان ما ولد الا حراً اقوت الطبيعة منذ الازل رئيس كل

عائلة ليتامرهما على أنه يحفظ بسلطته و سطوته فيها نظامها من الخلل ويصون
 لقيمتها من الظلم لكن كرور الايام وازدياد العيال جعل اولئك الرؤساء انفسهم
 يطلبون حقوقاً ربما كان مصدر اكثرها الطمع فافضى الامر بالانسان الى ان
 يقيد بشريعة تحفظ حقوقه وتردع ساليبها ولا بد لقيام تلك الشريعة من
 منفذين يقبضون باليمنى مهامها وباليسرى صوالحهم الخاصة على ان حرية
 الانسان المحضة قد اصبحت اسيرة العدل لان باجرائه راحة وحرية قامتا
 مقام تلك

وهكذا لما تمادى الانسان في شره وضره سن انفسه شريعة نقيه الظلم
 فطرح عنه بذلك رداء الحرية الطبيعية واصبح قابضوازمة الرياسة ومنفذو
 الشريعة بالتدرج وكرور الايام ملوكاً على اختلاف هيئات سلطتهم
 فمنهم من كانت سنتهم عادلة حرة ومنهم عادلة غير حرة ومنهم ظالمة
 محضة غير ان الامم اقامت تحت لواء كل من الحالات الثلاث فكانت احوالها
 متباينة عن بعضها واذا نظرنا الى التاريخ نظرة مختبر وبجشنا عن اسباب نهوض
 الامم وسقوطها يتضح لنا حالة السلطات المختلفة التي حكمت الكون منذ
 عرف تاريخ الانسان واعظم الاسباب التي ترتفع بالامم الى قمم التقدم
 والنجاح وتهدر بها الى حضيض التاخر والخراب محصورة بالاكثر في خمس
 حالات للصعود وثلاث للهبوط . اما حالات الصعود فهي . اولاً العصبية
 الدينية ومنشأها عن رغبة بانتشار الدين والتمسك الشديد بمبادئه ومثال
 الاول دولة العرب في الاسلام فان مجيئهم بحمية وبسالة الى بلاد سوريا وهي
 يومئذ رومانية شرقية وفوزهم على الرومان كان اساساً لاتساع نطاق الدولة
 وثبات اقدامها فان تلك الرغبة رافقت اعلامهم حتى بلغوا اطراف فرنسا من

جهة اسبانيا التي اصبحت يومئذ عربية . ومثال الثاني دولة الاسرائيليين فان بتمسكهم بعري الدين والايمان بالمواعيد بددوا شمل جموع فلسطين وغيرهم واقاموا لانفسهم دولة ثابتة الدعائم طويلة الامد . ثانياً الفوز الحربي والنظام الاداري كفتح كورش مثلاً مملكة مادي وفارس واخذها ثم ادارتها الادارة الحسنى والاستسارة جيداً في المصالح العامة وترسيخ اقدام الدولة بالسيف والعدل والرهبة او كتخلف العجم بالحمية على بلاد فارس واخذها او بترسيخ اقدام الملكتين الاشورييتين ومثالها كثير . ثالثاً تشيد الملك بالسيف والعلم والحكمة كمصر واليونان والرومان . رابعاً بالعدل والحرية ومثال الاول دولة الاسلام فان عدل ولائها وعلى الخصوص الراشدين من الخلفاء مما لم تنزل لتحدث به الركبان كقول امير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب وهو على المنبر . ان من راي منكم في اعوجاجاً فليقومه . وكاستواء علي في المحاكمة مع رجل من عامة الاسرائيليين وكأمره بهدم الجامع في بصري حوران وكان داراً للاسرائيليين جعلوه جامعاً وغير ذلك مما يفتخر العدل به

ومثال الثاني دولة الاسلام ايضاً وكفى بجواب واحد ممن سمع كلام الخليفة عمر وهو على المنبر شاهداً على عظم الحرية فان ذلك الرجل نهض من مكانه قائلاً لو راينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا فقال عمر اشكر الله الذي جعل من يقوم اعوجاج عمر بسيفه

وكذلك دولة الولايات المتحدة الامركانية فان الحرية احييت في عروفتها دم التمدن والعدل والانسانية فاصبحت في زمان يسير من اعظم الدول اقتداراً ورفعة وتمدناً

خامساً التجارة ومثالها دولة الفينيقيين الذي بلغت سعودهم درجة عليا

والتدمير بين الذين اصبحوا بعد يسير من الزمن يطمعون بمشاركة الرومانيين
في عظمة القيصرية

اما حالات الهبوط الثالث فهي . اولاً سوء الادارة وقلة الاحتراس
وفساد الاخلاق كالرومان مثلاً في سوريا فان سوء ادارتهم افضت بهم الى
فساد العمال الذين اضرروا بدولتهم اكثر من سهام المحاربين واخطأوا باستخفافهم
بالعدو ولم يحاذروه فعاء ذلك عليهم بالوبال والجللاء عن البلاد ولنا من مثال
فساد الاخلاق دول وامم كثيرة تبادت بتنعات الغنى والرخاء فكان مصيرها
الى الاندثار . ثانياً الظلم والشقاق فان ممالك كثيرة كالرومانية واليونانية
والعربية والفينيقية والمادية والفارسية وغيرهن كان خرابهن لما طرأ عليهن
من الانشقاق والتجزؤ

ثالثاً تواتر الحروب وتعاقب الدول تُتهدر بالبلاد الى دركات الوبال
وحسبك في ذلك برهانا سورية ومصر

لا جرم ان النسيان سليقة في الانسان على انه لو اقتدى البشر منذ
العصر الاولى بمحسنات سلفائهم ونبذوا قبائحهم لامسى الانسان منذ الاف
من السنين راتعاً برياض التمدن الصحيح بعيداً عن كل ما يشين الآداب
غير ان الشر من طبع الانسان فلا تكاد ترى حسنة في رجل الا والشر في
مئات وحكم الجماعة في هذا كيحكم الافراد ولذلك لم نر امة اقلقت محسنات
امة سلفت ونبذت شرورها بل ان امماً كثرت اخذت عن السلف كثيراً
من الفضائل والرزائل معاً

اما العدل فهو روح الوجود وسياج الملك وقوام الامم وقد انبأ التاريخ
برفعة الامم التي استظلت به وبانحطاط اللاتي خزلته والعدل قسمان خاص

وعام . اما الخاص فنسبة كل انسان الى قريبه وحق كلا الطرفين في ذلك وهذا امر طبيعي لان الانسان مندوب سليقة لاحقاق الحق لقريبه ومعاملته كما يجب ان يعامل على ان شر الانسان وشدة حرصه وطمعه تأبى العدل الخاص فتتولد الخصومات الكثيرة

اما العدل العام فغوث من مضه العدل الخاص وعليه يتوقف نجاح الامم وتقدمهم وهو مودع بيد تعرف بالحكومة فقد تحسن تلك اليد استعمال وداعتها فتأتي بين المساسين بذار النجاح والتقدم والادب والتقدم وقد لا تحسنها فتعكس النتيجة ولقوام عدل الحكومة مبدأ وهو الشريعة وهذه اما تكون مقدسة كشرائع الانبياء الكرام او مشترعة من ذوات لهم اليد الطولى بمعرفة ظروف المساسين وسبرها على العدل الصحيح واكثر هذه الشرائع عادلة على ان منها ما اصبحت عادلة تبعاً للظروف والمشارب فبات اتباعها مظهرًا للعدل غير ان لانفاذها يدًا ان لم تكن غريزية العدل فيها فقطعها اولى وهذه اليد هي اهل الحل والعقد الذين يرتدون جلباب الحكم لظهار العدل فمنهم من كان يحبه اما خيفة وعيد دينه ان ظلم لان اكثر الاديان المعروفة تحرم الظلم وتامر بالعدل . او لان الشعار الادبية تبعد الظلم ومن المذكورين قوم خلت ضمائرهم من كل صلاح فلا يعرفون الصالح العام حتى ولا اسمه على انهم يتخذون مراكزهم والحكم المودع بيدهم الات يتوصلون بها لصوالهم الخصوصية بهضم حقوق العباد فيفتحون اكف الخيانة للرشوة المعيبة ويحولون سبل الحقيقة فيجرون ذبول الويل والحرب على يوت الارامل واليتامى ويدوسون حقوق الضعفاء فينحدرون بتلك الامة الى التاخر والخراب والعباذ بالله

— الفراع مفسدة —

❦ كلمة للشبان وانسابات ❦

« لجرجي افندي زيدان »

قال القدماء « الطبيعة تكره الفراغ » يريدون فراغ المكان من المادة لانهم راوا بالمشاهدة والاستقراء ان ما يظهر للناس من الامكنة خالياً انما هو مملوء بالهواء لان الماء او غيره اذا صب في وعاء لا يدخله قبل خروج الهواء منه فعبروا عن ذلك بكراه الطبيعة للفراع . وهو رأي العلماء الطبيعيين الى اليوم وان اختلفوا في اسلوب التعبير . فالفراع مستحيل في الطبيعة لاننا لا نتصور مكاناً لا تشغله المادة = هذا ما يقال في المحسوسات وهو يطلق على المعنويات فالعقل او الفكر لا يخلو من امر يشغله . ولو اراد احدنا ان يصرف ذهنه عن امر مهمه انقل الفكر الى سواه اراد صاحبه او لم يرد . والانسان اذا تعددت عليه المهام اشتغل ذهنه باثقلها وطأة عليه او اشدها تأثيراً في نفسه . فاذا انفرجت هذه احتلت مكانها مهمة اخرى تليها في الشدة فاذا فرجت جاءت اخرى مكانها فاعرف . كأن المهام او المشاغل تترتب في الدماغ طبقات باعتبار اهميتها كما تترتب السوائل اذا تفاوتت اثقالها النوعية ولم تمتزج فتترتب طبقة فوق اخرى حسب تلك الاثقال فاذا انصرف اثقلها من اسفل الوعاء احتل مكانه السائل الذي يليه في الثقل وهكذا على التعاقب وقس على ذلك سائر ما يبلغ اليه علما من المحسوسات والمعنويات في الافراد والجماعات . والحياة حركة دائمة اذا عارضتها من جهة لا تقف ولكنها تنصرف الى جهة اخرى

فالفكر او العقل لا يقبل الفراغ اذا خلا من عمل اشتغل بسواه بمقتضى

المؤثرات على العقل او الوجدان فاذا لم تشغله الحسنات اشغل بالسيئات .
ولذلك قالوا « الراس الفارغ مغارة ابليس » فالعقل من شغل عقله بالنافع
خوفاً من اشتغاله بالضرار . وشغل الفكر هو شغل الوقت فالحكيم من احسن استخدام
اوقته واستثمار افكاره . والوقت كالعقار وهو مباح لكل انسان ولا يستثمره
الا من يهتم به . ومن فرغ ذهنه من العمل وجدت المفاصد الى قلبه سبيلاً
وقد لوحظ ان الجنود تكثر الفتن بينهم اذا فرغوا من العمل ولذلك رايت
الحكومة تشغل جنودها ايام السلم بامور اكثرها غير ضروري . ويقال نحو
ذلك في رؤساء الاحزاب السياسية وكبار المشرعين فانهم يشغلون اتباعهم
ومريديهم بفروض وطقوس اكثر المراد بها صرف اذهانهم عن الفتن بينهم
او التفكير بما يفسد قلوبهم على زعمائهم

وليس غرضنا النظر في ما ينبغي من الاعمال في كل ساعة من ساعات
النهار او في دور من انوار الحياة فان ذلك مما لا يسعه المقام ولكل انسان
عمل يتعاطاه للقيام باود الحياة ونما نريد النظر في ما ينبغي عمله في « ساعات
الفراغ » = وما ادراك ما ساعات الفراغ ؟ هي العقبة التي اذا تجاوزتها آمناً
ادركت بها السعادة والا فانها ذاهبة بك الى الشقاء وقد قلنا ساعات الفراغ
ولم نقل ساعات العمل لان هذه لا خطر منها على العامل وهو في شاغل عن
عثرات القدم واللسان وفي مأمن من شرك الشيطان . اما اوقات الراحة
فهي التي يجب الاحتراس منها لانها عقبة بل عقرب او هي بالحقيقة نحلة اما
ان تجني لك عسلاً شهيماً او تلسعك لسعاً قوياً . فكم من فتيان اغتصموا تلك
الساعات واحسنوا استخدامها فكانت سبباً في رفع شانهم ومحوراً اسعادتهم
واخرين اساءوا استعمالها فساءت حالهم وذلوا بعد العز وفسدوا بعد الصلاح .

فاحذر من يدك وعقلك ساعات الفراغ فانهما آلتان لا يرى الشيطان سبيلاً
اليهما الا حين خلوهما من المشاغل

❦ ماهي الراحة ❦

لا يتوهمن القاريء اننا نحرم الراحة على رجال الاعمال لان الراحة لازمة
للنجاح مثل لزوم العمل ولكن ماهي الراحة ؟ قد علمت مما تقدم ان الفراغ
محال فاذا افرغ الانسان من عمله الذي يرتزق به انصرف الى ما يرتاح اليه
من الالعب واسباب اللهو اما للعب بالنرد او البلياردو او الداما او غيرها من
الالعب في القهوات العمومية او لمجالسة بعض الاصدقاء لسماع الحوادث
الجارية او لمطالعة الجرائد او ان يتلاهى بالمعاقرة او المقامرة او غير ذلك من
وسائل اللهو . ومهما يكن نوع اللعب او التسلية فالعقل لا يزال عاملاً في
كل حال . فكيف يكون العمل العقلي سبب التعب وسبب الراحة معاً ؟ ان
الراحة لا تقوم بالكف عن العمل بل هي تقوم بتحويله او تنويعه فالعامل الذي
يقضي نهاره قاعداً ويدها تشتغلان انما يرتاح بالمشي وامساك يديه عن العمل
والتاجر الذي يقضى يومه مفكراً في تجارته يرتاح بتحويل افكاره من
التجارة الى شيء آخر كالمطالعة او بعض الالعب العقلية او البدنية . والمحامي
يرتاح بانصراف ذهنه عن المواضيع القضائية الى غيرها من الادبيات او
العلميات . والكاتب قد يتعب من الكتابة في موضوع رياضي فاذا انتقل
الى بحث اجتماعي او سياسي كتب فيه كأنه لم يتعب . وقس على ذلك
سائر المهن . فالتعب عبارة عن كل الاعضاء او مللها من العمل المستمر على
وتيرة واحدة وانما اللذة في الانتقال . وانفس هذا السبب يمل الانسان اي

حال من الاحوال اذا طال مكثها ولو كانت من اسباب السعادة . فالفقير يشتهي الاطعمة اللحمة وسائر الطيبات ويحسد الثايمين على الفراش الناعم والذين يكتسبون الذهب والحرير ويعد السعادة كل السعادة في الحصول على ذلك فاذا حصل عليه وطال تمتعه به مله والتمس سواء وقس عليه سائر الملاذ . فاللذة ليست بدرجة من درجات الغنى وانما هي بالانتقال مما يملكه الانسان الى ما يشتهي

فليست الراحة بابطال العمل وانما هي بتحويله من جهة الى اخرى او من موضوع الى اخر والناس يختلفون في طرق ذلك التحويل وهي النقطة الجوهرية التي نحول التفات شبابنا وشاباتنا اليها = اذا لم يكن بد من اشتغال فكرنا في ساعات الفراغ التماساً للذة والراحة فمالنا لانشغله بما يلذو يفيد ؟

خطر الفراغ

ليس عليك ايها الشاب خطر من ساعات العمل وانما الخطر كل الخطر من ساعات الفراغ فاما ان تقضيها في اماكن اللهو والبطالة فتجر عليك الوبال او تعمل عملاً نافعاً لك ولذويك وقد تقول ماضر لو قضيتها في اماكن اللهو وليس هناك ما يخافه ولا اناآت ما اخشى عاقبته . فاعلم ايها الشاب ان الذين تراهم الان وتهزأ بهم او تأسف لحالهم لما هم منغمسون فيه من اللهو وانواع المساويء والمنكرات انما بدأوا بمثل ما انت باديء به وقد اعتقدوا في انفسهم المقدرة على ملاصقة النار بغير ان يسهم منها شرر فما لبثوا ان قادتهم العادة وغرهم سيطرة السوء فجعلوا ينحدرون دركة دركة من القهوة الى البار فالبيرا فالبيرا الى ف... ف... وهكذا الى اسفل الدركات فساؤا مصيراً واصبحوا من زمرة الاشرار وهم

لا يعاينون على انهم لو ارادوا الرجوع عما هم فيه ما استطاعوا اليه سبيلاً فامسوا
يعضون على نواجذ الدم ولات ساعة مندم

لا تعتقد الكمال في نفسك فالانسان ضعيف يخشى عليه من العادة
اذا تسلطت وهي انما تتسلط بالتكرار عن غير قصد سيء = قد تذهب الى
اماكن اللهو في بادئ الرأي مسايرة لصديق او خوفاً من ان اتهم بالبخل
فتذهب وانت تعتقد فساد رأي الذاهبين وتزعم انك لن تحذو حذوهم وانما
تريد (مسايرتهم) وقد فانتك انهم كانوا مثلك وقد بدأوا بمثل عملك فاصبحوا
بما هم فيه وهم لا يشعرون

على انك لو تأملت حالهم لرايتهم انما يطلبون التعب لا الراحة واية راحة
يرجونها من السهر الطويل في معاقرة الخمرة وانفاق المال فلا يمضي نصف
الشهر حتى يمضي مافي الجيب وقد يكونون من ارباب الماهيات القليلة فينفقون
رواتبهم على ابناء السبيل واولادهم يشنون جوعاً تحسب ذلك راحة والاشغل
الشاقة احسن منه عاقبة

فربما كنت من اهل اليسار الذين افاض الله عليهم الخيرات ارباباً —
اذ لا يمكن ان تكون ممن كسبوا المال طارفاً والمال لا يناله الا المكدون على العمل
والمقطعون عن تلك الاماكن . فان كنت من اهل اليسار وهب انك تملك
مال قارون فانه لا يلبث ان يذهب ضياعاً وانت لا تدري وقد يقودك غناك
الى ارتكاب منكر هو اشر المنكرات بل هو آفة العمران الا وهو الميسر (المقامرة)
وعند ذلك فلا تستعظم ثروتك ولا تفرح بكثرة الابنية وتعداد الفدادين
واصغر مزارعك احسن حالاً منك . وكم من اولاد الثروة وابناء البيوت
الرفيعة العباد اصبحوا بعد برهة يستدينون اقواتهم من بعض خدمتهم وهم

لا يملكون شروى نقيض ذلك لانهم غرم غناهم فحسبوا العمل عاراً عليهم فسلموا
 زمام اشغالهم للغرباء واكبوا على ما ظنوه البقي باهل الثروة فقصوا ايامهم
 ولياليهم في الترف والبدخ واللهو فحسروا المال والصحة واشرف على حين ان
 الفقر لو ولدوا فيه لكان ستراً لهم ورادعاً لجميع تلك الشرور

فمن الحكمة والتعقل ان تجتنب استخدام ساعات الفراغ في مآسوء مغتبه
 من لعب او شرب في الحانات او القهوات او في المنازل وقد اصبح بعض
 المنازل في مدنا الكبرى لسوء الحظ مقامراً يجتمع اليها الشبان والشابات
 يقضون معظم الليل والنهار في تقلب الورق وتداول النقود وانتقلت هذه
 العدوى الى عائلات من خيرة العائلات ادباً وفضلاً رجالاً ونساء وفيهم
 جماعة من اهل الذكاء والعلم يزعمون انهم يقتلون الوقت باللعب للتسلية
 لا للمقامرة = فاذا كانوا لا يخافون على انفسهم من التورط الا يرون في ذلك
 خطراً على اولادهم وسائر اهلهم . واما ائذارهم باللعب للتسلية فمنقوض لان وسائل
 التسلية كثيرة وخصوصاً في المدن الكبرى وعلى الاخص بين المتعلمين
 والادباء واهل الذكاء كالاكتفاءات الادبية والمباحثات في الحوادث الجارية
 من سياسية او اجتماعية وفي ذلك ثقيف ولذة وفائدة . فاذا مل من الحديث
 فهناك العاب كثيرة تعرف بالاعاب المنازل على سبيل « الحزازير » ونحوها
 قد يشترك في اللعبة الواحدة عشرة او عشرون . وفي بعضها فضلاً عن
 التسلية فائدة لتوسيع العقل بدون تعب كالالعاب المبنية على الاسئلة التاريخية
 او الادبية او نحوها وكلها مشهورة بين العائلات . واذا وجد في الجلسة واحد
 يعرفها يكفي لقضاء السهرة بها . ولا يستحسن اللعب بشيء من الاعاب التي
 تشبه آلات المقامرة ولو معها كانت بسيطة لان لعب الورق البسيط او لعبة

شاكوش كومانيا او نحوها كثيراً ما يكون سبيلاً الى المقامرة وفخاً للاعبين
 او لاولادهم على الاقل . فالاحسن البعد عن ادوات اللعب والفرار منها
 والاقتصار على ما تقدم من الالاعاب المنزلية وهي كثيرة او المباحثات او
 المطارحات او المذاكرات على قدر استعداد الحاضرين . ونعرف شباناً في
 القاهرة والاسكندرية انفقوا من سهرات الكسل والرخاء التي تذهب بالوقت
 سدى فالفوا جمعيات بعضها ادبية وبعضها علمية . ومنها جمعيات تمثيلية اشبه
 شيء بالاجواق فبعضهم يؤلف الرواية والبعض الاخر يمثّلها وكثيراً ما عادت
 هذه الاعمال بالنفع المادي على الاعضاء فضلاً عن النفع الادبي . فما يمنع
 ان يشترك السيدات ايضاً في مثل هذه الجمعيات او ينشئن جمعيات لانفسهن
 يشغلن فيها بما ينفعهن وينفع الناس وبكفي ان يصرفن اذهانهن عن تلك
 الالاعاب الجهنمية

==* فائدة الفراغ *

على اننا لا نرضى منك وانت من شبان القرن العشرين ان تكتفي
 بتجنب شر الفراغ وانما وانت مسئول عن ضياعه عبثاً = ان ساعات الفراغ ذخر
 ثمين لمن يحسن استثماره ولتدبر سير رجال الاعمال والمخترعين لرأيت
 ما اتوه من اختراع او اكتشاف او مشروع عظيم انما هو من ثمار اشتغالهم في
 ساعات الفراغ . الم يمكن ردّ شرذ كرايت مخترع آلة الغزل ومؤسس معامل
 انقطن حلاقاً وكذلك كان تنردن قاضي القضاة وترنر المصور الشهير . فهل
 بالغوا ما بالغوه بغير استخدام ساعات الفراغ ان معظم العظماء نبغوا من اكواخ
 الفقراء بالجد والنشاط وما هما الا « العمل في ساعات الفراغ » فمن استخدم

ساعات الفراغ في ما ينفعه فهو النشيط المقدم الذي يرجي خيره . ولا
 يحقرن احد نفسه مها يكن فقيراً وانما الفقير الكسول ضعيف العزيمة ساقط
 المهمة . فقد نبغ من بين الفعلة غير واحد من المهندسين والشعراء ونبغ من
 بين البنائين بن جنسن لانه كان يقضي نهاره وملعقة البناء في يده
 والكتاب في جيبه يفتنم ساعات الراحة للقراءة فيه . وقام من بين البنائين
 ايضاً ادوردس وتلفرد المهندسان وهيو ملر الجيولوجي والآن كنهام المؤلف
 النقاش . ومن بين التجارين ايفوجونس وهريسن صانع الخرونومتر ويوحنا
 هنتر الفزيولوجي ورمني واوبى المصوران والاستاذلى البارع في اللغات الشرقية
 ويوحنا جبسن النقاش * ومن بين الحاكة سمسن الرياضي وباكن النقاش
 وفستر المؤلف وولسن العارف بالطيور والدكتور لفنستن الرحالة الافريقي
 وناهل الشاعر * ومن بين الاسا كفة السر كلودسلي شوفل امير البحر العظيم
 وسترجون الكهربي وصموئيل درو المؤلف وجيفرد محرر جريدة كورترلي
 رفيو وبلمفيد الشاعر ووليم كاري وموريسن المبشران وموريسن لم يكن
 سكا فابل صانع قوالب للاسا كفة

وقام من بين الاسا كفة توما ادوردس وقد درس جميع العلوم الطبيعية
 وهو يشتغل بالسكفة حتى اكتشف نوعاً من المتحجرات سمي باسمه * ونبغ
 من الحياطين يوحنا ستوا المؤلف وجكسن المصور واندر وجسن رئيس الولايات
 المتحدة * وكان الكردينال ولسي العظيم قصاباً ويوحنا بنيان تنكرباً
 وهلكرفت المؤلف سائساً وهرشل الفلكي الشهير كان يلاعب على المزمار
 فهو لا وغيرهم كثيرون نهضوا من الفقر الى الغنى ومن الجهل الى العلم
 باستخدام ساعات الفراغ في ما ينفعهم * فما جدر شباننا ان يقدوا بامثال اولئك

العظماء فيشغلوا فراغ اوقاتهم باكتساب ماينفعهم من صنعة اوادب او علم على ان يجعلوه لهوا في ساعات الفراغ بدلاً من لعب النرد او البلياردو او الداما او الورق او غيرها * وكما بينا من ارباب الصنائع الدنيئة هل يخطر لاحد هم اغتنام فرصة الفراغ لدرس علم او مهنة تغنيه عن صناعته * وقد يشق ذلك عليهم لاول مرة فاذا حملوا انفسهم عليه مراراً اصبح ملكة يلذون بها فلا يرتاحون الا اليها وانما السر في الخطوة الاولى فالحازم ان لم يكن فيه ميل للدرس عود نفسه عليه فما هو الا ان يحمل نفسه على ممارسته مراراً فيألفه ويصير ملكة فيه

كم بين ظهر انينا من شبان وفيهم التاجر والكاتب والصانع والفلاح والمستخدم في الحكومة وفي غيرها وكلهم يطلبون الرقي ويلمسون زيادة الكسب ولكن الساعين في ذلك من طريقه الحقيقي قليلون وكما ترى من الناقمين على الدهر العاتين على الزمان يندبون سوء الحظ يزعمون انهم مع ما خصتهم به الطبيعة من سمو المدارك والمهارة في العمل لا ينالون حظاً من حقوقهم واذا جالسهم او ماشيتهم لقيتهم يقضون ساعاتهم (وكلها ساعات فراغ) ينقلون من قهوة الى اخرى ومن بار الى آخر لا يعملون عملاً كأنما يريدون ان تهبط عليهم الثروة هبوط الوحي او تنزل عليهم الاشغال نزول المن والسلوى * واذا حادثتهم ملأوا اذنيك طعناً بالناس وامتهاناً لذوي اليسار بانهم اوتوا الثروة عفواً عن غير استحقاق على حين اننا لم نسمع بفقير اغتنى بغير كد وسهر ومثابة بنسبة نوع عمله وما اختص به من المواهب * ومن منا لا يضمن لهم النجاح اذا شغلوا اوقاتهم بالعمل والكد وهجروا اماكن اللهو وطائفة المستخدمين في المصالح الاميرية مطمح انظارهم الارتفاع في

الوظائف وقليولون الذين يؤهلون أنفسهم للارتقاء بدرس اللغات او العلوم اللازمة لتقدمهم * وقد يعتذرون عن تقاعدهم بضيق الوقت يعنون بضيقه انهم لا يملكون من فراغه الا ساعات قليلة في اليوم لا بد من صرفها في الراحة وقد قدمنا ان الراحة ليست بالكف عن العمل بل بتنويعه ومع ذلك فالدقائق القليلة مع التكرار تعمل عملاً عظيماً وانما يعوزنا المواظبة لان الساعات موءلفة من الدقائق والايام من الساعات . ان هذه الجبال الشامخة انما هي من بناء حيوانات صغيرة لا ترى الا بالمكروسكوب واهل المواظبة يستخدمون فضلات الوقت لعمل نافع غير مهنتهم فينفعون وينتفعون وقد يفعلون ذلك في اوقات لا تقدر لها قيمة = فان الدكتور مازون كود ترجم لكرتوس في اثناء تجواله بين مرضاه والدكتور دارون الف اكثر كتبه على هذه الطريقة والدكتور برني تعلم الفرنسية والاطالية في اثناء انتقاله بين بيوت تلامذته ليعلمهم الموسيقى وكرك هو ايت تعلم اليونانية في الطريق بين مكتبه ومجلس القضاء ودغسو احد مبشري فرنسا الف كتاباً ضخماً في الفترات على المائدة بين لون من الطعام ولون آخر ومدام دي جنلي الفت بعض كتبها في الدقائق القليلة التي كانت نقضها في انتظار الاميرة التي كانت تعلمها . واليهوبرث كان حاداً وتعلم في ساعات الفراغ من عمله ٣٨ لغة منها ٢٠ لغة حديثة و ١٨ قديمة

فالاعتذار بضيق الوقت لا يعتد به لان المواظبة تعوض عنه . وانما نحن في حاجة الى الارادة والعزم اكثر من حاجتنا الى الذكاء والفهم . اياك والتأجيل فانه آفة المشاركة وكم من اذكيا نهاء قضوا زهرة اعمارهم في التسويف والاهمال وترك الامور للنقادير والاكتفاء بالشكوى والعتاب .

فالمستخدم في قلم عربي مثلاً ويريد الارتقاء الى اعلى منه عليه ان يتعلم الانكليزية او الفرنسية او يتعلم الحساب او الانشاء او غيرها من العلوم التي تفنقر اليها المصالح الكبرى . وكذلك العامل في مخزن او ادارة او بنك او زراعة او صحافة او محاماة فليتنظر الى ما يعوزه للارتقاء ويدرسه في ساعات الفراغ فيغني نفسه عن مضار الملاهي وعواقبها ويحتفظ براتبه من الضياع فيها ويتعلم ما يفيد ويفيد وطنه

ويسرنا ان نرى بعض مستخدمي الحكومة سائرين على هذا النحو وبعضهم بعد ان قضوا عقداً من العمر في خدمة الحكومة لما علموا بما يهدد المستخذين من الرفق كل ساعة نخوفاً من ان يفاجئهم ذلك وهم في غفلة فلنقصرايديهم عن القيام باود حياتهم تراهم يقضون ساعات الفراغ في درس علم او فن يصح الاعتماد عليه في الارتزاق كالمحاماة او الطب او الصيدلية او صناعة من الصنائع الجميلة كالخفر والرسم والتصوير والموسيقى مما يركن اليه عند الحاجة واذا لم يطرأ عليهم رفق فانهم لا يخسرون شيئاً بل يقتصدون ما كان لا بد لهم من انفاقه لو قضوا تلك الساعات في اما كن اللهو فضلاً عما يؤانسونه في مطالعة تلك العلوم او ممارسة تلك الصنائع من اللذة التي لا تقاس بما يتوقعه اللاعب بالترد او الشطرنج او غيرها

على ان بعضاً من هؤلاء وهم من اسدقائنا قد خرجوا بذلك من القوة الى الفعل ومنهم من لم ينتظر رفق الحكومة فاستقال من منصبه وعمل بالعلم او الصناعة التي تعلمها وعول عليها فاكتسب اضعاف راتبه الاصلي فتعاطى احدهم المحاماة وآخر فن الرسم او التصوير الشمسي وآخر صناعة الخفر وآخر غير ذلك وقد اشتهر كل منهم بصناعته وهم الآن

يتعاطون تلك الاعمال وقدموها بها واستغنوا عن الخدمة بما اكتسبوه
ساعات الفراغ

حبيب الشابات والفراغ

هذا ما يقال في الشبان اما الشابات فالفراغ يضر فيهن أكثر مما يضر
بالشبان ولا سيما اللواتي قام في اذهانهن انهن انما خلقن للتبرج والتزين وتبديل
الازياء غير مباليات بما يجره ذلك عليهن وعلى ذويهن من الشر والفساد ونخص
منهن بنات الاغنياء اللواتي يربين في رغد وعز فيستنكفن من اقل الاعمال
فلا تمس ايديهن ادات من ادوات البيت لان ذلك في زعمهن "حطة بشأن
السيدات وقد خلقن للزينة لا يهمن امر ازواجهن او والديهن وما يقاسونه
في تحصيل الدرهم وهن لا يعرفن من امر النقص الا ما يدفعنه الى الموديسا
او بائع الاقمشة وقد لا يمسسن الدراهم بايديهن وانما يقصصن ويخطن والحساب
على رجالهن

واغرب من ذلك ان بعض ذوي اليسار يبالغون في ترفيه بناتهم وتأنيقهن
حتى يقيموا لكل واحدة منهن خادمة بل خادمت هذه تحضر لها القهوة وتلك
تقدم لها الطعام وهذه تشعل لها السكارة وقس عليه فمن كانت هذه حالها
وليس لديها عمل تعمله تشغل به عقلها او جسدها فما الذي ترجوه منها اذا
سبت وقد نمت فيها الشعائر ونضجت العواطف وهذه لا تبقى بلا عمل فاذا
كانت الفتاة في ابان شبابها ولا عمل لها تعمله او تتلاهي به افلا يكون في
ذلك خطر على سيرتها ولو مهما بالغ اهلها في حجابها

وما قولك بمن نقضي اعواماً طوالاً لا تشعر بما يدخل بيتها او يخرج منه
 من لوازم الطعام واللباس تاركة امره للخدم والجواري فاذا جاء الخادم آخر
 الشهر بجريدة النفقات وفيها انه انفق في اثناء ذلك الشهر خمسة قناطير من
 السمن مثلاً فلا تدرك حضرتها ان مثل ذلك القدر لا يمكن انفاقه على بيتها
 في خمسة اشهر ولو اتخذوا السمن للاغتسال وليس للطعام
 ومنهن من اذا رأت جارتها تخطيط رداء حريراً على زي جديد تنقم
 على زوجها اذا لم يجهزها بمثله ولو ان دخله في الشهر كله لا يساوي ثمن ذلك
 الرداء . واذا بحثت عن سبب ذلك الشرراية ناتجاً عن نقاعدها عن العمل
 لانها لما لم يكن لديها ما يشغلها ساعات النهار انقطعت الى الاهتمام بامر نفسها
 وصبغ وجهها وتحسين خلقتها بانواع التبرج نقضي سحابة يومها في التزين تنقل
 من امام المرأة الى الشرفة (البلكون) ثم تعود الى غرفة اللباس (التوال)
 فتبدل ثيابها وتعود الى الشرفة واذا حضرت حفلة انصرف فكرها الى ما تراه
 هنالك من الازياء الجديدة والتفنن بانواع الخلاعة وقد تكون تلك الزيارة
 سبباً لتفليس عيشها وعيش زوجها ولا سيما اذا رأت بين تلك الازياء زياً
 جديداً ليس لها مثله

فلو كانت ممن رين على العمل وعرفن قيمة الدرهم وتعودن الاهتمام
 بامور بيتن واولادهن فان همهن ينصرف الى الفضيلة القائمة بتدبير المنزل
 والاقتصاد بنفقاته وبدلاً من الافتخار بغلاء ثوبها تفخر بتدبير بيتها وتربية
 اولادها على الحشمة والنظافة ومطالعة الكتب المفيدة فتكون سعادة لزوجها
 وزينة لمنزلها وربما زينت ذلك المنزل بشغل يديها وليس في ذلك عار وانما
 العار اذا انفقت مال رجلها على البذخ في ملابسها وتركت بيتها وقد غشيت

انقذارة فتكون كلقبور المكسدة بيضاء من الظاهر وفي داخلها جيف ننة
ولواقتصر شرها على ذلك لكان خيراً ولكنها تكون قدوة سيئة
لأولادها فيشبون على ما تعودوه من الكسل والبطالة والاهمال ما لا تنزعه
تربية المدارس ولا يقلعه تعاليم المعلمين واكبر شرير ثونه منها سوء استعمال
ساعات الفراغ التي تقدم انها عقبة شديدة الخطر اما اذا تجاوزناها بسلام
فنصل الى مجبوحة السعادة



*** احكام الترجمة ***

✽ لجرجي افندي عطية ✽

قد يظن البعض من المشتغلين بالآداب ان الترجمة ليست بالشيء
الكبير اذ ليس للعجيد فيها فضيلة ابداع ولا مزية اختراع وانها مما يقوى عليه
كل من عرف شيئاً من لغات الاجانب وطالع جانباً من قواعد لغته واصولها.
وليس لهذا القول حظ من الصواب ولا يقوله الا من ياخذ الامور بظواهرها
ولا يتدبر الفرق بين جيد الاشياء وقبيحها بل ان من تبصر في مترجمات فحول
المعربين وفي غيرها مما يجيء به المتطفلون على هذه الصناعة ثم قابل كل فرع منها
باصله ونظر مقام الفروع من الاصول عرف ان المسألة ذات بال وفهم ان
التأليف هو اسهل مركباً وادنى مطلباً في كثير من المواضع من التعريب
الذي يلتزم معانيه ان يجيء بكلامه مطابقاً للاصل في اللغة المنقول عنها
وموافقاً لذوق اهل اللغة المنقول اليها فان لكل قوم مذاهب في القول
واذواقاً في الانشاء يختلفون بها عن سواهم

ومن هنا يتبين البعد بين الامرين لان المؤلف اذا زل فزله له وعليه
واما المغرب فزله يلطح بالجريرة من هو بري، منها .

وقد كثر المشتغلون بالترجمة في هذا العصر لشدة حاجتنا اليها ولكن
الحجيدين منهم نفر قليل وليس هذا الامر بغريب اذا اعتبرنا ان اكثر المترجمين
قد تكون بضاعتهم من العربية وآدابها مزجاة . ومما يزيد في الطين بدة
تسرعهم وعدم تدقيقهم في كثير من الاحيان . ونحن الآن مفقرون كل
الافتقار الى ان نأخذ عن الاجانب علومهم وآدابهم ونترجم عن لغاتهم ما نقص
عنه لغتنا وليس في ذلك عار علينا بل العار كل العار اذا وقفنا عند ما نحن
عليه الآن واستغنيا وما نحن في غنى ولكني رأيت كثيرين يشكون من
اغلب الكتب المترجمة قائلين ان في بعضها من التعابير ما لا يفهم له معنى
قطعيًا وان كثيراً منها ركيك يفسد ملكة القاري . وعلى ذلك فما الفائدة
من نقل الشيء بعد اضاعه رونقه وتشويهه واين هذا من شروط الامانة التي
تقضي بالمحافظة على المنقول وانزاله بمثل المنزلة التي له عند اهله . وللترجمة
احكام ينبغي مراعاتها والجري عليها وعلى المشتغل بها ان يكون مطلعاً على
قواعد اللغة بارعاً في الانشاء والا فيكون مثله مثل القرد الذي اراد ان يري
البهائم القانونوس السحري فاتى بالصور وكل ما يلزم من الادوات ولكنه نسي
اهم شيء وهو اشارة فانوسه

وقد ذهب كثيرون وفي جملتهم سعيد بن بطريق وهو البطريرك
الاسكندري افينشيوس الى ان الترجمة يجب ان تكون بالحرف ورأى غيرهم
وجوب التقديم والتأخير فيها والتصرف بحسب ما يقتضيه المقام . والاحسن
ان لا يبيع الناقل لنفسه التصرف بثمرات افكار غيره لانه ليس بمقام المؤلف

ولا ان يقيد نفسه بالاصل بمعنى انه بقي التعابير على ما هي اولاً بل عليه ان يحفظ على الافكار المقصودة ويبرزها في قوالب عربية وذلك بان يقرأ العبارة الاجنبية ويفهم معناها ثم ياخذ المعنى ويكتبه بعبارة فصيحة من عنده وعلى هذه الطريقة ياتي الكلام وليس عليه اثر للعجمة . وقد جمعت عدة ملاحظات تفيد مراعاتها في الترجمة واني اسردها هنا حياً بالفائدة

١ ان كثيراً من التشايب والاستعارات والكنائيات في اللغة الاجنبية مما يكون في لغته بليغاً اذا عرّبته بلفظه جاء بارداً مستهجنًا فعليك ان تبدله بغيره من تشبيه او استعارة او كناية ينوب منابه في تأدية المغزى المراد

٢ ان الاجاب لقلة المترادفات عندهم يضطرون الى اعادة الكلمة الواحدة مراراً كثيرة فتجنب متابعتهم في هذا الطريق وعلى الخصوص لان استعمال الضمائر مباح عندنا اكثر مما هو مباح عندهم لان عندنا للكلمة الواحدة من المترادفات ما لا نراه في لغة اخرى

٣ استعمل القيود في مواضعها وان خلت من مثلها اللغات الاجنبية فانهم يقولون مثلاً مجلس مملي ، وكأس ممتلئة وطرف مملي ، الخ ونحن نقول مجلس غاص وكأس دهاق وطرف مغرورق بتخصيص كلمة لكل باب

٤ اذا كنت في مقام قصص وسرد وقائع واستنسبت حذف بعض الجمل او تقديم بعضها وتأخير الآخر فلا بأس من ذلك على شرط الا يختل المعنى بل قد يمكن لك ايراد القصة بقلب غير قلبها الاصلي اذا رأيت في ذلك ما يكون اشد وقعاً في النفس

٥ ان كثيراً من العبارات تكون خاصة بلغة من اللغات اي انها تكون مما جرى فيها مثلاً او مما يؤخذ بمعنى المجاز ومثل هذه لا يمكن ترجمتها بالحرف

بل يذكر المعنى المقصود بها ضمناً . وقد قرأت منذ مدة ترجمة قصة السنديانة والصفصافة المذكورة في كتاب مئة حكاية وحكاية وفيها ان الصفصافة اذغنت لقوة الريح فوضع المترجم بدلاً من هذه العبارة ان الصفصافة « لم تعط الريح قبضاً عليها » وهي الترجمة الحرفية للعبارة الفرنسية في الاصل ولكنها لا يفهم منها المراد قطعياً بل انها لا يستخرج منها معنى . ويقرب من هذا ما نشاهده غالباً في بعض الجرائد مع انه يمكن المترجم اجتنابه بالتروية ومراجعة المعجم

٦ قد يكون لبعض الكلمات معان كثيرة تختلف باختلاف المواضع فاحذر ان تضع المعنى الواحد منها مكان الآخر . فكثيراً ما يترجم الكتاب كلمة بمرادف لا يصلح لها في ذلك المقام فيختل المعنى وتضطرب سلسلة الانشاء . وقد قرأت منذ مدة غير بعيدة في احدى الجرائد تاغرافاً من شنغاي هذا هو نصه : (يزداد سكان الولايات الجنوبية بغضاً للاجانب . . . ويشبؤون هنا بمحدث انفجار عظيم في آخر الشهر) اهـ . ولا معنى للانفجار هنا وان هو الا لغز من الالغاز وطلسم من الطلاسم . على ان الكلمة التي ترجمت بالانفجار تفيد « الثورة والهياج » فلو وضعت احدى هاتين الكلمتين لاستقام المعنى وصحت الترجمة

هذا قليل مما يمكن ابراده من الملاحظات في هذا الموضوع وبقي علينا انه لما كان المعنى الواحد يمكن ابرازه بصور وهيئات متعددة بعضها اوضح من بعض تعين على الكاتب ان يختار من تلك الصور ما كان ابلغها وقعاً واسدها تركيباً فانك كثيراً ما تقرأ فصلاً معرباً فتتفر منه نفسك لما تراه في عبارته من الرككة ثم تراجعهُ في اصله فتجد الفرق بين النسختين كالفرق بين

الثريا والثرى . والافكار السامية اذا برزت بتعاير ركيكة نافضة المدلول
تفقد قيمتها وتضيع فائدتها وتكون كأمير يظهر باثواب رثة وهيئة زرية فتزول
عنه دلائل رتبته ويصير مجلبة لاحتقار الناظرين اليه وهذا شأن كثير من
الكتب الجليلة التي عربت تعريباً مخيفاً فأعرض عنها الناس وربما نسبوا عيوبها
الى مؤلفها بزعمهم ان المترجم نقلها كما هي وما كان عليه ان يصححها ويكسبها
رونقاً من عنده . واغرب من هذا ان جماعة من المشتغلين بالترجمة يدعون
ان ما يلفقونه من التراكيب غير العربية هو من محاسن الانشاء الافرنجي التي
تفقر اليها لغتنا ومن ثم صاروا يترنمون بها كلما كتبوا جملة وخاضوا في موضوع
وفاتهم ان اللغة فيها من اساليب التعبير ووجوه الكلام ما تضيق به على سعتها
عن قبول ما يدخله فيها امثال هؤلاء « النبولوجيين » وان الفائدة انما تقوم
بنقل علوم القوم وآدابهم الى لغتنا لا بتشويه محاسنها ببعض عبارات سخيفة
نريد ان نكمل بها نقص افصح اللغات ولا يخفى ان اكثر الكتب المتداولة
بين ايدي الناس في هذه الايام هي مما يعرب عن الافرنج ناهيك عن الجرائد
السياسية والمجلات العلمية والادبية التي اكثر ما فيها منقول عنهم وفي
بعضها من التراكيب البعيدة عن مواطن الفصاحة ما ياباه الذوق بل هو مما
يفسد ملكة القراء . ويكون مزلّة لهم ورب قرارة تسفحت قراراً . فاذا لم
ينتبه كتابنا الى هذا الامر فشا الخطاء وعم الخلل وصار اصلاحه متعذراً
وننتقل هنا الى قسم آخر من هذا البحث لا يتم الموضوع بدونه وهو
الترجمة الشعرية فنقول : لا يخفى ان الشعر عند كل امة هو المرأة التي تطبع
عليها صور عواطفها واخلاقها وآدابها واذواقها ولكل امة فيه طرائق مختصة
بها في التعبير ومناحي غير مألوفة عند غيرها في البيان والتصوير بل هو

مستودع ما عندها من حقيقة ومجاز واطناب وإيجاز وتشبيهات واستعارات وتوريات وكنائيات الى غير ذلك مما قد يكون الحسن منه عند قوم قبيحاً عند آخرين والمستملح عند هؤلاء مستهجناً عند أولئك . فعلى هذا قد يمكن ان ما يراه العربي اية في البلاغة يعده الافرنجي غاية في الركافة وما يرتاح اليه الافرنجي ويهتله اي اهتزاز ينفر منه العربي ويشمئز منه واي اشمئزاز وقس على ذلك . فضلاً عن ان لكل عصر منوالاً ينسج عليه اهله ويختلف به عن سائر العصور بقدر ما تختلف ابناءؤه عن ابناءها مشرباً ومدينة . فما كان يميل اليه الناس في عصر هو ميروس مثلاً لا يميلون اليه في عصر فيكتور هيكو وما كانوا يالفونه في عيشتهم البدوية بين القفار والسباسب والحيام والمضارب والنوق والجمال والرسوم والاطلال هو غير ما يلذون به في هذا العصر الحافل بايات المدنية ومظاهر الحضارة الذي بسطت فيه اجنحة البخار ونشرت راية الكهرباء وحوى من المخترعات كل عجيب

فالشعر يختلف باختلاف الازمنة كما يختلف باختلاف الالسنه ونقله من لغة الى اخرى بقضي باعاً طويلاً وتفناً غربياً وقريحة سيالة على انه اذا ترجم الشعر شعراً ربما حفظ شيئاً من رونقه وبقيت عليه مسحة من جماله الاصلي ولكنه اذا نقل نثراً تحول بلاغته الى ركافة وليس هذا في الشعر المعرب وحده بل الشعر كله على هذا القياس فما قولك في معلقة امرئ القيس مثلاً اذا حملتها نثراً هل ترى فيها من البلاغة ما تراه في مقالة بسيطة لاقل الكتاب براعة واستخفهم بضاعة . ومن هنا يتبين لك خطأ الذين حكموا على شعر الاوربيين من بعض قصائد عثروا عليها معربة نثراً مرسللاً دون ان يقفوا على اصلها وما دروا ان هذه وامثالها ليست مما يصلح ان يؤخذ

دليلاً أو يبنى عليه حكم لبعدها عن الأصل واضياع رونقها بانتشار منظومها ولا أقول هذا ذهاباً ضدهم ولا ميلاً إلى جانب خصومهم لأنه ربما كان ما انتصروا له هو الصحيح ولكن تنبيهاً لهم إلى أن ما استندوا عليه ليس بحجة

ومن المحقق أن الشعر لا يمكن ترجمته من إحدى اللغات إلى غيرها بجميع ما فيه ولا على جميع أوجهه بل فيه ما هو من خصائص إحدى اللغات فلا يمكن ترجمته إلى غيرها حتى لقد يتفق لك في قصيدة تريد تعريبها أن يمر عليك أكثر من موضع من هذا القبيل مما لو نقلته إلى العربية لما استقام له فيها معنى . على أن هذا التفاوت بين لغات أخوات كالعربية والعبرانية مثلاً في اللغات السامية أقل من التفاوت الذي بين أحداها وبين لغة قلطية أو أوارية فتعريب قصيدة سريانية أسهل بكثير من تعريب قصيدة المانية لما بين السريانية والعربية من التقارب اللفظي والمعنوي . بيد أنه مهما كان للمترجم من المهارة في أساليب النظم والمقدرة على التصرف بهيئات الكلام والتلاعب بالألفاظ ومهما بذل من الجهد وافرغ من الطاقة لا يمكنه أن يضاهي أصل القصيدة التي يعريبها بلاغة

على أنه ليس على معرب النظم أن يتقيد باللفظ في ما ينقله بل له أن يأخذ المعنى ويسبكه مفرغاً إياه في القالب الذي يريده إذ المعنى هو الجوهر وما اللفظ إلا غلاف له فما دام الجوهر سليماً فماذا يهم الغلاف . وعلى هذا لا يكون له سبيل للعتذار إذا جاء بتراكيب سخيفة محتجاً بأنها هكذا وردت في الأصل إذ ليس ثم من داع للطابقة اللفظية ولا هو ملتزم بها . ولما كان المعنى الواحد يمكن إبرازه على صور وهيئات مختلفة متفاوتة الدرجات بلاغةً وانسجاماً كان

عليه ان ينتقي اقربها الى الاصل وافصحها تعبيراً وافضلها صوغاً . ونحن نورد لك مثلاً على ذلك بيت (لافونتين) القصصي الافرسي صاحب الامثال المشهورة الذي يقول فيه ما تعريبه : « على المرء في كل عمل يأتيه ان يفكر في عاقبته » فيمكننا ان نعربه شعراً بهذه الايات :

- | | | |
|-------|-------------------------|-----------------------|
| « ١ » | على المرء في كل اعماله | بان يتبصر في العاقبة |
| « ٢ » | لا تأت امرأ يافتي | مالم تفكر في العواقب |
| « ٣ » | قبيل البدء في الاعمال | فكر في نهايتها |
| « ٤ » | عليك ان تنظر في العواقب | قبل ركوب غارب المصاعب |

وهلمّ جراً . على ان بعض هذه الايات اقرب للاصل من البعض كما ترى واختيار افضلها مرجعه الى الذوق . وما قدمنا هذا المثل الا تقریباً للمقصود وحتى ترى ان باب التعريب الشعري ليس ضيقاً على الذي عنده مؤونة كافية واطلاع واسع وتصرف بالكلام لاسيما وان لغتنا العربية الشريفة فيها من الالفاظ المترادفة الكثيرة والاساليب المتعددة في التعبير عن المعنى الواحد ما ليس في لغة غيرها من لغات العالم وبهذه الوسطة يتيسر لشاعرها ان ينقل القصيدة الاجنبية برمتها من غير ان يضطر الى حذف معنى من معانيها

ومما يجب الانتباه اليه ان النقل الشعري لا يتيسر الا في مواضع محدودة وشروط معينة وكثير من المنظومات لا يمكن نقلها من لغة الى أخرى لانها تفقد بالنقل اهم مميزاتها ومحسناتها . والترجمة سواء كانت شعرية او نثرية صعبة المراس تحتاج الى نظر وتدقيق كما قلنا آنفاً . فعمسى ان يهتم ادباؤنا بامرها فيعمدوا الى انتقاد كل مايجي به المنقولون لها والمشتغلون فيه لانه بذلك ترتفع منزلتها

وتعود لا يجراً على اقتحامها غير التقاضين على زمامها والعارفين بأصولها
واحكامها

« بين تضاعيف الحياة »

(لجر جس افندي خورى كرم)

يجلم الراعي في ضوء الهلال احلاماً . ويسهر السكاتب ليله حين يكون
الناس نياماً . فذلك له من مفاعيل الطبيعة ما يغويه . وهذا له من مفاعيلها
ما يضلّيه ويوهيه . فهل من تفاوت في الذات . وهل من فرق بين تلك
الحياة وهذه الحياة . او هل مصّة السكاتب تساوي غصته . او يجوز ان
يكون الشقاء بعد ذلك النصب حصته

جوابي على التفاوت . ان الانسان ما زال يطلب السعادة وهي بعيدة
عنه فانه وهو بدوي اقرب الى اللذة منه وهو حضري . والسبب هو لما يجول في
الحضري من تطلب الاسى والتعلل في الكماليات التي تشغله حباً وتذهب
بكل ما هو لذيد في طعمه وشمته تعزيات نفسانية لا يفقه لها راعي القطيع من
معنى ولكل انسان موضع في هذا الوجود وحلة من الترف والشظف يرضى
بها مجبوراً غير مختار لان غريزة نفسه تطلب دائماً اسمى من ذلك لكنه متى
اعتاد امراً فقلما يتركه لغير اضطرار ولورأى بعينه الباصرة افضل منه . ولذة
الراعي متكئاً على عصاه مديراً قطيعه هي لذة الحاكم يرأس المجالس ويضع
القسط في شعبه والامر على ما اشاهد متماثل لان الوجود لدى الغني (وان
كان شهباً الى قلب الفقير) هو شيء عادي لا يستأثر بانتباهه وحواسه واذا
حصل على امر خطير تآقت اليه نفسه من قبل فلا يتجاوز اعجاب الراعي

باكله عدس يشتهيها . واذا كانت اللذات تتبع العافية فان هنالك بونا عظيما
 بين الاثنين لان ابن الطبيعة متحملا حرارة شمسها نائما تحت سمائها غاديا مع
 طيرها ووعلاها هو غير ابن المدينة حاملا المطهرات لمقاومة جرائم الاوبئة
 المنتشرة ومغتسلا مرات لحفظ الحرارة معتدلة في دمه خيفة اشتدادها وهو
 ضعيف عن ان يتحمل . قلت والقصد هنا من اللذة ما يتبع الحياة بسيطة
 وما يتمتع به الضمير من الراحة والقلب من الرجاء . والفكر من الامل المحبوب
 وجوابي عن الحياة الجوهرية هو ان تركيب النفس هو من قوى اسمى
 من ان تدرك . مصدر تلك القوى هو الله ومتى شعر الانسان من نفسه بالقوة
 يستمر اي انه لا يقف عند حد وهو يقدر ان يتجاوزه غير فسة تقنع بالقليل
 وتخالف مطالب تلك القوى . والانسان يسير في النور هو غيره تائها في الظلمة
 ومعرفة الاشياء كيانها وقوامها ومعادها تعطي النفس تعزية . والمعرفة في
 الادميين واجبة وهي غيرها في الحيوان لان قوى اولئك غير قوة هذا . ومتى
 كانت النفس مثالا فطاليتها يجب ان تكون كمالية محضة . لكنه يصعب
 على في هذا العصر تمييز القبيح من الحسن والحسن من الاحسن ولا سيما والزبي
 الجديد المتعارف والميل المطلق هو جمع المال وحصد المنفعة او غير منفعة وان
 هذين الجمع والحصد يطلبان الدهاء والحيلة وبين الامرين تضعيف النفسانية
 وتستتر او تتلاشى كالياتها ويسدل عليها حجاب من الوهم يدفعها الى التصور
 بان ما تعمل هو الكمال . ان كنت تاجرا او لم اكن وان صرت غنيا او لم
 اصرفانا ممن يقفون بباب العلماء مباركا لانفس وقواها ومعظم ابدأ تلك القوى
 الموجودة بكل انسان والمتفاوتة بقدر الاستعداد العقلي والتربية . ابتهت وايم
 الله واقف حيرانا عند تصوري حياة من يعيشون ويموتون ولا هم لهم غير افادة

الانسانية واغبط عظام من ماتوا في قيودهم واسجد لرفانهم لانهم بكفرتهم
 بحسومهم سهلوا ما نراه سهلاً فكأنهم ماتوا في سبيل اعطاني الحياة الهنية ومن
 كان سبباً لراحتي في حياتي فاننا اخنوله رأسي حباً واجده ميتاً مطويا
 ان المسيح انسانا كالسبح الها وحياته ارضية كحياته سماوية وموته مصلوبا
 كقيامته منصوراً لان في تلك الحياة وذك الموت ابد مذهباً تبعه به ملايين
 واعجب به ملايين وفي ذلك الرجاء يجد تابعه راحته الداخلية وما احلى
 ذلك الرجاء

وعلى ذلك القياس يجب على تبعنا تعظيم العظماء والعلماء والمخترعين
 ومقاومي الاوبئة ومصلحي الشعوب باعمالهم واقوالهم وما هم يكتبون . وذلك
 لانهم برهنوا عن قوى علوية ما اثبتوا عن ممارستها ولا كانوا مثلها بما يجدونه
 امامهم لاهين

ان مبضع الجراح مستأصلاً الدم لا غيره قاطعاً الوريد لكنه مبضع في
 الحالين وبين اعطاء الحياة وعدمها هو من بين الوجود والموت . والحياة بين
 الناس مقسومة منها مائة ومنها نافعة وتسمى في الحالين حياة . ومتى سارت
 تبعاً لمزاج القوى في النفس فهي الى الكمال اقرب منها الى النقص ومعاناة
 الشدة في سبيل العموم والقيام بامر نافع في لذة لا يعرفها غير مقاسيها . اما
 من انفس من الحضريين في الترف وعمل على قتل نفسه وضميره بحشعه وطعمه
 فهو خالق بادعاء الحيوانية وحدها ولا يصح انتسابه لسواها

وجوابي عن الكاتب لا يحتمل تفصيلاً الكتابة في زعمي تقسم الى
 اثنين . منها ما يكون دعوة وهي ما تظهر مملوءة بالافكار السامية مشبعة
 بالفاظها واورضاعها موافقة لمقتضي الحال مليحة السبك طيبة الكلام ومنها

ما تكون تقليدية وهي ما يستعان بها للتوصل بطريقة التزلف الى غاية في النفس
اما عن الاولى فجزء الكاتب لا يحصر بزمان ومكان بل يتعدى الى العصور
المقبلة وكلما زاد النور زادت الناس اعجاباً بدعوته وفنه وحسن نيته وبقي كابين
رشد علم المتفلسفين وكابين خلدون هداية المؤرخين وكالمتنبي كعبة الناظمين
ومن هم على نحوهم . والاغلب في هذا الصنف من الناس عدم اليسر غير فئة
قليلة هبطت عليها الخيرات عن غير قصد وطلب فعاشت معيشة الفقر في
حين السعة والسبب هو ان هذه الفئة قلما تطلب الترف في الظواهر بل همها
اجابة نفسها الى مطالبيها والتقدم بصورة مستمرة الى الامام وكثيراً ما ماتت
افرادها في سبيل مبادئها فتركت ذكراً مكتوباً عليه (الى الابد) وبالنتيجة
ان هذه « المصة » من الذكر تساوي اضعافاً تلك « الغصة » في الحياة والله
في بواطن الامور اعلم . اما الفئة الثانية فهي كذلك الطفيلي الذي دخل على
القوم في الوليمة فازدرد لهما حاراً وكان حرق حنقه مدعاة للسخرية والهزء
وكثير بيننا عدد هؤلاء . قلت ويمكن جناء التين من العوسج ولا يمكن
لرجل ليس فيه دعوة الكاتب ان يكون كاتباً حقيقياً لان الغرايز شأننا اولياً
في هذا المطلب

وعندي ان الحياة مع اتمام الواجب ولو كانت في اشد حالات الشقاء
لا تحسب تعيسة . والبساطة هي بنت النفس فان عشت بين القطيع وان
كنت في وسط الدوي وتمت واجبي وعشت في حضن البساطة فانا الى
الراحة الداخلية اقرب من غيري والله فوق كل ذي علم عليم

اسرار الكائنات

لجعل افندي بيهم

١ = الارتباط الكوني

الناظر الى الكائنات بعين الظاهر . والمتصور في بسيط الفكر تلك
المظاهر . يحكم ان لا تعلق لها في بعضها البعض ولا نتيجة لاعمال السواد
الاعظم منها غير فوائد تعود عليه وحده بالنفع بيد ان من اماط عن وجوه
الحقائق حجاب البساطة ونظر بنور العلم العقلي الى صور المخلوقات نظر المتأمل
المتفكر وامعن الفكر الثاقب في هبولى الموجودات باحثاً عن احوالها وخصايصها
بحث المندبر المتبصر يعلم ان الباري لم يخلق شيئاً عبثاً ولم يوجد في الكون الا
ما هو من الضروريات لتمامته ابداع المخلوقات وجعل بينها التعاق الكلي بحيث
قدر على افرادها ان تكون خادمة لبعضها ولو عن غير تعقل وقصد لتنال
بغيتها المقصودة في حركتها وتحصل على امنيتها المرادة في جهادها الدنيوي
خلق الله الخلق وربط بين اجزائه ربطاً محكماً في افئقارها لبعضها
وقد جعل اذ ذلك حكمة منه حصول سد افئقار كل منها يأتي تبعاً لاعمال
غيره فان الشجرة مثلاً تصلح الهواء للحيوان نهراً بامتصاصها المواد الفاسدة
بالنسبة له كالحامض الفحيمي وهذا ليس مقصوداً في ذاته بل يأتي تبعاً لطلب
الشجرة غذائها اذ ان المادة الفحمية تسد نحو نصف الوزن الذي تركبت منه
والعلقة يضعها الانسان موضع الالم من جسمه فتستنزف منه الدم المحنق وهي
لا تريد بذلك اراحته بل ان آلة الحجامة التي يفهمها هي المحبة لها القيام بهذا

العمل وميكروب التربة لا ينفك ليلاً نهاراً عن مواصلة الخدم المتنوعة
 للنباتات وهو لا يقصد بعمله الدائم منفعتها بل طلب قوته والتماس معاشه .
 فكل من المخلوقات قائم هكذا في اعباء دور مهم من هذا الكون لا غنا
 عنه ولا يخلو واحداً من فوائد يسديها لغيره فان لم تكن مباشرة فتسبباً غير
 ان هاتيك الفوائد منها ما ظهر للبشر طرق حصولها ومنها وهو القسم الاعظم
 مالا يزال مجهولاً عندها بالنظر لكثرة وفلة تحصيلها من العلم وذلك مصداقاً
 لما جاء في القرآن الكريم خطاباً لافراد الانسان (وما اوتيتم من العلم الا قليلاً)
 وان كثيراً من الناس لينكرون وجود منافع لما خفيت علينا طرق
 خدماته حاسبين ان لا سر لهذا في خلقه ولا حكمة في ايجاده فهذا غلط بين
 ووهم فادح لانه ليس كلما لم يتيسر علمه لابن آدم ولم يتمكن عقله من ادراكه
 يحكم عليه بانتفاء الوجود فلو لم ير الحسير الهلال فلا يلزم من ذلك عدم
 وجوده . واني وان كنت لا اعلم للأسد شيئاً من الحسنات بل بخلاف
 ذلك اعرف له كثيراً من السيئات فهو يتعدي على غيره وقد يؤذي كلما
 وصلت اليه يده والذئب وابن آوى لم يصلني من اخبارهما الا ما يسود
 صفحات سيرتهما فهما يتلصصان لاختطاف ما نملكه من شاة ودجاجة وما
 شاكلهما وكذا الفأرة فلا اراها الا تشرب من البئر وترمي به حجراً فهي تاكل
 ما كولاتنا وتمزق مفروشائنا كما وكثير غيرها كلما زدت في البحث عن منافعها
 لا ازداد الا جهلاً بها وعلماً بخلافها فهل يلزمي بناء على ذلك ان احكم ان
 لا فائدة في وجودها ولا سر في ايجادها ؟ كلا كلا اذ من
 حيث انني اضطلع في كل حين على اكتشاف منافع لامثالها مما كنا لانعرف
 له فائدة كالضفدع وغيره فلقد حكمت قياساً على ذلك ان لا بد لهذه ايضاً

من فوائد لا زلنا نجعلها .

٢ = فوائد الضفدع

كنت في شهر حزيران من السنة الماضية استاء من نقنقة الضفادع الساكنة في حديقة بيتنا واتضايق من صراخها مضايقة جعلتني انظر الى افرادها نظرة مبغض لا يتحنى الا انقراضها وفنائها ولكن لم يمض على ذلك اكثر من عشرين يوماً حتى انقلب عندي الموضوع وصرت احب زيادة عددها راضياً بصراخها ونقنقتها

فما سبب ذلك ؟

سببه انني عرفت بالاطلاع ان لهذا الحيوان خدمة تذكر فتشكر ومنافع للهيئة الاجتماعية كشفها العصر الحسالي وعنها العلم اخبر وقد كانت مستورة من قبل تحت طي الجهالة فلا بدع ولا عجب اذا قلت ان صوته اصبح عندي يقارب نغم الموسيقى اذ صرت انظر اليه بعين الرضا بعد ان كنت عنه معرضاً

وعين الرضا عن كل عيب كالية كما ان عين السخط تبدي المساويا فبعد ان اتى على الضفدع حين من الدهر لم يكن شيئاً مسطوراً وصر عليه ربح من الزمن كان في خلاله ملوماً مدحوراً القي في هذا العصر مع ما لقيه من القبول محاماة كلية وموافقة عن اذيته قوية فقام بعض الافرنسيين ومن جملتهم (م ماي) يتوسلون الى حكومتهم في اصدار امرها بمنع التقاطه ايام تبذيره من اول شباط الى آخر حزيران وعقوبة من يمد اليه يد الاذية ونهض رجال من الانكليز يشربون على مواطنيهم في استجلاب كميات
لحقولهم ومزارعهم حباً في استدرار خيراته والاستفادة بخدماته

يتسائل القاريء الكريم ولا بد عن طرق خدماته وكيفية حصول فوائده فاقول ان الضفدع كالعصفور يصطاد حشرات الارض وهوامها الضارة في المزروعات بل انه اغزر فائدة واكثر نفعاً من وجهين احدهما كونه اشد قوة على اقتراس ما يستطيع ذلك الطائر اليه سبيلاً وثانيهما من حيث انه لا ينفك ليلاً نهاراً عن القيام بهذه الخدمة الجليلة بينما ان العصفور يقتصر على النهار في عمله

ومعلومة فوائد العصفور في النقاط الهوام والحشرات المؤذية الفوائد الجليلة التي منعت لاجلها الحكومات الراقية اصطياده في اوان حضائمه ضناً به لان في تقليله قليلاً للمحصولات وفي اذيتة اذية لاولي الزرع اذ تحرمهم بعض الحيوانات من اثمار اتعابهم وتمنعهم من نتائج اشغالهم واليك على سبيل الاستئناس والفكاهة ما يذكرونه عن غليوم الاول ملك بروسيا وامبراطوار المانيا من سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨٨ فاقد روى ان هذا العاهل كان شديد الولع في الفريز حتى انه لا يصبر على اكله فزرع له في حديقة قصره شجرة منه واخذ في مداراتها ومعاملتها حتى اذا ما اثمرت وايضت تسلط عليها العصفور وصار يتردد اليها جرياً على عادته مختطفاً بعض اثمارها فحنق عليه الملك وامر في السنة التالية ان تحمي الشجرة منه ويمنع من الوصول اليها الا ان هذا التحوط لم يأت به بالنتيجة التي كان يتوقعها بل بخلاف ذلك اعقبه الندم وكان موجبا لزيادة استيائه اذ ان الهوام التي كان ياكلها العصفور في امضى حرمته في هذه السنة من محصول شجرته المحبوبة فرضي اخيراً بمشاركة العصفور شركة مضاربة ياكل من شجرته بمقابلة حمايتها .

فاذا كانت هذه هي فوائد العصفور فكيف تكون فوائده الضفدع وقد

ذكر لك انه اكثر نفعا ولا سيما غير الاخضر منه من حيث انه يسبق غيره في التبذير فيكون ذلك في شهري شباط واذار ويفرقه كثرة تجوله بعدئذ وهيامه في الاحراش مفتشا على الحشرات الارضية قريبا من المياه او بعيدا عنها على حد سوى واما النوع الاخضر فانه لا يفارق المياه وما جاورها راضيا بما هنالك من الحيوانات المائية والبرية .

٣ = الحقيقة بنت البحث

هذه نبذة من فوائد الضفدع كشنها الباحثون واطهرها من طي الخفاء المدققون فعلمها الانسان بعد ان مضى عليه زمن وهو لا يرى لهذا الحيوان نفعا ولا يجد خلقه سرا واصبح بظهور سر ايجادها وايجاد امثالها حجة بالغة على تمام الترتيب الكوني ومعجزة دامغة تتوصل بها الى الحكم بوجود فوائد لغيرها مما خفيت علينا طرق خدماته لانه لا يتأتى اختصاص البعض في ذلك دون البعض الاخر باعتبار ان كل من هذه المخلوقات متساو بكونه مخلوقه وهو لم يخلق عبثا . هذا وان الحكم على الشيء المجهول بانتفاء وجوده امر مخالف للعلم ومنافي للصواب سيما وان الانسان لم يحيط علما بجميع اسرار الكائنات لينسب لهذا فائدة ويحرم غيره من امثالها فهو في الحقيقة لا يزال ساجدا في غمرات الجهل تنقاذفه امواج الظن والتخمين ولا يمنعه عن عود الفرق في لجج ذاك البحر المظلم الا مبادئ معلومات النقطتها مع تمادي الايام واوليات معارف اكتسبها في كروار الازمان يتقلب بها ذات اليمين وذات الشمال فلا يركن على راي ولا يقر على قرار

هذا ما لحظه افاضل العلماء وما اقر عليه رايهم اذ عرفوا مقدار ما خدعهم من العلم فاستصغروه واحتقروه ولم يلهمهم اعجاب العالم بهم عن الاعتراف

بقلة بضاعتهم حتى في الاقرار بجهلهم شأن علي الهمة الذي لا يسكره مدح
 المادحين ولا يسبط همته قدح القادحين فاعتبر ذلك فيما فاه به المورد كلفن
 من خطاب له القاه يوم يوييلة في غلاسكو سنة ١٨٩٦ حيث قال « انني
 خدمت العلم عمراً طويلاً وانا ابحت واعلم واؤلف بثبات ونشاط ولكن
 واسفاه لا اعرف الى الآن عن حقيقة الكهرباء والمغناطيسية والنسبة
 بين الاثير والكهربائية او المادة والاتحاد الكيماوي اكثر مما كنت اعرفه يوم
 بدأت في تدريس تلامذتي الفلسفة منذ ٥٥ سنة واليك ماصرح به ايضاً احد
 فطاحل الاميركيين اذ قال انا نمتاز عن سلفنا في العلم بكوننا علمنا انا جهلاء
 ٤ = مستقبل الانسان

مما قدمناه وما استشهدنا به من اعتراف بعض علماء العصر بتضيق للقاري،
 اللبيب حقانية ما ذكرناه عن تاخر الانسان من الوجهة العلمية التاخر البين
 الذي سوف يتحققه اذا ما ارتقى لدرجة اعلا وتدرج لمنزلة اسما اذ من الفطرة
 البشرية ان لا يقتنع احد الناس بوجود النقص فيه الا بعد انتقاله عنه فان
 العصبي مثلاً يتوهم انه بلغ الغاية من الفطنة والفهم والكمال ولكنه لا يلبث
 ان يعرف غلطه اذا ما انتقل لسن الشيبية حيث يستهجن قسماً كبيراً من
 آرائه واعماله التي كان يستحسنها في ماسلف وبظن انها منتهى الكمال وغاية
 الصواب والشاب ايضاً لا يزال ظاناً انه نال في هذا الدور الحظ الاوفر من
 الادراك والنباهة حتي يرتقي لسن الكهولة فيتبين له نقص ما كان عليه وكذا
 الكمل فانه قد يغلب على فكره ان عقله صار في الدرجة القصوى وادراكه
 في المنصة العليا وهكذا كلما انتقل من دور الى آخر من ادوار الحياة وكبر
 عقله وازداد ادراكه تظاهر له معايه ومساويه ويتضح له ما كان عليه من

النقص والتقصير .

فاذا داوم الانسان مسيره نحو الوجهة التي هو متجه اليها وحافظ على الطريقة التي هو سالك في حبيها ولم يعترضه ما يحول اهتمامه لجهة اخرى او يوقف كده وجده فلسوف يبلغ من الترقى العرفاني درجة تجعله ينظر لمبلغه منه الحالي نظر الاحتقار والاستصغار درجة لم يحلم بها السلف ولم يتصورها الخلف لما فطره الله عليه من تمام القابلية ومزيد الاستعداد وما خصه به من التوصل لما يبذل اليه الجهد ولذلك قيل « هم الرجال تهدي الجبال » ولقد اخذ بعض ابناء العصر الحالي مع جد هم وكدهم لتحقيق العلوم وكشف المجهول يشيدون قصور الامل فيما سوف يصل اليه ابن جنسهم من الترقى والتقدم ويننون صروح التوسم فيما سيبلغه من اعداد دواعي الراحة للهيممة الاجتماعية مقدرين ما ستصل اليه معلوماتهم ومعلومات ابنائهم من بعدهم ومخمين ما ستبلغ اليه اكتشافاتهم واختراعات مخلفيهم كما فعل الله كتور جليته بوازيرو المجلة العلمية الافرنسية (شه سوا) فقد كتب الاول مقالة طبية خيالية مثل بها الطب والاطباء وما يؤمل ان تصل اليه الاحوال الاجتماعية في نحو مائة عام اي في سنة ٢٠٠٥ ورسمت الثانية ما بين دفعيها الحالة التي تظن ان الاستحمام البحري سوف يبلغها في سنة ١٩٥٠ فصورت الحمام على شكل مجمع لموضام من آلات الطرب والسرور ودواعي الانس والحبور ما تلتذ به الانفس وتقر به الاعين .

فلا بدع ولا عجب اذا توصل الانسان لما يقدرونه له لان ما نراه الآن من تسابق الامم في حلبة الترقى لهو على ذلك اعظم دليل واكبر برهان قياسا على ما قيل

واذا رأيت من الهلال نموه ايقنت ان سيصير بدرًا كاملاً
 اجل فلا غرابة لبلوغ الانسان ما يوءملونه له من الرقي مادام على الخطاة
 الحميدة التي كثيراً ما رفعت لنا عن وجوه الحقائق سحجف الاوهام وكشفت
 عن لطائف نور اسرار الكائنات ستور الظلام فظهرت لنا بفضلها حكم وفوائد
 كثير من المخلوقات كنا لا نعرف لها نفعاً ولا نعلم لايجادها سرّاً وناهيك
 بما كنا نحسبه منها مضرّاً بما يظهر لنا من سيئاته واضرار كدودة الارض
 وامثالها فتعبت به ايدي اللاعبين او يتلفه جهل الجاهلين

٥ = دودة الارض وفوائدها

اجيال متعددة مرت على العالم المتمدن وهو لا يعرف مزية حسنة لهذا
 الخادم الخدوم ولا يرى في حياته نفعاً ولا في خلقه سرّاً فاخذ الحراثون
 يستفيدون به من غير الوجهة الطبيعية فكانوا ولا يزال اكثرهم يجمعونه
 وخصوصاً من ثلثم الارض بعد الحرث ويقدمونه طعاماً شهيّاً لبعض الحيوانات
 الاهلية او يفلتون ما عندهم من الدجاج وما شاكلة الالتقاطه من حقولهم
 فيربحون بذلك دريهمات قليلة لقاء ما يوفرونه من طعام حيواناتهم ويضيعون
 ما منحهم الله من الفوائد الجزيلة التي جعل حصولها على يد هذا المخلوق الى
 ان خط المتأخرون خطة الاكتشاف والاختبار فظهر لهم بفضل العلم وخدمته
 الدور المهم الذي تقوم به الدودة في هذا الكون والمنافع العظيمة التي توءديها
 للهيئة الاجتماعية من اوجه متعددة من اهمها اصلاح التربة وتحسين
 المزروعات التي هي احدى اركان العمران

فان الدودة المذكورة تجدد تراب القشرة الارضية وتبدل منه ما نقصت
 فوائده وذهبت ذخائرنفعه بالاستعمال بآخر جديد تلتقطه من بطن الارض

ثم تلقيه على سطحها ناعماً مضموماً فتحدد التربة وتجعلها صالحة لاستشاف
الزراع وقد قدروا ان الواحدة منها تنقل في السنة اكثر من ستاية غرام .
وفي اثناء قيام الدودة بهذا العمل المفيد تدر خيرات لا تنقل منفعتها عنه وهي
انها تدره بواسطة ممرها الذي تحفره على جملة امتار تحول الحقل الجيد الى
مستنقع لا يصلح للزراع بل يصير مبعثاً للروائح الكريهة وسبباً لنفشي الحيات
الملاريا وما شاكلها . وهي تمنع بواسطة ممرها ايضاً ان تصبح الجنة الرطبة
بيسة لان المسلك الذي قطره نحو خمس مليترات لهو من اقرب الطرق
لتسرب المياه لبطن الارض واعظم الوسائل لتهوة داخلها وايصال الاوكسيجين
لاصول الاشجار التي قد تمتد امتداداً يمنع وصول الهواء اليها فلولا هذا الممر
الذي من جملة فوائده ايضاً حصول تخلص الاسيد الكربونيكي الذي يفشي
الارض بكثرة نظرا لثقله عن الهواء الجوي ولولا تداركها في الحرث ليست
تلك المزروعات اذ يحصل لها الفرق والاختناق واحدها ولا سيما في
التربة الخزفية .

ومن فوائد الدودة التهامها المواد الآلية التي تعلق التربة كورق الاشجار
وغيرها واشتغالها في خيم الاتربة العكرية والصاق اجزاء القشرة النباتية
ببعضها البعض فتامن خصب الارض . ولقد اهتم الاوروبيين اهتماماً كبيراً
في البحث عن خصائصها ومنافعها ومنهم « م ريبوكور » الحائز على لقب
دكتور في العلوم « م اندريا كبولت » ليسانسية فانهما اخذا في درس
خصائص هذا الحيوان والبحث المدقق عن احواله وما ينتج عن اعماله وقد
جمعوا زبدة ابحاثهما فكان من جملة تجاربهما ان وضعاً كمية منه كبيرة في
حقل محمل تماماً يعلو عن سطح البحر الفا متر في جهة موركن فاليه من فرنسا

وتركاها سنة رجعا بعد تمامها لذلك المكان فوجداه مغطى بقشرة ترابية رقيقة تدل على الحصب النباتي فلما رأيا اقتدار دودة الارض على تحويل المجدة لمثلها صالحة للزراع اخذا يبحثان عما اذا كان لها التسلط على الحجارة الصلدا فجلبا قسماً منها من الجنس المدعو « هيلو دريلوس اكتروادس » *Cetradus* الذي يعيش على منحدرات الجبال وضعاها على صخور عارية ليس النبات بها اثر ثم نفقدها بعد سنة فلاحظا هناك اثار الدود المخاطية التي تتركها عند ما تنشي على سطح ملس وشاهدا قيام بعض النباتات الواطية التي تنبت على جدران الابنية العتيقة التي اخذ يتلوها فيما بعد الطحلب فالارقي درجة .

هذا وقد سبق العالم المتمدن شوطاً بعيداً في معرفة هذه الفوائد وامثالها لدودة الارض سكان اعالي النيل نهري النيل والكونفو اذ تراهم يرفضون العمل في الحقول التي لا تحوى على كمية كافية منها لما علموه في التجربة من ضياع الاتعاب وذهابها ادراج الرياح .

وبينما نرى اولئك الافريقيين البعيدين عن المدينة وعلومها يتمنون توفر وجود الدودة في مزارعهم نرى ان اكثر البلاد المدنية نفسها غير مكترسة بها فتبيعها رخيصة وتعمل على اتلافها وقطع دابرها . فخبذا حبذا لو تدع الزراعون هذا الخادم الخدوم قائماً بعمله بلا معكر اصفو حياته ولا معارض له عن سيره الطبيعي لنجني من ورائه الخير الجسيم والنفع العميم لان ما ينسبون له من الاذى فلا يعتد به قبالة ماله من الفوائد وما يشكونه من سيئاته القليلة فهو مغفور بالنسبة لما له من جزيل الحسنات وخالق الخلق يقول « ان الحسنات يذهبن السيئات »

يقولون وليس باطلاً ان في تجمع كمية مهمة من الدودة يخشى على المزروعات في اول نبتها اذ تلتف هذه على اصولها وهي لاتزال واهية وتأخذ في لدغها فتقصفها شطرين وينسبون لها جلب جراثيم الامراض المألومة لمقطاعين حتى ولذوي الحراثة لتردها على اجساد المواشي الميتة من الفهم ولو مطموره في عمق بعيد بقصد التفتيش عن الميكروب المدعو بالبكتريديس الكربونيكي .

فهاتان الحالتان قليلتا الحصول ومع ذلك فقد يتوقى ضررها ويدبره شر الثانية منها بتغطية جثث الحيوانات الميتة بامراض معدية بغطاء من الكلس يمنع وصول الدود اليها فيتلافى بذلك الخطر .

اما ما يتهمون بها وخصوصاً في انكثرا من انها تتردد على موتى الانسان في اجداثها فهذا خال من الحقيقة لان تلك دودة اخرى تدعى في الاصطلاح العلمي اسكاري لومبريكودس « *Ascaris Lumbricoides* »

٦ = عود على بدء

ظهرت هذه الفوائد للدودة والفضل راجع لما ذكرناه من تسابق الامم وافرادها في حلبة المعارف بغية التقدم واحراز قصب سبق الترقى ذلك بعد ان اصبح من المقرر الثابت ان العلم اس عمران البلاد ومقدمة نجاح العباد ومن كان في سبيل العلم الحقيقي مسلكه والرقى العرفاني هم وبغيته يؤمن راحته ويؤمل له مستقبل مجيد

وقد سلك الانسان في هذا السبيل واتبع كلا من خطة الاستطلاع والاكتشاف والبحث والاختبار فلا يبعد مع ما فطر عليه من الاستعداد ان نتجلى له الحقائق في اجلى مظاهرها وينكشف له كثير من اسرار الكائنات

فيعلم حكم البارى في المخلوقات وياخذ في الاستفادة من الموجودات من الوجهة الطبيعية غير حارم النفس بيد الجهل مما يمكنه الانتفاع به واستخدامه لراحته و « كل من سار على الدرب وصل »

ولقد توسع بعض العلماء بتقدير ما يؤملون ان يصل اليه ابن جنسهم من التقدم ومنهم من اعتقد ان لا حد ولا نهاية لرقبه ومن عداد اولئك لا روس العالم الفرنسى الشهير فقد ذكر في دائرة معارفه من كلام له « ان من التهور المشين وضع حد لرقى الانسان » بيد ان الامر بالعكس اذ لا بد لرقى البشر من حد ينتهي اليه وموقف يقف عنده باعتبار كونها حادثة والحد والنهاية من لوازم الحدوث . واما ما ذكرته من الامل والتوسم بما سوف يبلغه الانسان فلا قصد به ان بإمكانه التوصل لمعرفة كنه حقائق الموجودات وتنام فوائدها لان هذا باعتقادي مستحيل بالنسبة له حتى ان احاطته علما بسائر افراد الكائنات هو فوق قدرة امثاله واليك البيان والبرهان

٧ = برناردن دوسن بيير

في سنة ١٧٧٣ اخذ الكاتب الفرنسى الشهير برناردن دوسن بيير في تاليف كتاب يبحث به عن نظام الكائنات وما هيتهما فذكر في مقدمته انه سيصنف تاريخاً عمومياً في الطبيعة يبحث فيه بحثاً مدققاً مقتضياً اثار اريسطو وبلين وشنسليه باكون وغيرهم من فطاحل العلماء القديمين والحديثين بيد انه لم يكد بخطو خطوة في هذا المشروع حتى احس بالعجز من نفسه فرجع الى الوراء معترفاً بتقصيره وقصر عمر الانسان عن النظر والبحث في عموم الخليقة واليك معنى ما قاله في بدء عمله .

في يوم من ايام الصيف اشرفت بنظري من نافذة البيت الى البستان

الذي حوله فاستلقتني جنس من الذباب رايته على شجرة من الفريز اوقع في نفسي الميل الى اخذ صورته وتدوين هيئته عندي .

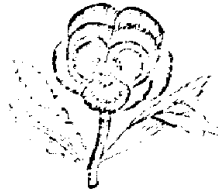
وفي اليوم الثاني اعدت الكرة على نفس الشجرة فابصرت ما لم ابصره في الامس رابت عليها جنساً آخر مبايناً في الصورة واللون للأول فاخذت وصفه ايضاً وهكذا في اليوم الثالث والرابع الى ثلاثة اسابيع كنت انظر في كل يوم ذباباً جديداً لم اكن رايته من قبل فاحصيت مجموع ما لا حظته في تلك المدة فكان سبعة وثلاثين نوعاً مختلفي الهيئة .

كنت متسلية في مراقبتي هذه غير ان توارد الذباب اخيراً بكميات وافرة باجناس مختلفة الزمني ان اترك هذا الدرس لعدم سئوح الفرص بل في الحقيقة لاحساسني العجز من نفسي عن مداومة الوصف . فالذباب الذي كنت اراقبه كان متميزاً في الاشكال والحركات فمنه الذهبي والفضي والازرق والاخضر والفتح والمكفر ومتقلب اللون ومنه ما كان ياتي للشجرة ليضع عليها بيضه ومنه ما كان ياتيها للتغني ، بظل اوراقها من الشمس بيد اني كنت اجهل قصد السواد الاعظم من هذا الحيوان اذ بينما كنت اري بعضه ذاهباً آتياً بمحركة دائمة كنت اري البعض الآخر منه ما يحرك مؤخر جسمه ومنه ما هو ساكن متأملاً ينظر الى غيره ملاحظاً حركاته كأنه مشغول مثلي في المراقبة . وفي اثناء ذلك تناول عالمنا المحكي عنه المكرسكوب بيده واخذ يتفرس فيما على الشجرة من المخلوقات الصغيرة فانبهر عقله عندما رآه ان كل ورقة منها كعالم مستقل فيه تتزوج وتولد وتموت الانفس وحكم اخذاً في الظاهر ان لا بد من وجود حيوانات اصغر مما توصل للاضطلاع عليها ولكن النقص الذي لا يزال في المكرسكوب هو الذي حجزه عن رؤيتها .

فلما تحقق ان لا يعلم جنود ربك الا هو ولا يحصى انواع الكائنات واجناسها الا الذي خلقها وسواها علم قصوره وضعفه ورجع عن فكره وقصده معتقداً ان الدرس المدقق في صنف واحد من النباتات مع الكلام على تعلقاته مع العالم الحيواني يكفي جملة حكماء امثاله بل قد يفضل عنهم وشبه نفسه بالولد الذي حفر حفرة في الرمل واخذ ينقل اليها ماء البحر في صدفة بيده واليك ما كتبه بعد ذلك الى هنن احد اصحابه « ان تصوراتي وافكاري ليست هي الا خيالات من الطبيعة »

٨ = خلاصة القول وخاتمته

نخلاصة القول ان اكل من الكائنات سرّاً في وجوده وحكمة في خلقه والانسان اقصر باعاً من ان يدرك نظامها بالتفصيل والتدقيق ويعلم خاصيات جميع افرادها بالتحقيق لكن ما لا يدرك كله فلن يترك جله . وصواباً ما شبه به نفسه برناردن دو سن بييرو وما اشار اليه من ان عقل الانسان كالحفرة التي حفرها الولد والحقائق كالبحر ومحال ان تحوى الحفرة ذاك البحر الهائل غير ان في اعتقادي ان هذه الحفرة لا تزال بما نقل اليها افرغ من فؤاد ام موسى اذ كلما اكتسبه الانسان الى الآن ليس هو نقطة من بحر مما يمكنه تحصيله ولا حبة من رمل مما يستطيع ادراكه والله اعلم في الصواب واليه المرجع والمآب



الحياة السعيدة

لداود افندي قربان

لقد تضاربت آراء العلماء والسادة اللاهوتيين في مسألة الحياة وتعددت اقوالهم من جهة منشأها ومصيرها حتى امست الشغل الشاغل لعقولهم واهم المباحث عندهم واسماها . ولست اقصد الان التعرض لاثبات آراء فريق منهم او دحضها لكنني اتوخي الالمام الى الطرق التي تمكننا من جعل زمن حياتنا الحاضرة سعيداً

لقد انكر قوم امكان الحصول على السعادة في هذه الحياة وقالوا ان الحياة كلها تعب وشقاء وهم وعناء . وخالفهم آخرون وقالوا بامكان ذلك والصحيح ان الحياة تكون كما يريد لها صاحبها فهي كمدية ان امسكها المرء بمقبضها قضى بها حاجته ولم تجرحه وان امسك بنصلها جرحته والمته

اذا دخلنا قصور العظماء واكواخ الصعاليك وتفحصنا احوال كل طبقة من الناس وجدنا ان الحياة السعيدة ضالتهم المنشودة . وانما اختلفت مذاهبهم في البلوغ اليها والحصول عليها . فمنهم من ظنوا ان السعادة تستتب لهم بمجشدة القناطر المقنطرة من المال فامتطوا صهوة الكد والاجتهاد وجابوا الاقطار وتجشموا الاخطار واكنهم لم يفوزوا بالمرغوب ولا حازوا المطلوب . فكان نصيبهم الحيبة والامسى . ومنهم من احرزوا الاموال الطائلة فبنوا القصور الفخيمة والبصروح الباذخة تحيط بها الجنات الفيحاء والتمائل الغيباء وابتاعوا الضياع والديساكر واقتنوا المركبات الجميلة تجرّها الجياد العناق ولكنهم مع

ذلك كله لم يبلغوا السعادة التي سعوا وراءها لانهم لم يقنعوا بما حصلوا عليه بل ظلت انفسهم طامحة الى المزيد . وكان المال الذي جمعه سبباً لحرماتهم هناء العيش ولذة المدام ولو كانوا في الفراش الوثيرة على اسرة ذهبية لقلق بالهم واضطراب افكارهم . فاذا تاخر احد المصارف المالية هلعت قلوبهم وذابوا كدّاً واذا سمعوا بان النار شبت في سوق من الاسواق اصطكت ركبتهم وارتعدت فرائصهم فرقاً . واذا هبطت اسعار القراطيس المالية او حدث تغيير في التعريفات التجارية وجفت افئدتهم وربما عراهم من جراء ذلك داء السكينة اومنوا بالفالج وذهبوا ضحية حب المال . قيل ان جاي كولد المثرى الاميركي الشهير كان دخله السنوي يربي على مليون ليرة انكليزية فكان ينفق خمس هذه القيمة ويضم الباقي الى راس المال ولكنه كان كريشة في مهب الريح لا تستقر على حال من القلق . ولشدة اهتمامه بادارة امواله لينال منها الارباح الفاحشة اصيب بداء عقام نقص عيشه واودى بحياته وهو في سن الكهولة .

ولا يجب ان ننسى ان الفريق الاكبر ممن يجعلون غايتهم العظمى من الحياة حشد الاموال لا يبلغون المرام ولا يفوزون بالغايب فقد قدر الخيرون انه لا ينجح اكثر من اثنين في المئة منهم نجاحاً يذكر

وليس قصدي ان احط من قدر الغني والاغنياء بل ان ابين ان مجرد الغنى لا ينيل السعادة . فالبدوى الذي ينام في العراء بين الاباعر والاشياء اديم الارض وطاؤه والسماء غطاؤه انعم بالا واسعد حالاً من غني حشو مخدته المموم وحليفه الارق وسميره السهاد . ولا انكر ان للمال قوة عظيمة ولكن لقوته حداً معيناً . به يقدر الانسان ان يشتري ما يشتهي من ضروب

الاطعمة الفاخرة ولكنه لا يقدر ان يبتاع به شهية للتمتع بتلك الاطعمة . به
يستطيع ان يبتاع القصور الجميلة ويزينها باجمل الأثاث وانفس الريش ولكنه
لا يستطيع ان يصد هجمات الادواء عنه وهو متمتع فيها . به يستطيع ان
يلجم السنة الناس عن ثلم صيته ولكنه لا يقدر ان يسكت تقرير الضمير
وتبكيته الشديد

ومن الناس من يظنون ان السعادة تقوم بتحصيل الجاه الرفيع والرتب
السنية فينفقون في سبيل نيلها ما عز لديهم وهان فاذا تحققت امانتهم وتبوأوا
المناصب الخطيرة ونالوا مكانة سامية لا يلبث ان يقذف بهم من حلق المجد
والسودد الى حضيض الحزي والهوان . فيجزعون من مرارة الخيبة ما ينسبهم
حلاوة الظفر . واذا والاهم الحظ وثبتوا في مركزهم الخطير ردحاً من الزمان
كانوا في غصونه عرصةً للهموم والقلق من ثقل الواجبات ومخافة الوشاية
بهم ممن يريد لهم الخسف والضميم . وهكذا تمر بهم الايام وهم في وجل دائم
وهم مقيم . وتاريخ البشر اعدل الشهود على صحة ذلك . فمن جعل اهتمامه
الوحيد البلوغ الى المراكز الخطيرة لمجرد ان يعده الناس عظيماً وليس لخير
بنويه لبلاده او نفع بني جنسه لا يظفر بضالته المنشودة . هذا وكثيرون من
طلاب المراتب وخطاب المناصب يصرفون قسماً عظيماً من حياتهم في طلب
الرفعة وهي لا تزيد الا صداً ونفاقاً فيقضون غابر حياتهم ناديين سوء حظهم
أسفين على ذهاب مساعيهم سدًى ناديين على ما فات ولات ساعة مندم
ولا تستنب السعادة للمرء بالنفاق سبي المآكل والملابس ولا بانتياب
اماكن اللهو والطرب ولا برشف بنت الحان هادئة اركان الفضيلة والعمران
قال احد الافاضل « اي طالبي السعادة انكم لا تجدونها في الترفه ولا في جميع

لذات الجسد ولا في المال ولا في الشهرة لان مصدرها القلب الطاهر «
وهاكم ما قاله بهذا الصدد سليمان الحكيم الذي كان له مغنون ومغنيات
وجنات وفراديس وكل نعمات بني البشر « الكل باطل وقبض الريح »

وربّ قائل يقول ان كانت السعادة لا تقوم بما ذكر فيماذا ؟ فاجيب انه
يتعذر الحصول على السعادة المطلقة في هذه الحياة ولكن في الامكان الحصول
على سعادة نسبية وهذه تتوقف على امور اذكر منها اربعة اجعلها ركائزاً لها :

الاول الصحة : من الاقوال المأثورة ان الصحة تاج على رؤوس الاصحاء ،
لا يراه الا المرضى . فلو كان للانسان مال قارون ومقام سام وكل اسباب
البهجة والسرور ولكنه كان سقيماً عيلاً لما عد ذاته سعيداً ولا حسده
من هم دونة مقاماً وثروة . بل كم من سيد عميد تمى لشدة مرضه وكثرة
اسقامه ان يكون في منزلة احد خدمه الصحيح البنية المجدول العضل

وكان كثير من القدماء يحسبون الجسد عدواً للنفس . فكان من اخص
واجبات المتدينين منهم ان يضعفوا الجسد بكل الوسائل الممكنة كالاصوام
الطويلة والسهر والنقشف ولبس المسوح والسكنى في العراء في حر الشمس
وبرد الليل . ولم تكن امة من الامم القديمة تعتنى بالجسد مدة الحياة وتحافظ
عليه بعد الموت كالامة المصرية . وحذا اليونان الاقدمون حذو المصريين
بان وجهوا عنايتهم الى تقوية الجسد بالرياضات المختلفة وحسبوا الصحة
في عداد الالهات وسموها هيجيا ومنها علم الهيجين . واما المسيحيون ولا
سيما اهل القرون المتوسطة المعروفة بالمظلمة فقد ذهبوا مذهب البراهمة
والبوذيين في تعذيب الجسد واضعافه فكان اعظم القديسين عندهم من اوى
الى الكهوف وتبلغ بالقوت السخيف ولبس الاطمار البالية . ولكن قد انقشعت

سحب الاوهام عن الافهام او كادت وصار الناس يعدون الصحة بركة من اعظم البركات واساساً لكل تقدم سواء كان عقلياً ام ادبياً ام دينياً

نعم انه نبغ قوم من ذوي الاجسام الضئيلة واغنوا العلم والعالم بنتاج افكارهم ونما هذا نادر والقاعدة العامة هي « ان العقل السليم في الجسد السليم » وصحة الجسد تقوم بمراعاة شروط تتعلق بالطعام والشراب واللباس والرياضة والنظافة والنوم فكثيرون يهتمون مراعاتها فيقعون في الامراض ولا يعودون قادرين على القيام باعمالهم والتمتع بخيرات الدنيا . يفرطون في الاكل كأنهم خلقوا لياكلوا ويبالغون في رشف السائغة المترقرة في كأس الهلاك وشمارهم « يضر ولا يفوت » . يتبعون الازياء الجديدة ولو اضررت بصحتهم ويهتمون الرياضة في الهواء النقي ويتركون مفرزات الجلد لتلبد عليه وتسد مسامه والماء يغطي ثلاثة ارباع اليابسة . ويصرفون الليالي في سماع انغام القيان ومعاقرة معتقة الدنان حارمين انفسهم لذة المنام . فمثل هؤلاء بشرهم بهم ناصب وعيش شاحب

ومما لا يجوز اغفال ذكره المحافظة على صحة العقل لان له تأثيراً مهماً في صحة الجسد فالافراط في تشغيل القوى العقلية والهم الشديد يوهيان قوى الجسد على حد قول الشاعر:

والهم يخترم الجسيم نخافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ومما يجب مراعاته حفظاً للصحة الاداب والعوائد الحسنة مع الافلاع
عن السيئة التي تفضي الى المرض والضعف وتجعل الحياة عبئاً ثقيلاً
يحاول الانسان التماس منه بالطرق المحرمة

فيا ايها الشبان الذين تضعون اليوم اساس الحياة المستقبلية لا تكتفوا

بان تعالجوا الجسد بالدواء حين الاعتلال بل قووه بالرياضة والنظافة والطعام
المغذي غير متجاوزين حد الاعتدال كما يفعل البعض ممن جعلوا المهتم
بطونهم لان الانسان انما ياكل ليعيش ولا يعيش لياكل . وروضوا عقولكم
بالعلوم ومطالعة الكتب المفيدة والمجلات العالمة والجرائد الشريفة المبادي .
نابذين وراء ظهوركم الكتب والجرائد التي تفسد الاداب وتلقي في مهاوي
العطب والفساد . فاذا راعيتكم كل ذلك كان عمركم مديداً وزمان حياتكم سعيداً
وتتمتعتم بنعيم الحياة وافراحها

الثاني البيت . واريد بالبيت تلك الملكة الصغيرة المعروفة بالعائلة التي
يتولى ادارتها الوالدان . ولا يخفى ان بعض البيوت مربع السعادة والهناء وبعضها
مرتفع الشقاء والعناء فلا بد هنامن سر مكنون تقضي الحال بالنبت عنه توصلاً
الى حقيقة ذات شان

كل انسان يصبو ان يكون بيته مغنى الافراح ومبارة تفرج الكرب
والاتراح لانه القلعة الحصينة التي يأوي اليها حينما تساوره ارزاء هذه الحياة
وهومها ولكن لا تتحقق له هذه الامنية في كل حال كأنها نتيجة طبيعية فاذا
رغب في تحقيقها ترتب عليه ان يسعى لها كما يسعى للحصول على كل ما هو
عزيز وثمين

فاذا اراد الانسان ان ينشي حديقة بذل جهده في انتقاء الاغراس
الذيذة الثمار والنباتات الذكية الرائحة الجميلة الازهار وتعهدها بالركس
والسقي والسماد وكل ذرائع الخصب والنماء . والعائلة اعظم شأناً وارفع
مقاماً من كل الحقائق الغناء . فاذا رغب المرء في ان يكون سعيداً في بيته
وجب ان يختار له ربة جيدة البنية حسنة الاخلاق نقية الاعراق طاهرة

السيرة والسريرة مهذبة لها المام في تدبير المنزل ولو لم تكن ذات مال . واذا ارادت الفتاة ان تحيا حياة سعيدة فلا ترضَ بعلاً لها من كان ماجناً خليعاً سكيراً فظ الطباع بذى اللسان ولو كان على جانب عظيم من الثرة . اعرف فتاة حسناء اديبة تربت في حجر الدلال على اقوم مثال ولما بلغت اشدها خطبها الى ابيها كرام الاصهار فرفضهم لانهم لم يكونوا من ذوي اليسار . ولكن لما خطبها اليه احد المارقين من الدين وواسطة عقد السكيرين لم يتردد في القبول لانه كان غنياً . ولكن كيف كانت حالة تلك الحسناء في بيت اشقى الاشقياء . كانت حالتها اسوأ الحالات وما لبثت ان تبدلت نضارة صباها بالذبول والتحول فعادت الى بيت ابيها الذي جنى عليها بعض اناملها ندماً ولات ساعة مندم . واعرف شاباً اديباً غنياً اقترن بفتاة سمهرية القد متوردة الخد ذات ثروة ولكنها عارية من كل ما تنصف به المرأة الفاضلة فساء عتم ان صار يرى جمالها قبيحاً . لان الجمال الحقيقي يقوم بكمال الاخلاق وحسن الآداب . وكان بيته في عينه جحماً وقعيدته شيطاناً رجياً . ولشدة ما كان يعاني من سوء تصرفها قضى وهو في ريعان العمر وغضارة الشباب فاذا لم تنفق المشارب والاخلاق بين الزوجين فلا هناء والمسئولية في توطيد اركان السعادة البيتية ليست على الرجل وحده وعلى المرأة وحدها بل كلاهما مسئول بذلك . فاذا تذكرنا عهدهما المقدسة بان يعيشا بالمحبة والسلام وثبتا فيها كان عيشهم ما رغيداً ولو لم تتوفر لهما الثروة ولا الجاه اذ المحبة ثأني وترفق ولا تطلب ما لنفسها ولا تظن السوء وتحتمل كل شيء . وحيثما دقت اطناها وضربت قباها رفرفت املاك السلام باجنحتها الذهبية وتصادد بخور السعادة عن مذبح تلك المحبة الحقيقية . ومن اهم الامور للحصول على السعادة البيتية

الدين . ولست اعني بالدين نحلةً مخصوصة . فليت الذي الدين مناره
والفضيلة شعاره تبقى السعادة سائدة فيه ولو خيمت في جوه الاحزان والمث
بسا كنيه طوارق الحدثان لانهم يجدون في مواعيد التقدير تعزية في النوازل
وفي عنايته الخصوصية سلواناً في الخطوب

والاولاد زينة البيوت وابهى حلاها ومجلبة للسعادة اذا نشئوا منذ
نعومة اظفارهم على حب الفضيلة والنقى . سئل مؤخرًا الجنرال كوروكي الياباني
اشاء زيارته الى امركا عن السعادة فقال « ان السعادة هي القناعة بالمعيشة
العائلية والتمتع بزوجة كريمة الاخلاق شريفة المبادي، محبة واولاد حسني
التربية . لان الهناء العائلي هو اساس السعادة في هذا العالم وهو وحده مصدر
النعم والبركات ولا سعادة لانسان بدونه وهناك ايضا واجب آخر لا بد
منه لتوفر السعادة الحقيقية اريد به علم الرجل انه قام بما يفرضه عليه ضميره
من الواجبات » والاختبار اصدق دليل على صحة ما قيل

الثالث خدمة الانسانية . لاخفاء ان الجنس البشري عائلة واحدة ولو
تباين افرادها في الهيمات والالوان وتفاوتت درجاتهم في التمدن والعمران ولم
بعضهم على بعض حقوق متبادلة لا يجوز في شرع الانصاف اهتضامها وديون
لا بجمل انكارها . وكلما ارتقت امة في مراقي الحضارة وامتد سؤددها ونمت
ثروتها عظمت مسئوليتها نحو من هم دونها . والشعور بهذه المسؤولية استفز الامم
المتمدنة الى تلك النهضة الشريفة لالغاء النخاسة وتحرير الرقيق وحداهم الى
تأليف اللجان الخيرية وارسال قوم من نصراء الانسانية الى البلدان التي
لا تزال تنسكع في مفاوز الهمجية لتنوير اذهان سكانها واستئصال شأفة
العادات الوحشية من بينهم ونقلهم من قفار التوحش الى رياض المدنية . ولم

ينحصر عمل تلك اللجان الشريفة بين متوحشي جزائر فيجي ونبوهبرد يزبل
امتد الى من اخنى عليهم الزمان من بني آدم فبنيت المدارس لتعليم الصبي
والصم والمستشفيات لمداواة ذوي الاسقام والمتصدقات ودور العجزة والمياتم
للذين لا ناصر لهم الا الله ومحبو الاحسان فلواستولت محبة الذات وعاش
كل لذاته لعم البلاء وتفاقم الشقاء وهجرت السعادة كل ربع وكيف
يستطيع ان يكون المرء سعيداً والبلاء عام والشقاء متفاقم بين مجاوريه
ومواطنيه وبني جنسه فاذا اردنا ان نكون سعداء فلا نعش لذواننا بل لنبذل
ما في وسعنا لاسعاد غيرنا ممن يفقر الى مساعدتنا . وليس من الضروري ان
تكون المساعدة مالية فكثيرون لا يحتاجون الى المال فعيادة المريض وتعزية
الحزين وهداية الضال واحياء ميت الاميال في الياس كلها خدمات شريفة
تفعم قلب من يقوم بها سروراً وابتهاجاً . قيل ان جلالة الملكة فيكتوريا
كانت تزور المستشفيات من وقت الى آخر وتطيب قلوب المرضى بكلامها
وتخيط ثياباً وتوزعها على المعوزين فتجد في صميمها هذا سروراً داخلياً لم ينلها
مثله جلوسها على العرش البريطاني

وقد يتوهم البعض ان السعيد في الدنيا هو من توفرت لديه اسباب المسرات
وكان له خدم واعوان وبيوت وخيول ومركبات او من كان سامي المواهب
العقلية وبلغ من العلم شأواً بعيداً . ولكن قد يتوفر كل ذلك للمرء ولا يكون
سعيداً . والمقياس الحقيقي للسعادة هو كيفية استعمالنا لما وهبه الباري لنا فاذا
استعملناه لمجرد نفعنا الشخصي عشنا في دائرة ضيقة واما اذا استخدمناه للنفع
العام عشنا في دائرة اوسع وكانت اسباب سعادتنا اوفر . قال احد الفضلاء
ان اسعد الناس هو من حمل العالم على قلبه وغمره بحبته وافاده بمواهب عقله .

الرابع القناعة والثقة بالله . قيل ان القناعة مال لا ينفد وقال الشاعر:
 هي القناعة فالزمها تعش ملكاً لو لم يكن منك الا راحة البدن
 وانظر لمن ملك الدنيا باجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن
 مما يكدر صفو عيشنا ويسلبنا راحتنا في هذه الحياة عدم رضانا بالمركز
 الذي عينه لنا استعدادنا ومواهبنا التي خصنا بها البارئ تعالى وطموحنا الى
 مركز غيرنا وهذا يذكي فينا زار الحسد وبورثنا الغم والكمد . قال بعض
 الافاضل انما خالف الله تعالى بين طبائع البشر ومواهبهم ليوفق بينهم في
 مصالحهم . ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والتجارة والسياسة وفي ذلك
 بطلان المصالح وذهب المعاش . فجعل الله الاختلاف سبباً للائتلاف .
 وكما ارتقى الناس في سلم المدنية والعمران تباينوا في الاخلاق والاذواق
 والعادات والمهن فلوزرنا مدينة من المدائن العظمى في الدنيا كلندن او باريز
 او نيويورك لوجدنا اختلافاً بيناً في طبقات الناس ومهنتهم بحسب تباين
 اذواقهم واستعدادهم اختلافاً لا نجده في البلدان العريقة في الهمجية حيث
 يغلب ان يكون لرجال القبيلة الواحدة عمل واحد كالصيد او الفلاحة . واما
 في تلك المدن فنرى الحاكم والسيامي والعالم والطبيب والمحامي والتاجر
 والواعظ والزارع الى غير ذلك فلو كان كل منهم يكسب على عمله ويشحذ غرار
 القرينة لبلغه حد الانفاق لجنى ثمار انعبه وتمتع بها هنيئاً مريئاً . ولكن لو
 صرف التاجر فكره عن تجارته واخذ يحسد الحاكم الذي ينقد راتباً كبيراً وله
 مقام سام في المجتمع الانساني لاستولي عليه الغم وربما تاخرت تجارته . وهكذا
 لو اخذ الصانع يحسد الطبيب والمحامي متوهماً ان الدراهم تنهال عليهما انهيلاً
 بلا تعب ولا نصب وهو يلتزم ان يكابد عرق القرية ليحصل على ما يقوم

بالحاجيات لعدم الراحة ومني بالياس . وبالاختصار لو كان للانسان مال
كثير ومنصب خطير ولم يكن قنوعاً كان الهم جليسه والشقاء حليفه وانفسه .
ولقد صدق من قال ان العادة هي التوازن بين القوى الداخلية والاحوال
الخارجية فاذا لم يكن توازن فلاسعادة ولذلك نرى ارباب المطامع غير سعداء .
والسعادة الحقيقية التي لا يشوبها شائبة هي مانشات عن مدح الضمير
الصالح والابقان بان وراء النواميس الطبيعية يدأ خفية تدير شؤون هذا
الكون بالحكمة الفائقة ولا تصنع الا الخير وبان وراء هذه الحياة حياة اجد
وابقى لا يمازجها غم ولا حزن . وهذا اليقين كان سر سعادة الابطال والشهداء
الذين احبوا الحق وانتصروا له في كل مكان وزمان وجاهدوا تحت لوائه
بقلوب لم تروعها السجون ولم ترهبها النيران ولا المنون .



خطاب الى السوريين

ﷺ في اميركا

— (لداود افندي بركات) —

يا ايها السوري الذي هجر ربي لبنان وارياضه وربوع سوريا ومراتها
الى بلد انزل الله عليه الخير والنعمة طلباً لتلك النعمة وذلك الخير . وعلى
قلوب اهله النشاط والحرية والهمة والعلم والمدنية تطلباً لتلك الصفات الجميلة
والخلال الحميدة . يحبك اليوم من هاجر هجرتك واغترب غربتك ويمد
اليك من فوق البحار يد الاخاء يحثها لمصاغتكم توقان اليك هو توقان الى
نفسه وغيرة عليك هي غيرة على ذاته . وشغف بك هو شغف بحاله . يرقب

في الرقي والنجاح خطواتك كما يرقب خطواته . ويسير في مصر الهوينى الى
مرامي آماله الكبار ومنازع نفسه ايل نهار وعين منه الى طريق افلاحه واخرى
الى منهج اخيه في العالم الجديد في سبيل نجاحه . فكأنه وكل بشرى يسمها
عنه يعدها لنفسه وكل هجر يقال له فيه اساءة له فيه شطر من روحه فاذا
كنا على صلة ما وعلاقة بالتجارة والصناعة والجمعيات والحياة المشتركة فان
لنا في تلك الارض التي هجرناها والبلاد التي انبتتنا فاحببناها عروة وثقى
تربط متفرقنا وتجمع شملنا بل مرجعاً واحداً يجمع شتاتنا ويوحد امانينا .
فاذا تداعى منا عضو في بلد من بلاد الله او في قطر من افطار اليابسة تداعت
له سائر الاعضاء . فعين تدمع في اطراف اميركا تدمع لها كل عين في سوريا
ومصر بل في كل قارة وپس من العالم حيث يقيم السوري او ينزل . وثغر
يبسم في فيافي السودان تبسم له ثغور اخوانه في كل مكان . فاذا ما اتيج
لنا ان نتناجى على صفحات الصحف وليس لنا وسيلة للمناجاة غيرها اطلقنا هذا
القلم الضئيل يحدث اخواناً بما تكن الصدور وتسرى النفوس وتخفي الضمائر

اخواننا المهاجرون . تركتم بلاداً انبتكم الى بلاد اوتكم . فاذا كان
لثانية فضل المضيف فان للاولى فضل المنبت والوالد والمربي المحب . ولقد
كنتم بررة بتلك الام التي رضعتم افوايق اخلاقها وآدابها ففتحتموها بشجرة
ايديكم وجنى نشاطكم واقدامكم فصارت سوريا على شيء من الثروة والغنى
اذا لم تجسدها سائر الافطار فانها هي ذاتها تغبط نفسها بينين جابت ارجلهم
كل ارض تشرق عليها الشمس بل ان الشمس لا تشرق الان على ارض ليس
فيها سوري حتى صار من حقوق سوريا اذا رات سحابة في الافق ان نقول

لها امطري حيث شئت فان لي من نتاج خيرك نصيباً بفضل ابنائي . لكن هذه الغبطة تشفق ان تكون في ذات يوم غصة اذ تضيق قوة بلادنا المهاجرة ارضنا وننكرنا سلاله تلك القوة ان لم نعرفها ولم نعرفنا . ومن لا يعرف شيئاً كيف يحبه

اجل ان سوريا تشفق منذ الآن من ذلك اليوم العصيب الذي يصيبها فهل ترون يا ابناؤها الذين تحبونها الآن حباً لتحملون معه المتاعب والمشاق لتغذوها بنتاج ايديكم وعرق جباهكم ان تكفوها مؤونة ذلك اليوم الذي تقف فيه ناظرة الى مئات الالوف من خيرة ابنائها وقد هجروها بتاناً ونسوها نسياً تاماً ولم تعرفها سلالتهم »

الا ان لسوريا حقاً نطالبهم به منذ الآن . فاسمعوا صوتها الصارخ ولبوا نداءها العالي وثقوا بالله لا يجتمع الآن سوريان حتى يتحدوا باخوانهم المهاجرين وما لهم فاذا كانت الصحافة بينكم قد خلقت لكم جامعة وذكركم بايام الصبا ومراته وجمال لبنان وبهجة دمشق ورواء حلب وخصب حمص وكرم الادل ومحبة الاوطان فهل يكون ابناؤكم مثلكم وهم لم يتعلموا لغتكم ولم يذوقوا لذة بلادكم ولم ينطبع على قلوبهم وادبعتهم محبة ارضكم ؟؟ . سائلوا ايها الاخوان انفسكم معنا واحيروا الجواب الذي يرضينا ويرضيتكم . احيروا هذا الجواب المرضي بانشاء المدارس التي تعلم ابناؤكم لغتكم وتاريخ بلادكم واحفظوا لاولئك الابناء تلك الجنسية الثمينة لانها لا تضربكم في دار هجرتكم وهي نفعنا ونفعكم لانها تحفظكم لنا وتحفظنا لكم ولان لبلادكم مستقبلاً زاهراً تطل اليه الاعناق منذ اليوم فانتم احق به من كل مهاجر لان السكك الحديدية بدأت بتقريب الابعاد وتقصير المسافات وتعمير الاراضي الخصبه التي لا نظير لها

في الخصب والجودة في سائر المعمور . فقد باتت حلب على مسافة يوم من بيروت وغداً تبين الاناضول على مسيرة يوم منها وبعد غد تصير سهول العراق ومعادن تدمر ومنابع الزيت في ديار بكر على مقربة من اطراف سوريا بل ان سوريا ستكون غداً ما كانته قديماً طريق الشرق الى الغرب وطريق الغرب الى الشرق . وهذا القدر غير بعيد نود ان نراكم فيه معنا بما نعرفه فيكم من النشاط وبما عندكم من رؤوس الاموال فتعمرون ارضكم البائرة الجميلة حيث تجدون العزة التي لا تجدونها في الغربية مهما علا شأنكم وكبرت ثروتكم لان الغريب كالغرسه نخلع من منبتها . نحن كلنا في ديار الغربية نشعر باننا اجانب ومهما كبر تطف النازلين بينهم فانتا لا نستعيز به ما فقدنا



== بطريرفس وجائع يفترس ==

(آية هذا الاجتماع الفاسد)

✽ لداود افندي مجاعص ✽

جاعت فافترست = في سنة ١٩٠٦ نزل مدينة سان باولو في البرازيل عيلة اسبانية قوامها زوج وزوجة وابنتان والبرازيل عامة وسان باولو خاصة بلاد تعود اهلها الاسراف والبذخ وطيب العيشة وحيث فشحت هذه العادات وجب ان ترتفع اسعار الاشياء جميعها فليس للفقير ان يعيش هنالك الا بشق النفس

الاسباني وزجته وابنتاه اربعة في مدينة لا يستطيع الفرد ان يعيش فيها باقل من مائتي قرش في الشهر فاقل قيمة تستطيع هذه العيلة ان تعيش بها هي ثمانمئة قرش شهرياً

قد يكون الوالد يملك نفقات السفر الى البرازيل وقد يكون استد انها
وقد تكون احسنت اليه بها جمعية خيرية والمهم هو انه بلغ البرازيل مع أسرته
وقد خط الفقر على جيوبهم وعش خالياً

لاي سبب استسلم هذا الوالد الشقي الى الكسل ؟ يقول الناس انه خلق
كسلاناً اما انا فلا اعرف مخلوقاً فيه هذا الخلق والطبيعة لا يوجد
فيها شيء اسمه « كسل » وانما هو متولد عن غلط اجتماعي فصح يقال له
« سوء استعمال القوى » او سوء استعمال المواهب فانك ترى في كل مخلوق
ميلاً غريزياً الى عمل خاص تكون الطبيعة قد اهلته اليه من فطرته فخلق
معه في تكوينه فاذا عمل به وجب ان يكون مجتهداً نظراً لدافع اللذة التي
ترتاح اليها النفس بعمل ما يلائم طبيعتها وحتى اليوم لم يفهم البشر هذا السر
كما يجب فتراهم يريدون ان يشغلوا النملة في جراتها والفقير في التصوير
وقد وضعوا امامهم قاعدة فاسدة هي « الانسان ابن تربيته لا ابن طبيعته »
وبناء عليها يحاولون تحويل مجرى القوة الطبيعية عن اصله ويجربون ان
يقاوموا الفطرة وهنا الغلطة العمرانية الفاحشة التي يتولد عنها الكسل

هذا الولد مخلوق ليكون موسيقياً فان راسه الصغير الجميل وعينه اللامعتين
التائمتين وانفه الدقيق ويديه الناعمتين واصابعه اللينة الجميلة واصغائه لموسيقى
الطبيعة وانشاد العصفير وانجذابه للغناء وتحريك يديه ورجليه حركة موافقة
للنغم كلها تدل على انه خلق ليكون موسيقياً

قليل في الناس من يفهم هذا السر العظيم الدقيق والذي يتوقف عليه
الاجتهاد والاجتهاد شقيق الكسل ليس بخلق طبيعي في الناس ولكنه متولد

عن اللذة فالعامل الذي يعمل بما يوافق فطرته تراه مجتهداً فيه بل تراه مستغرقاً في بحر اللذة حتى اذا كلفه لم يسمعك

فاذا جراه البشر في امياله وسمحوا له ان ينصرف اليها ويعمل بها نبغ فيها وكان مجتهداً غير انهم اذا شاءوا ان يحولوا هذا الموسيقى الى حداد فهم يحاولون ان يخافوا رجلاً كسلاناً ذلك لان الحدادة لا تلذ له فاذا زاو لها قد يتقنها ولكنه لا ينبغ فيها ولا يكون مجتهداً . قد ينسى فطرته ولا يعلم ما هو العمل الذي اعدته الطبيعة اليه ولكنه لا يستطيع ولا تستطيع قوة في العالم نزع امياله الفطرية منه فهو اذا طرق المطرقة على السندان او اذا نفخ الكبر تراه يطبق وقع ضرباته على نغم موسيقى وهو عندئذ يكون ضارب موسيقى لا ضارب مطرقة ونافخ كبر فاذا سمع نغماً موقعاً انجذبت نفسه اليه على الرغم منه وبقي مشنت الفكر حائراً لا بدري ماذا يصنع ومن هذه المادة بنحت الكسل

والمهم الان ان اولياء الاسباني الشقي لم يعرفوا كيف يجارونه في طبيعته فنشأ كسلاناً بل فقد قوة الارادة وكان كلما حاول الشغل اقعده عنه موانع اصبحت غريزية فيه فاقتعد غارب القعود وارسل ابنتيه الى العمل كارمن في السابعة عشرة من سننها واليصابات في الثامنة عشرة خنع عايمها الصبار داء الجميل وصنع وجنتيهما بحمرة الورد واجرى في عروقها ماء الحياة والنضارة واعطى الزهرة جمال التكوين فكانتا تتالين حين لها على الارض

دخلت هاتان الزنبتان الطاهرتان الى قبر من قبور الاحياء اسمه معمى داني السقف من الارض كثير الرطوبة فاسد الهواء بما يتجمع اليه من

انفاس العمال وقذارة المواد فلم تلتفتا الى شيء من كل هذا وكل ما كان
يهمهما هو تحصيل ما يقوم باود العيلة ويكفيها ذل السؤال

مائتان وخمسون قرشاً فقط هذه القيمة الزهيدة كانت اجرهما في الشهر
فبكل سهولة يستطيع القاري العزيز ان يتمثل حالهما من البؤس والشقاء
في بلاد كل شيء فيها عزيز غال

ابنتان في ريعان الصبا في شرح الشباب في الزمن الذي يبسم لهما
فيه كل ثغر وتحديق اليهما فيه كل عين فتقع على جمال رائع ولطف باهر
تعيشان مع والديهما بمايتين وخمسين قرشاً

ان داء الكلب الذي يصيب البؤساء المعدمين يصيب كثيراً من
الاغنياء البخلاء الذين يزدون نتناً كلما ازدادوا مالاً فبهذا الدافع او بغيره
اقدم صاحب المعمل الذي يعمل فيه الابنتان على خفض معاشهما
وهذه خلة فاشية في اصحاب المعامل على الخصوص فاكثر اصحاب
معامل الحرير عندنا يقدمون بكل دناءة على سلب عائلة فقيرة بعض اجرها
فالواحد منهم يربح الوف الليرات وكل هذه لا تكفيه حتى يتناول من
فم المسكينة الفقيرة آخر لقمة مغموسة بالدم فيتلذذ بها كالوحش الضاري
واحد يأكل زاد الف وكثيرون هم الافراد الذين يأكلون زاد الوف
من اخوانهم ويتركونهم يقاسون الام الجوع المبرحة وهذه هي الطبقة التي
لا شعور فيها تولد في النعمة وتتربى في النعمة وتشب عليها ولا تشعر بحر
الشمس وقرس البرد وذلة الفقر ومضض الجوع فتظن ان كل ما في العالم
من المخلوقات غني مثلها ولا يشعر المرء بمصائب الناس حتي تحمل به المصائب

او حتى يسمع انين البؤساء المساكين الذين لفظتهم السماء واعنتهم الارض
وجد في اثرهم الشقاء فهم دائماً في تيار من المصائب والالام يضرب بهم
جنادل شاطي، الاجتماع الصماء فلا يسمع غير تحطيم ضلوع وتمزيق احشاء

اقدم صاحب العمل الكلب على انقيص اجرة العاملين الفقيرتين
فاصبح ماثلناولانه من الاجر لا يقوم بنفقات القطار وثن الاحذية وكانت في
المعمل على جمالها وادبها وانكسارها موضوع هز، وسخرية للعملة وهما لا تديان
تذمرًا ولا تمررًا لشعورهما بالواجب العظيم الذي حنى هامتيهما لهذا العمل الشاق
في هذا الزمان الذي يتطلب السرور والثروة والبذخ والتأنق زمان
الصبوة الذي لا يقنع فيه الجمال بثوب رث وستار بال الزمن الذي تلفح
فيه نسيمات الحب الحارة المحيية قلوب الفتيات كانت كارمن واليصابات
على جمالها وشبابهما الغض تقنعان بثوب بسيط من الشيت وبما حضر من
المأكول وتأويان مع والديهما الى غرفة صغيرة في زقاق قذر

وكانت الوالدة ترى الضنك الذي سيجل بهم جميعاً وترى ان ماثلناوله
البنان لا يفي بشيء من اكثر ضروريات الحياة فاعملت الفكرة جيداً في
استنباط طريقة لزيادة الكسب استعانة على لوازم المعيشة فكانت كلما طرقت
باباً وجدته موصداً بمقاليد البخل وكلما حاولت استفتاح نافذة فرج وقف
لها الحظ النكد في السبيل

تركت البنتان المعمل لان صاحبه الوحشي كان يحاول افتراس كل
نعجة هادئة في القطيع فكما راء عاملاً صامتاً كئيباً علم من كابته انه
معدم وانه في حاجة شديدة الى العمل فلا يتردد في ان ينقص من اجره

علماً منه بان هذا الجائع يتبع الكسرة كما يتبع الرغيف
 فقر وعري وجوع وبؤس وساء سوداء لا يخترقها نور الامل وبشر
 كاشرون عن انياهم يزعمرون ويزأرون ويعتركون في سبيل اللقمة هذا
 هو الوسط الذي كانت فيه العيلة الاسبانية المسكينة فيا رعى الله زماناً لم تكن
 فيه قصور وابراج زماناً كانت الارض خصبة طيبة ايام لا غني مفترس ولا
 فريسة جائعة ايام لم تكن الارض مسورة بالشريط الشائك ايام كان كل
 مخلوق قادراً على تناول قوته من كف الطبيعة السخي

السماء صافية الاديم في يوم احد من شهر حزيران الذي يتساقط فيه
 الندى بكثرة وتهب عليه الريح الباردة فتجمده ويحدث انبرد القارس في
 اميركا الجنوبية

وعلى الطريق العمومية المؤدية الى الكنيسة الكبرى كانت كارمن
 واليصابات واقفتين ملتفتين باسما بالية خفيفة لاتدفع البرد ولا ترد سهام
 الحروكل من مربهما وشاهد جمالهما الفتان تاخذه الشفقة على هذه الجسوم
 الغضة المرتجفة من البرد وكلما مر شاب من شبان النعمة ينظر اليهما نظرة
 معناها « بكم تبغ هتان الفتاتان طهارتهما ؟ » هذا السؤال القاسي كان
 اول ما يجول في خواطر الشبان المتدينين ابناء الاسر الكبيرة التي ابطرتها
 الثروة فاصبحت ترفس الهواء

وكانت الوالدة واقفة تنظر من بعيد فعلمت ولم تك جاهلة ان جمال
 بنتيها فتان يجتذب القلوب فدنت منهما وفي تلك الساعة مرت عربة فاخرة
 يقودها جوادان مطهمان وفيها امرأتان عليهما من اللباس الفاخر والحلي

ما يأخذ بالأبصار هذا وقد حسرتا عن سواندهما وصدرهما المخضبة بجمال
الحوانيت فالتفتت اليصابات الى كارمن وتنهت فادركت الام ماجال في
خاطر ابنتيها فالتفتت اليهما وقالت « اوتريدان يا ابنتي العزيزتين ان تكونا
مثل ركب هذه المركبة » فنظرت اليها الصغرى بعين شكرى بالدمع ولم
تنبس ببنت شفة اما اليصابات فقالت ومن اين لنا هذا ونحن على ما نعلمين
من قلة الناصرو ذات اليد فاجابت الام ذلك الي فانصرفا الى البيت

وكان مساء ذلك الاحد والساعة تدق الساعة لما كانت الام الشقية تاج
عتبة بيت جميل ملوؤه رباش فاخرة واثاث ثمين وما كادت تطرق الباب حتى وافتها
خادمة مسنة وسالتها عما تريد فقالت اريد مكاملة صاحبة البيت بامر ذي شان
وكانت ربة المنزل امرأة في الثلاثين من سنينها جميلة الطلعة ممثلة
الجسم بهية الشباب تأخذ بجامع القلوب فدخلت عليها الاسبانية فوافتها
جالسة على كرسي هزاز في وسط غرفة جميلة النقوش فاخرة الفرش مزينة
زينة باهرة كانها غرفة عرس اميرة ولكن صاحبها المستلقية على الكرسي
كانت جامدة لا تتحرك وقد حدثت في الفضاء الواسع كان عينها مسمرتان
في محجريهما فلا تطرفان وقد بدت في وجهها الجميل دلائل القلق
والاضطراب فتحرك شفتيها كانها تقول شيئاً ولا تنطق به ثم تدرجت
على وجنتها الفضة قطرات دمع سخينة فتناولت منديلها ومسحتها وعادت
الى نفسها فرأت امرأة بالباب

بعد مكاملة نصف ساعة خرجت الاسبانية من بيت الشقاء وسددت
خطواتها الى منزلها وعلى اسرتها سياء العزم الاكيد كانها مقدمة على امر عظيم
تحتاج فيه الى قوة الارادة وصحة المزينة

وفي مساء اليوم الثاني كانت كارمن واليصابات مع امهما في بيت المرأة الجميلة ولم تكن الفتاتان قد شاهدتا مثل هذا المنزل في انقائه وجمال سكانه وترفعهم نخيل لها ان السعادة ترف بجناحيها فوقه وان الغنى مدفون طي جدرانها فدخلتا مع والدتهما الى حجرة السيدة فشاهدتا تلك المرأة الجميلة الجذابة الطلعة فالتتا اليها نقبلان يديها اللتين تنتظران منها السعادة ورغيد العيش الفلها الوالدة بين يدي مومس وخرجت وكانت البغي تنظر اليهما وقد تمثلت لها سيرة حياتها جسماً كاملاً منذ عرفت الوجود الى ان ادركت الثلاثين واصبحت غنية ذات ثروة وخدم فرأت ذلك الجسم البهي الذي كانت تلبسه نفسها الطامعة في سني صبوتها وما عليه من الجمال الحقيقي جمال النفس النقية والادب الصحيح حتى ادركت العشرين فرأت ذلك الجسم الغض الجبل قد اصبغ كزهرة نزع عن امها فتناولتها الايدي فجعاتها ذابلة قدرة ثم رأت نفسها مع ما هي فيه من بسطة العيش والثراء معرومة ذلك الحق السامي الذي اعطاه الطبيعة لكل بنينا حق الحرية الشخصية المقدس الذي لا يباع بشئ ولا تعادله قيمة في العالم وقابلت بين حالها الحاضرة وهي العوبة بين ايدي حيوانات المدينة وبين ان تكون ربة عيلة شريفة يدرج حولها ملائكة صغار يجاذبون اطراف ثوبها وينادونها يا امي فرأت البون عظيماً والفرق جسيماً فهي تخرج اليوم في مركبتها الفاخرة تجرها الجياد مجلاة بالفضة ومع كل ما هي عليه من جمال الطلعة والغنى لا تستطيع ان تمنع ايدي الناظرين من الامتداد اليها والسنتهم من ان تقول هذه بغي هذه مومس فترى كل ما هي فيه من نعيم وثروة قد استحال الى تراب ويخيل لها ان تلك الايدي الممتدة اليها سهام تمزق احشاءها وان اسمها

المحققة: بديعة عليها مع انهم لو كانت ذات بعل لكأن القبعات ترتفع لها وكل
اصدقائها يحيونها باحترام ويدعونها سيدة وهي في بيتها ملكة شعبها الصغير
الذي هو اولادها وخدمها هذا فضلاً عن الشباب والجمال الذين هم اعز
ما في وجود المرأة يمكن الاحتفاظ بهما وقتاً طويلاً في المعيشة العائلية لا يتوفران
لديها في حالها الحاضرة وهي كالساعة المتبدلة لنقل من يد تفركها الى يد
توسخها فلا يطول بها الاجل حتى تصبح مهراً قدرة تقضى بها العيون وتقرز
منها النفوس فيعرض عنها اصحابها ويعافها طلابها وينقلبون الى غيرها ممن هن
احدث منها عمرًا واطراً قشراً وتغدو وحدها تقاسي آلام الغيرة وثورة بركانها
في ليل من الياس لا يومض به برق الرجاء ولا يطاع به نجم الامل واين
الرجاء واين الامل متى ولى ربيع الشباب واقبل المشيب ينذر بثلوجه وصقيعه
وبحق يكتب على قلب البغي المسكينة التي انظمتها الانسانية الجائرة الى
هاوية الشقاء ما خطه دانتى شاعر الايطاليان على ابواب الجحيم « ايها الداخلون
اليها اطرحوا عنكم كل امل » وما اضيق العيش لولا فسحة الامل

كل هذه الافكار تدافعت الى راس البغي التي اعتبرت بنفسها واتعظت
بغيرها وجرحتها الايام جرحاً لا يندمل الى الدهر ولا يشفى الى الابد ورأت
بعين عقلمها عظم الذنب الهائل التي تقترفه بالبغي على شباب هاتين الشابتين
والهاوية العبيقة التي تطرحهما فيها فهالها الامر واكبرت الجريمة ووخزها ضميرها
الذي كشفت عنه العبر والمصائب غطاءه الثقيل المتلبد طبقات بعضها فوق بعض
وان النفوس الطيبة الفطرة الشريفة الخلق مهما توالى عليها الازمان ودنسها
لاوزار والاثام لا بد لها من صحوة يكون الاصل الزكي فيها عوناً على العود
الى شعورها السامي وخلقها النبيل وهكذا كانت هذه البغي طيبة العنصر

كريمة الارومة قذفت بها عذيات الزمن الى هاوية الشقاء والقها صروف
 الدهر بين مخالب الفقر وانياب الذل حتى سقطت من حلق مجد الطهارة
 والعفة فتلقتها ارض قحلة يابسة لا تشفق على قلب منكسر ولا تغفر جريمة
 مسيء ولا تؤاخذ نفسها باعمالها وهي في حاجة دائمة الى ضحايا جديدة تروي
 بها غلها فكانها اولئك القوم الاشقياء الذين اذا بدرت منهم جريمة وناداهم
 صوت الحق الحي في النفس بالمواخظة لم يعلموا كيف يكفرون عن جرائمهم
 فيحاولون خنق ضمائرهم بثقلها بجرائم جديدة ظناً منهم بان كثرة الجرائم
 تخنق الضمير وتثقل الشعور الحي الذي يقاص المذنب في نفسه باشد مما
 نقاصه كل القوانين والعقوبات البشرية فاستيقظت هذه المسكينة كما تستاق
 كل نبي مكرهه مدفوعة بيد من حديد الى التهور في جحيم البغي فكانت
 تباع شرفها وطهارتها وصحتها وجمالها في سبيل اللقمة

وكانت البنتان لا تدريان ما يخلج به قاب المرأة التي حسبتاها احدى
 الاميرات فلبثتا صامتتين هيبته ووقاراً لسيدتهما اما هي فما لبثت ان عزمت
 على تخلص نفسيين بريئتين طاهرتين لا ذنب لهما غير وجودهما في وسط
 جائر فاس يغطي بصلبه ويندخ بكلكله على الضعيف الساقط فيجعله في
 سقوط مستمر لا يشعر بغير الضغط من سمائه والغرق من ارضه

وهكذا كان شعور المومس الشريف اسى جداً من شعور الام الشقية
 بل من شعور الوسط الذي ربيت فيه البنتان فلم ينتشلهما من الهاوية ولا
 مدبداً لمعونتهما فمادت البغي الى البنتين وانتهت اليهما خلاصة ما تقدمان
 عليه وما تسقطان فيه واي شقاء واي مستقبل اسحم مكفر بسحب البؤس
 والنكد ينتظرهما فسقط الامر على الشابتين سقوط الصاعقة او اشد لانهما

لم تكونا تعلمان من جلية مصيرها شيئاً فعادتا الى البيت لثمران بالحجل وقد
اندى الجبين وتساقبلان العري والجوع وقد مزق الاحشاء واسال العيون
وكما يعود النهار الى الظهور وكما يتعاقب النيران وكما تجدد مطالب
الحياة على كل حي هكذا تجددت مطالبها على العيلة الاسبانية المدممة
وعاودها الجوع والعري والطوى وعادت البنتان الى التهنيد والياس وعادت
الام الى مطامعها وشدها محاولات ان تمنع ابتيها بالرضى ببيع جمالها في سوق
الدعارة بغية الغنى فلم تفلح حتى نزلت مدى الجوع الى الاحشاء وعمات
قوارس البرد في البدن وحتى وقفت الفتاتان على مثل حد السيف بين
الانتحار وبين الموت جونا وبين الانغماس الى الهامة في حمأة الفجور وبالله من
هذا الموقف المائل الذي تخور فيه قوى اعظام الرجال الذين خبروا الدنيا
وقلبوا الحوادث وعمرهم الدهر فكيف بابتين لم يشق سيف التجارب
غشاوة البيت عن عيونهما

مسكين الضعيف الساقط واي مسكين تسد السماء اذنفا دون صراخه
ولنعمي الارض نواظرها دون شقاوته فهو على حد ما قال فيكتور هيجو شاعر
الفرنسي « قد اصبح في غمرات المياه ولم يبق تحت قدميه غير الخور
والغور وقد احاطته بصورة رائعة امواج قطعها الريح ومزقتها واخذ منه دوار
الهاوية واضطربت حول راسه المياه ونقلت في وجهه رعاغ الامواج وكادت
تبتلع فوهات لا تعرف ماهيتها وكلما غاص تراءت له وهاد ملوءها ظلمات
وقبضت عليه نباتات رائعة مجهولة واوثقت رجله وجذبت اليها فشعر انه
صار جزء من الهاوية واصبح رشاشاً من الرغوة واخذت لتلقفه الامواج
واحدة اثر اخرى وهو مع ذلك يجاهد يحاول البقاء يبذل الجهد ويسبح

هكذا هذه القوة الضعيفة الواهية تقاوم مالا يهي ولا يضعف رفع عينيه الى العلاء ولم يجد سوى الغيوم مكفهرة فبقي ينظر وهو في حالة النزاع الى مشهد جنون البحر وقد سمع اصواتاً غريبة خيل له انها آتية من عالم آخر من مكان آخر هائل خارج عن الارض . ان في الاعالي طيوراً ولكن ما لنفعه . فهي تطير وتغرد وتسبح في الفضاء وهو يقاسي النزاع راي نفسه دفيناً بين اللانهايتين البحر والسماء . فذلك قبر وهذه كفن اتى وقت الليل وقد مضى عليه ساعات في الماء حتى خارت قواه . فالمركب تبتعد حتى توارت وبقي وحده في هاوية البحر والظلمة . تصلب واختبط شعر تحته بامواج الغير المنظور فنادى . ليس من بشر يسمع فاين الله (الكفر رفيق اليأس) نادى وكرر الرجاء مرات . لا شيء في الافق لا شيء في العلاء . فاستغاث بالاتساع والموج ونبات البحر وصنوره . كل هذا اصم لا يسمع . استجار بالعاصفة . ولكن العاصفة لا تتأثر ولا تطيع غير اللانهاية . فمن حواليه الظلام والوحشة والضجة وتجمد المياه الخيفة وفي داخله الرعب والوهن وتحته السقوط . وليس يجد ما يستند اليه . فتذكر حوادث مخيفة عن سقوط جثة في الظلام المتناهي . فشلت من البرد اعضاؤه ونقلصت يداها وانطبقتا فلم تقبضا على غير العدم . فلا الريح تنفع ولا السحب ولا العواصف ولا النجوم . ؟ اخذ منه اليأس ولم يجد مناصاً من الملاك . فكف عن الدفاع وسلم نفسه فغاص الى الابد في اعماق الغمر المخيفة

فيا الله من سير المجتمعات البشرية لكم تهلك في طريقها من اناس ونفوس . بحر عظيم يسقط فيه كل ما تطرحه الشريعة . لا معين ولا نصير . فيا الله من هذا الموت الادبي

البحر هو الظلمات الاجتماعية التي يطرح فيها من قضي عليهم
بالهلاك . البحر هو التعاسة التي لا حد لها»

واخيراً تغلب الجوع والضعف والفقر على البنين وألهما فقذفتا من
جديد الى فوهة البركان الذي نجتا منه فيما مضى

قضي الامر وادخلت البنات الى حيث لم تكن تلك المومس الشريفة
الحية الشعور بل الى حيث كانت مومس اخرى ربها بطنها والها كيسها فانزلتها
الى سوق الدلالة وطافت بالاعلانات على شبان النعمة تساومهم طهارة كل
بنت بخمسين ديناراً وقبل ان يحل القضاء المبرم ونقض الصاعقة درت
الحكومة بالامر وجاء الشحنة وبحثوا في المنزل عن البنين واعادوهما الى
بيت والدهما واستاقوا الام والمومس الى المحاكمة

وهنا جريمة الانسانية الهائلة يستاقون الجائع الى السجن ولا يستاقون
الجوع يقاصون الشقي ويتركون الشقاء يخلق كل يوم شقياً جديداً ويتنعمون
من البائس ولكن البؤس كالاسد يزأر في منعطفات الاسواق وفي بيوت
الفقراء وعلى سلاالم المراسم والملاهي ولا يعترضه او يقف في سبيله احد
اسجنوا البؤس يا قوم وانقموا للاشقياء من الشقاء واسجنوا الجوع
ضمن جدران من الحديد

امحوا الجهل بل اقتلوا الوحش الضاري من نفوس ابناء النعمة والثراء
بل اخنقوا جرائم داء الكلب الذي يصحب اكثر الطبقة الغنية ومتى عمات
هذه كلها فحولوا سجونكم الى مراسم ومستشفياتكم الى متازهاة وحدائق
عندئذ تستغني الحكومة عن السجن والجند ويسود السلام ولا يكون على



الارض بطريرفس وجائع يفترس

نفائس العربية

لجرجي بك ديميري مرسق

امماء الكتب المطبوعة في مطابع اوربا ننشر اسماءها بالتتابع مبتدئين بمطبوعات
البلاد الالمانية

مطبوعات مدينة لايبسيك

ثمنه بالنقريب

جلد غروش سنة طبعه

١٨٧٢	٢٥٠	٢	كتاب الفهرست لمحمد بن اسحق بن ابي يعقوب
			كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون لمصطفى بن
١٨٥٨	٧٢٠	٧	عبد الله جلبي حجي خلفا
١٨٥٠		١	المملقات السبع وشرح عليها
١٨٦٧	١٠	٠	ديوان عاتمه الفحل الكراس الاول
١٨٥٠	٢٣	١	مفضليات الضبي وشروحها
١٨٦٧		٢	القصائد الحميرية في اخبار اليمن والتبابعة في الجاهلية
			لجمال الدين بن هشام
١٨٧١	٣٣	٢	شرح قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير
١٨٧٥		١	معلقة الاعشى
١٨٩٣	١٦	١	خمس قصائد من ديوان عمر بن عبد الله بن عبدربه
١٨٧٠	١١٧٥	٦	معجم البلدان لياقوت الحموي
١٨٨٧	٨٠	٣	مجموعة عما كتبه العرب عن جزيرة صقلية ونارنجها
			وتراجم رجالها
١٨٥٨	٣٣	١	اخبار ايام مكة لمحمد بن عبد الله اليمني الازرق
١٨٨٣	٦٠	١	النراية ونارنج الاشرف الامام ابي حسن البلاذري
١٨٤٨	١٠٠	٢	تاريخ بين ملوك الارض والانبياء لحرزة بن الحسن الاصفهاني

جلد غروش سنة طبعه

١٨٧٨	١٣٥	٠	تاريخ الامم الشرفية لابي الريحان البيروني
١٨٧٦	١٣٥٠	١٤	كامل التواريخ لابن الاثير الجزري عز الدين
١٨٣١	٢٧	١	تاريخ ابي الفداء
١٨٧٤	٢٠٠	٤	مجموعة اخبار مكة
١٨٤٦	١٧٠	٢	انوار التنزيل وامرار التأويل الامام البيضاوي
١٨٢٥	٧	١	كتاب الجهاد من مختصر الفقه لابي الحسن احمد القدوري
١٨٤٨	٥	١	ام البراهين والعقائد السنوية الصغرى لمحمد بن يوسف السنوسي
			مجموعة فلسفة العرب في القرن التاسع والعاشر حكمة
١٨٩٣	٥٢٠	١٦	ارسطاطاليس ورسائل اخوان الصفا
		١	المتون التي تمين على جمع تاريخ بني مزيد
١٨٤٦			كليات ارسطاطاليس لاسحق بن حنين
١٨٧٥	١٠	١	رسالة في التنجيم لابي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي
١٨٨٦			خلاصة الوفا في اختصار رسائل اخوان الصفا
١٨٨٣			تعليم المعلم طريق التعلم لبرهان الدين الزرنوجي
١٨٤١	٢٠	١	رسالة في التعريفات لمحيي الدين بن العربي الملقب بالشيخ الاكبر
١٨٤٨	٣٥	١	كتاب المواقف في اصول الدين والعقائد لعبد الدين الايجي
١٨٤٥	٢٠		التعريفات في مصطلح الفلك والعلوم لعلي بن محمد الجرجاني
١٨٥١			مقالان في العقلية لابي الحسن بهمنجار بن المرزبان
١٨٧٨	١٢٦	١	الاقنون المسعودي في الهيئة والنجوم والجغرافية للبيروني
			رسالة فيما جرى بين المتنبئ وسيف الدولة الحمداني صاحب
١٨٤٧	١١	١	حلب للثعالبي
١٨٧١	٥٤	١	مقامات الحريري
١٨٨٦	٥٠٠	٢	شرح المفصل لابن يعيش الحلبي
١٨٥٠	٦٥	٢	المقدمة الادبية معجم عربي وفارسي للزنجشيري
١٨٥١	٦٠		الخلاصة الفية ابن مالك مع شرح بن عقيل لابن مالك
١٨٧٥	٢٧	١	كتاب النصيح لابي العباس احمد بن ثعلب

جلد غروش سنه طبعه

١٨٦٧	٢٧	١	المغرب في الكلام الاعجمي لابي منصور الجواليقي
١٨٨٢	٤١٠	٤	الكامل في اللغة والادب للمبرد
١٨٣٧	١٤	١	مطلوب كل طالب في كلام علي بن ابي طالب
١٨٦٢	١٨	١	ناج التراجم في طبقات الحنفية لقاسم بن عبد الله الحنفي
١٨٣٤	٥	١	بعض اشعار لابي اسحق مع عدة منها لابي الفرج
١٨٩٧	٢٧	١	مجموعة الغاز
١٨١٦	١٣	١	ديوان مدح السلطان شمس الدين ابي المكارم لصفي الدين الحلبي
١٧٩٢			ملقة زهير ابن ابي سلمى المزني
١٨٩٧	٤٨	٠	ديوان حاتم الطائي
١٨٦٤	٢١	٠	الانجيل الشريف
١٩٠٠	٢٠٠	٣	السيرة النبوية لعبد الملك بن مشام عن ابن اسحاق
١٨٨٣	٢٥		قصيدة نظمت فيها قصة يوسف مأخوذة عن المكتبة الاسبانية

مطبوعات بلدة غوثنفن

١٨٦٣	١٥	١	ديوان عروة ابن الورد
١٨٤٩	٧٥	٢	آثار البلاد واخبار العباد لذكرى الفزويني
١٨٣٥	١٤	١	جغرافية مصر لابي الفداء
١٨٧٦	١٢٠	٢	معجم ما استعجم لابي عبد الله البكري
١٨٤٦	٤٢	١	المشترك وضعاً والمفترق صقلاً لياقوت الحموي
١٨٥٠	٦٥	١	كتاب المعارف لابي محمد الدينوري
١٨٢٥		١	اللباب في انساب العرب لابن الاثير عز الدين الجزري
١٨٤٥	٢٥	١	تاريخ الاقباط لثقي الدين المقرئ
١٨٤٧	٧	٢	البيان والاعراب بما في ارض مصر من الاغراب لثقي الدين المقرئ
١٨٤٥			السلوك في معرفة دول الملوك لثقي الدين المقرئ
١٨٥٦			تاريخ الممالك في مصر لابن عبد الحكيم

جلد غروش سنة طبعه

١٨٥٠			رسالة في اسماء القبائل المتشابهة وغير المتشابهة لمحمد بن حبيب
١٨٤٧	١١٥		سير مشاهير اوائل الاسلام لابي زكريا النووي
٨٤٢	٥٥٠	٣	كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان
١٨٥٤	٨٥	١	اشتقاق اسماء النسبة لابن دريد الازدي
١٨٠٧	٩	١	قصة الوزراء العشرة وما جرى لهم مع ابن الملك ازار بنحت
			وحكايات مختلفة
١٨٧٨	٢٠	١	عشيرة الزبير وموت مصعب بن الزبير لابي عبد الله القرشي
١٨٣٤	٦٥	٣	طبقات الحفاظ للذهبي

مطبوعات بلدة بون

١٨٢٧	١٧	١	معلقة طرفة بن العبد
١٨٢٧	١٧	١	معلقة الحارث بن عباد
١٨٥١	٦٧٥	٣	ديوان الحماسة مع شرح التبريزي عليه
١٨٧٤	٧		شعراي الحارث غيلان بن عقبة الملقب بذي الرمة
١٨٨٥	٧	١	وصف فلسطين وسوريا لابي عبد الله الادريسي
١٨٢٨	١٤	١	تاريخ ولاية اليمن في زمن حسن باشا
١٨٥٢	٢١	١	فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عرشاه
١٨٢٠	١٤	١	تاريخ ولاية سمرقند الدولة على حلب
١٨٥٣	٣٥	١	الاحكام السلطانية والولايات الدينية لابي الحسن
			علي البصري الماوردي
١٨٣٦			ارجوزه في المنطق لابن سينا
١٨٤٣			زيج اي جداول الرصد لمحمد بن جابر الرياضي الفلكي
١٨٤٣	١٣٥	٣	مجموعة من امثال العرب لاحمد بن محمد الميداني البسابوري
٨٣٦			بعض رسائل في الفلسفة لابي النصر محمد الفارابي
٨٢٣	١٠	١	امثال لقمان الحكيم

مطبوعات برلين

جلد غروش سنة طبعه

١٨٩١	٩٥	٠	المعلقات السبع
١٨٩٥	١٤	١	ديوان طرفة بن العبد بن سفيان البكري
١٨٩٠			منتخبات الاشعار العربية
١٧٤٥			رسالة ابي دلف عن سلك طريق اسيا لابن بطوطة
١٨٨٣	٥٤	١	الغازي النبوية في المدينة لابي عبدالله محمد بن عمر الواقدي
١٨٩٠	٠٠	١	طبقات الصحابة لمحمد بن سعد الزهري
١٨٤٣	٧	١	خلاصة الحساب للشيخ بهاء الدين بن الحسين العاملي
١٨٦١	٢٠٥		شرح ديوان المتنبي لاحمد بن عبدالصمد الجعفي العكبري
١٨٩١			قصة طيب وجار كوخ ؟
١٨٥١		٢	النوادر الاسيوية في العلوم والفنون والاخلاق
١٨٨٦		١	خلاصة الوفاء في اختصار رسائل اخوان الصفاء
١٨٥٠		١	امثال لقمان الحكيم
١٨٨٧	١٧	٠	شرح على رسائل الشيخ عمران موسى بن ميمون بن يوسف
١٨٨٤	٢٠٥	١	آتمة ديوان الشعراء الهذليين المطبوع منه الجزء الاول في لوندرة
١٨٧	١٤	١	اصل الاديان في الشرق

مطبوعات غريفة سوالد

١٨٦٩	٠٠	١	ديوان طرفة بن العبد
١٨٥٩	٠٠	١	قصيدة نابط شرّاً لامية العرب وشرحها
١٨٣١	٨٠	٢	تاريخ الملوك ورسائل الله لمحمد جبر الطبري وترجمته باللاتيني
١٨٥٩	٤٥	١	قصيدة خلف الاحمر وترجمتها باللاتيني
١٨٦١	١٢	١	ديوان ابي نواس
١٨٦٠	٣٨	١	الاداب السلطانية والدول الاسلامية لفخر الدين بن الطقطقي
			فتوح البلدان للإمام ابي الحسن احمد بن داود
١٨٧٣		١	البغدادى البلازري

﴿ ملاحظات ﴾

- (١) بعض الكتب المذكورة مترجمة من اللاتينية او الالمانية وهذه الترجمات مجموعة مع الاصل العربي
- (٢) قد ذكرنا الاسعار بوجه تقريبي وقد تختلف فيما اذا كان الكتاب المبتغى شراؤه جديداً او مستعملاً والعادة ان يترك الكتبي للمشتري خمسة من ال ١٠٠ عشرة الى عشرين حسب الاتفاق
- (٣) ان اهم باعة الكتب العربية في المانيا هما المذكوران ادناه فمن شاء مراسلتها فليحرر عنوانهما هكذا

MR. OTTS HARRASSORITZ

QUERSTRASSE 14

LEIPZIG

MR. SPIRGATIS MARIENSTRASSE 23

LEIPZIG

﴿ ستأتى اسماء بقية المطبوعات في الجزء الثاني ﴾

﴿ فهرس الجزء الاول ﴾

من

﴿ كتاب المختار ﴾

صحيفة

٢ مقدمة كتاب المختار

٥ الزهرة للشيخ ابراهيم اليازجي

- ١١ جمل ادبية لاحمد افندي فارس
- ١٥ بعض البلاء لاديب بك اسحاق
- ١٦ سفر الطبيعة لابراهيم افندي الحوراني
- ٢٥ الدنيا وما فيها لابراهيم افندي منذر
- ٣٨ خطاب للشيخ احمد افندي عباس
- ٤٦ القبور بقلم الياس افندي طراد
- ٤٩ في المدنية لامين افندي الحداد
- ٦٢ غصن من الورد لامين افندي ربحان
- ٦٦ المصائب محك الرجال لانطون افندي جميل
- ٦٩ الزيجة خير من العزب للدكتور اسكندر بك البارودي
- ٨١ خطبة لامين بك ناصر الدين
- ٨٤ نظام العالم الفاسد لامين افندي الغريب
- ٨٧ العصية لامين افندي رضا
- ٩٩ تأبين اليازجي للدكتور اسعد افندي عفش
- ١٠٢ لمحة اقتصادية لانطون بك شحير
- ١١٠ قيمة التريبة لبولس افندي الخولي
- ١٢٠ البيان باللفظ للدكتور بشاره افندي ززل
- ١٢٩ ما اضيق العيش لولا فسحة الامل لبشاره عبد الله الخوري
- ١٣٣ الخريف لجبران افندي خليل جبران
- ١٣٥ الى ما ذا نحن صائرون لجبران افندي ضومط

- ١٥٤ تهذيب النفس لجرجس افندى همام
 ١٦٧ آلهة السوربين لجرجي بك ديمتري سرسق
 ١٧٣ سوء التفاهم لجرجي افندى نقولا باز
 ١٧٧ في التاريخ لجرجي افندى بني
 ١٨٤ الفراغ مفسدة لجرجي افندى زيدان
 ١٩٧ احكام الترجمة لجرجي افندى عطيه
 ٢٠٥ بين تضاعيف الحياة لجرجس افندى خورى كرم
 ٢٠٩ اسرار الكائنات لجليل افندى بيهم
 ٢٢٣ الحياة السعيدة لداود افندى قربان
 ٢٣٣ خطاب السوربين في امريكا لداود افندى بركات
 ٢٣٦ بطريرفس لداود افندى مجاعص
 ٢٤٩ نفائس العربية لجرجي بك ديمتري سرسق

— خاتمة الكتاب —

تم بحوله تعالى طبع الجزء الاول من كتابنا المختار من عرائس الافكار وقد جهزنا
 اكثر مادة الجزء الثاني وسندفعها للطبع بتعريبها وترتيبها وعسى ان نلاقي من القراء
 والادباء نشيطا ينشط بنا الى اتمام المشروع فنصدر الاجزاء التالية بين منظوم ومنثور
 فتكون مكتبة كاملة تجمع امثلة كتابية لاكثر كتاب العربية المتأخرين وتزدان به
 المكاتب ولا يستغني عنه متأدب



(اصلاح غلط)

وجه	سطر	خضا	مرواه
٦	١٢	ويستمنحها	ويستمنحها
٦	١٩	كيد	كيد
٩	١٤	اشم	اشم
١٧	٢١	المفتكرين	المفتكرين
١٨	١٧	مكان	الماكن
١٩	٦	الاعلام	الاعدام
١٩	٨	رواة	رماة
٢٠	٧	سواه	سوى
٢٠	١٥	درّة	ذرة
٢١	١١	الملهى مسجداً	الملهى له مسجداً
٢٢	١٤	الاحد	احد
٢٢	١١	تفك	تنفك
٢٢	٥	عما	عن
٢٣	٧	صقر	سقر
٢٣	١٠	نوفوا	نفوا
٢٤	١٠	الفنا	الفنى
٢٤	١٤	خلافاً	حلفاء
٣٠	١	انه	أن
٧٢	٧	وترويته	وتروية

وجه	سطر	خطا	صوابه
١٠٤	٧	وتجتمع	وتجتمع
١٣٥	١٨	شيء	شيئا
١٣٦	٢١	حدأ	صدى
١٣٨	٩	مدمننا	مدتنا
١٣٨	١٢	نحو	نحوأ
١٣٩	٢١	الاجنبية	البلاد الاجنبية
١٤٠	١	بلاد	البلاد
١٤٢	٣	فيا	فيم
١٤٧	٢	تجريح	تجريح
١٥٢	٣	ولنأتى	ولنأت
٢٠٣	٨	عليك	بك
٢٢١	٢٠	للاضطلاع	للاطلاع
٢٢٤	١٧	الغني	الغنى
٢٢٥	٨	بهم من	بهم الدهر من
٢٢٩	٣	الثرة	الثروة
٢٢٩	١٢	قبيحا	قبحا
٢٢٩	١٦	وعلى المرأة	ولا على المرأة
٢٣٠	٧	زيارته الى اميركا	زيارته لاميركا
٢٣١	١٠	الياس	اليانس
٢٣٣	٣	العادة	السعادة
٢٣٦	١٨	زجته	زوجته
٢٥٥	٨	ريحان	ريحاني
٢٥٥	١٤	عفش	عفليس
٢٥٥	٢١	جبران	جدر

خطاب الى السوردين

خطاب السوردين

٢٥٦

